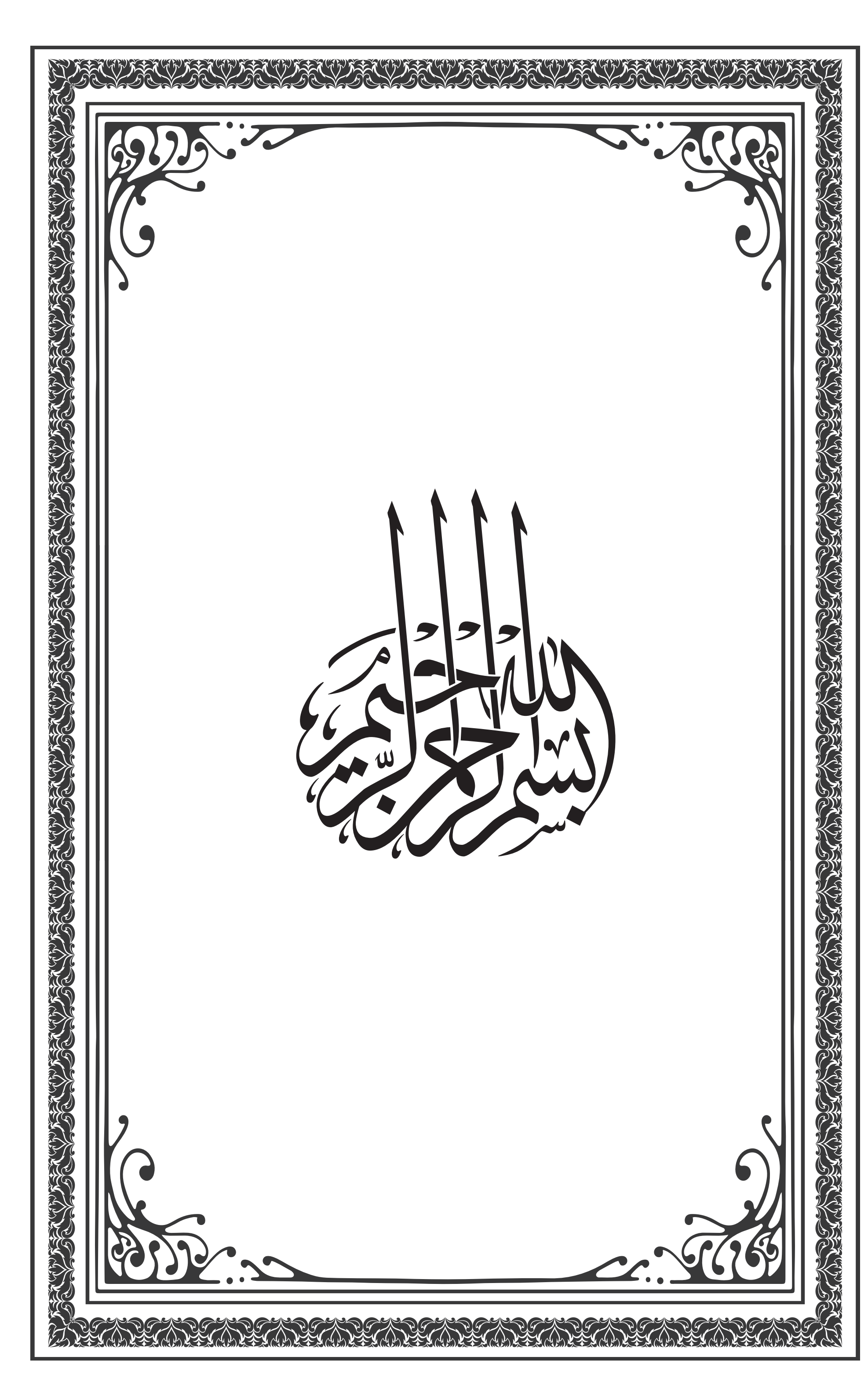
الصراع

بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة



د. هاني السباعي


بسم الله الرحمن الرحيم



الصــــــراع

بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة

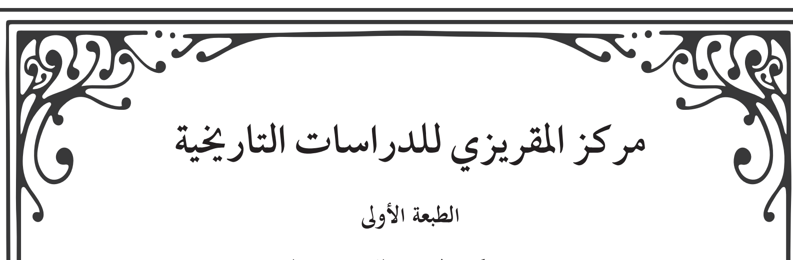
مصر والسعودية أنموذجاً

بقلم

الدكتور هانــي السباعــي

مركز المقريزي للدراسات التاريخية





مركز المقريزي للدراسات التاريخية

الطبعة الأولى

إصدارات مركز المقريزي للدراسات التاريخية

hanisibu@hotmail.com

لندن . المملكة المتحدة

ربيع الأول ١٤٢٣ هـ . مايو ٢٠٠٢

الطبعة الثانية

استنبول . تركيا

١٤٤١هـ- ٢٠١٩م

عنوان دار الكتاب العالمي

Yamanevler Mah. Küçüksu Cad. Bıldırcın Sok. No:9/1

Ümraniye/İstanbul

TURKEY

رقم الهاتف: 00905397626695

www.kureselkitap.com

الطبع والتجليد

Step Ajans Matbaa Ltd. Sti

Göztepe Mah. Bosna Cad. No:11 Bağcılar / İstanbul

Sertifika No: 45522







دار الكتاب العالمي



قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾

آل عمران: ١٨٧



إهداء وشكر وتقدير خاص

أتقدم بخاص الشكر والتقدير والاحترام والإقرار بالفضل بعد فضل الله تعالى؛ لحرمنا المصون؛ أم الأولاد زوجتي الفاضلة؛ أم جهاد على ما بذلته لي من عون وتضحية وبذل وعطاء غير محدود، لم تمل لم تضجر، لم تشكو رغم المشاكل الحياتية، والظروف القاسية التي أحاطت بنا في كل مكان رحلنا إليه.

فمنذ أن ربط بيننا ميثاق شرعي غليظ؛ أثمر ـ بفضل الله ـ بفلذات أكباد حفظهم الله بحفظه الجميل؛ وهي دائمة التحفيز لي على الاستمرار والثبات على ثغر الدعوة إلى الله تعالى.

لا تكاد تفتر عن دفعي للخطابة والكتابة؛ بعد أن أكون قد مللت أحياناً من شغب المشاغبين، وتربص المتربصين، وكيد الكائدين؛ نسأل الله أن يكفينا شرهم بما شاء وكيف شاء.

تكاد أم الاولاد ـ أعزها الله دنيا وأخرى ـ تستطير فرحاً؛ عندما أنتهي من؛ شرح أو نشر كتاب أو كتابة مقال، رغم ظروفها الصحية التي ابتليت بها ـ شفاها الله وعافاها شفاء لا يغادر سقماً. فكانت ولا تزال نعم المحفز والمعين على فعل الخير. فأكرم بها من زوجة كريمة عفيفة تقية هي بحق كالشمعة تضيأ لغيرها وتحترق هي! المهم أن ترى البسمة في وجوه من تحت! فنعم الزوجة ونعم الرفيق؛ فجزاها الله الخير العميم في الدنيا والآخرة.. كما أسأله سبحانه وتعالى؛ كما جمعنا في الدينا على طريق الإسلام

وصحيح الاعتقاد؛ أن يجمعني وإياها يوم القيامة في الفردوس الأعلى وليس ذلك على الله بعزيز. اللهم آمين.

وما أحسن قول القاضي شريح ـ رحمه الله ـ في الثناء على زوجته:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم ** فشُلت يميني يوم تُضرب زينبُ

أأضربها من غير ذنبٍ أتتْ به ** فما العدل مني ضرب من ليس يذنبُ

فزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكبٌ ** إذا طلعت لم يبد منهن كوكبُ

د. هاني السباعي

تاريخ يتكلم

أظهر الطاغية أن الله يؤيد به الإسلام، ليتألف الجند والشعب ويستميلهم إليه، وكان في ذلك لئيم الكيد، دنئ الحيلة، يهودي المكر؛ فأمر بعمارة المدارس للفقه والتفسير والحديث والفتيا، وبذل فيها الأموال، وجعل فيها الفقهاء والمشايخ، وبالغ في إكرامهم، والتوسعة عليهم، والتخضع لهم، ودخل في ظلال العمائم... وأحضر لنفسه فقيهين مالكيين (اثنين لا واحد) يعلمانه ويفقهانه، وكان أشبه بمريد مع شيخ الطريقة يتسعد به ويتيمن؛ أشرف ألقابه أنه خادم العمامة الخضراء، وأسعد أوقاته اليوم الذي يقول له فيه الشيخ: رأيتك في الرؤيا ورأيت لك...!

وكانت هذه المعاملة الإسلامية الكريمة من هذا الطاغية، هي بعينها ربا اللفافة اليهودية في مخه؛ تصلح بإقراض مائة، وفيها نية الخراب بالستين في المائة...! فإنه ما كاد يتمكن من الناس ويعرف إقبالهم عليه وثقتهم به، حتى طلبت اللفافة اليهودية رأس المال والربا؛ فأمرهم بهدم تلك المدارس وإخرابها، وأبطل العيدين وصلاة الجمعة، وقتل الفقهاء وقتل معهم فقيهيه وأستاذيه، وعاد كالمريد المنافق مع شيخ الطريقة، يقول في نفسه: إن هناك ثلاثة تعمل عملاً واحداً في الصيد: الفخ، والعمامة، واللحية...!

إن هذا الطاغية ملك حاكم، يستطيع أن يجعل حماقته شيئاً واقعاً، فيقتل علماء الدين بإهلاكهم، ويقتل مدارس الدين بإخرابها، ولو شاء لاستطاع أن يشنق من المسلمين كل ذي عمامة في عمامته. ويبلغ من كفره أن يتبجح ويرى هذا قوة، ولا يعلم أنه لهوانه على الله قد جعله كالذبابة التي تصيب الناس

بالمرض، والبعوضة التي تقتل بالحمى، والقملة التي تضرب بالطاعون، فلو فخرت ذبابة، أو تبجحت قملة، أو استطالت بعوضة، لجاز له أن يطنّ طنينه في العالم. وهل فعل أكثر مما تفعل؟

لقد أودى بأناس يقوم إيمانهم على أن الموت في سبيل الحق هو الذي يخلدهم في الحق، وأن انتزاعهم بالسيف من الحياة هو الذي يضعهم في حقيقتها، وأن هذه الروح الإسلامية لا يطمسها الطغيان إلا ليجلوها.

إنه والله ما قتل ولا شنق ولا عذّب، ولكن الإسلام احتاج في عصره هذا إلى قوم يموتون في سبيله، وأعوزه ذلك النوع السامي من الموت الأول الذي كان حياة الفكر ومادة التاريخ، فجاءت القملة التي تحمل طاعونها..!

لقد أحياهم في التاريخ، أما هم فقتلوه في التاريخ، وجاءهم بالرحمة من جميع المسلمين، أما هم فجاءوه باللعنة من المسلمين جميعاً!

مصطفى صادق الرافعي[١]

[١] الرافعي: مصطفى صادق الرافعي ـ وحي القلم/ ج٢/ ص٢١٣ وما بعدها

تقريظ

الأستاذ هاني السباعي من رجالات الحركة الإسلامية بمصر الذين عنوا بالتاريخ وخاصة الإسلامي منه ووعوا حركته، ولقد خبرناه منذ كان معنا في مصر يحدث الشباب في دروسه وخطب الجمعة التي يلقيها حيث يكرس جزءاً كبيراً منها من أجل الإحاطة بدروس التاريخ والاستعانة بأسباب النصر.

وفي كتابه الأخير لم يعدل السباعي عن منهجه في البحث والدراسة واستجاشة عبق التاريخ في قضية بالغة الحساسية.

ولقد تناول الأستاذ السباعي في دراسته التي بين أيدينا قضية بالغة التعقيد تتمثل في مدى أهمية دور المؤسسات الدينية صاحبة القداسة في تحريك المواقف السياسية في مجتمعاتنا وجدية هذا الدور من مبعثه ومتابعة تطوره عير السنين وكان اختيار مصر والسعودية لوضوح المثال بهما في أهمية دور الأزهر في مصر والعلماء في السعودية. فقد بدأ الأزهر ملتحماً مع الجماهير الثائرة في مصر ضد الاستعمار ولعب شيوخه دوراً طليعياً في قيادة تلك الجماهير وإثارة مشاعرها الدينية لخدمة قضية الجهاد في سبيل الله ضد المستعمر الأجنبي ومواجهة طغيان الحكام واستبدادهم وامتداد روح المقاومة التي رعاها الأزهر إلى كافة الأقطار العربية والإسلامية؛ الأمر الذي دفع دوائر الاستعمار إلى بحث الوسائل المناسبة لاحتواء دور الأزهر وزرع عملائهم على سدة الحكم ويعد إصدار قانون تطوير الأزهر أول المعاول التي حاول بها الطغاة النيل منه فكان بحق تخريب للأزهر وتفريغه من مضمونه، وتقييد حرية الدعاة في قيادة الأمة وتأميم مناصبه وإبعاد كل العناصر الشعبية

والعقائدية من قيادته، وجعل قيادته بالتعيين وتحويل كادره إلى كادر وظيفي تابع تنفيذي للحكومة فتخرجت أجيال منه فقيرة علميا إلا من رحم ربى، و ها هي أمتنا تعانى من حال الضعف التي سيطرت على الأزهر وتسلط على مشيخته أنماط باعوا دينهم بعرض من الدنيا ولم يرعوا قداسة المنصب أو قداسة الفتيا وخطورتها فصارت فتاواهم مصدر همّ وبلاء على الأمة حتى فى شأن حاسم ومصيري بالنسبة لها دينيا وسياسيا وتاريخيا مثل الأراضي المحتلة في فلسطين والقدس تضاربت الفتاوى الصادرة من المؤسسة الدينية في مصر حول تمرير التطبيع مع العدو الصهيوني والتدليس فيما ينعتونه بالسلام معه وصولا إلى التنازع حول حق المقاومة لطرد الاحتلال ودمغ الجهاد المقدس ضد اليهود والصهاينة بالعنف والإرهاب « كبرت كلمة تخرج من أفواههم « وأصبح الأزهر الذي كان حائط صد للأمة ضد كل محاولات التغريب وطمس الهوية وهجمات الثالوث الصليبي والصهيوني والشيوعي عبر التاريخ يستقبل في استخفاف بمشاعر المسلمين قاطبة حاخامات اليهود ويرحب بهم ويعقد ويشارك فى مؤتمرات مشبوهة حول حوار الأديان وهو الذي واجب عليه أن يعلم البشرية « إن الدين عند الله الإسلام « لهذا عنى الأستاذ الصديق الأخ هانى السباعي أكثر بدور الأزهر وقيمته لبعده التاريخي الهام. كما تعامل راصدا مع الدور الهام للمؤسسة الدينية في السعودية بدءا من بزوغ نجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتشار دعوته الإصلاحية فى ربوع الحجاز ونجد وتحالفه مع مؤسس الدولة السعودية الملك عبد العزيز آل سعود بما ضمن حفظ الحدود وعلو الشريعة فيه، أيضا تعرض السباعي للدور الذي تقوم به « بعض الهيئات الدينية» في السعودية

مع تزايد أصوات علمانية تطالب بتقليص صلاحياتها منتهزين قصورا قد يشوب أداء بعض المنتسبين إليها كل هذه المعاني لمسها الأستاذ هاني السباعي بقلمه الرشيق كما يتناولها بأسلوبه المميز الذي عهدناه في خطبه ودروسه بمصر سابقاً. والذي يميز كتابات الأستاذ السباعي هو المزيج الذي يصنعه باقتدار عبر قناعاته السلفية الصافية وانحيازه للطلائع الثائرة فى جهادها ضد الاستبداد والاستعمار بين عبق التاريخ بأحداثه المتشابكة المتتابعة وبين أحداث الحاضر وواقعاته وصولا إلى ما ينبغي استلهامه منها من عبر ودروس وفوائد، وهو في ثوريته لا يشطط وفى سلفيته لا يجنح إلى الغلو فترد دراساته دائما سهلة ممتنعة كالماء العذب الرقراق. ولئن تعلق هذا الكتاب بقضية بالغة الأهمية تعنى بركيزة لها دورها فى قيادة الأمة فالعلماء والأمراء إن صلحوا صلحت بهم الأمم وإن فسدوا فسدت بهم الأمم، إلا أننا نرنوا لإسهامات أخرى من صاحب الكتاب يستعرض خلالها شيئا من التاريخ المعاصر للحركات الإسلامية وقد عاصر جانبا هاما من أحداثها وزامل صانعيها عن قرب وعن كثب بما يفيد الأجيال الصاعدة التي ترقب أفول دخان حروب أثخنتنا بجراحاتها ولم تزل .

نفعنا الله بما كتب، وتقبل الله منه جهده وهمه وبحثه القيّم النافع بإذن الله تعالى إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مع تحيات منتصر الزيات

الأمين العام لرابطة المحامين الإسلاميين بمصر

القاهرة في: ٢٠مايو ٢٠٠٢ م

مقدمة بقلم الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم

حين يردد الناس القولة الشهيرة إن «التاريخ يعيد نفسه»، فإننا نرى، في موضوع هذا الكتاب الماتع قراءة، الخطير أثراً وواقعاً، أن التاريخ لم يتوقف في مسيرته على نفس المنهج والمنوال، ليُقال إنه «يعيد نفسه»!

وقراءة التاريخ ليس متعة فكرية أو مرانٌ عقلي فحسب، بل هي، قبل كلّ شئ، عبرة لمن له عقل واع وقلب فقيه ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف ١١١.

وتاريخ المؤسسات الدينية، الرسمية وشبه الرسمية، لم يتغير قدر شعرة منذ أن بدأ إنحرافها مع دخول الحملة الفرنسية إلى مصر والشام، وحتى حاضرنا اليوم، كما بيّن ذلك فضيلة الشيخ العالم الفاضل الدكتور هاني السباعي في هذا السفر الفريد في موضوعه، الجرئ في عرضه وشفافيته، المتنوع في مصادره، الصادق في استشرافاته واستبناطاته، وربطه الماضي بمرارته وانحرافه بالحاضر في سقوطه وانحلاله.

والشيخ الدكتور السباعي، لم يترك مجالاً واسعاً لمعلّق أو مقدّمٍ لهذا السفر، يضيف فيه جديداً. لكننا نقصد هنا إلى مجرد عرض سريعٍ لذلك المسلسل من الانهيار والسقوط، الذي رافق مسيرة تلك المؤسسات الدينية، منذ قرنين من الزمن، في أكبر موطنين من مواطن المسلمين في عالمنا العربيّ المسلم، مصر وجزيرة العرب.

إذا نظر القارئ الكريم إلى ما حدث في تلك المؤسسات، أو من تلك

المؤسسات، خلال تلك الحقبة، رأي أنه رغم وأن كان للأزهر دور رياديّ في الوقوف ضد مظالم بعض أمراء المماليك، كما حدث أيام الشيخ العروسي (١٧٨٧م)، كيف لعبت السياسة الاستعمارية «بذقون»! الكثير من المشايخ والعلماء، واستدرجوهم لتوجيه الشعب وتصريف طاقته في غير ما يجدي. وقد كان نابليون أول من اختط هذه السياسة الماكرة الخبيثة، فأوهم المشايخ أنّ الفرنسيين جاءوا يعينون المسلمين على درأ مفاسد المماليك، وأنهم حريصون على دين الإسلام وكتابه وتعاليمه! فأعانهم مشايخ كثرٌ من المتّبعين في زمنهم كالشيخ البكريّ والشيخ محمد المهدي وغيرهما، ممن وصلت بهم الدرجة إلى صيلغة بيانات تحفز الناس على الاستسلام للغازي الفرنسي أو للسكون واتباع سياسة «سلمية»!

فقد تكررت المواقف المخزية فيما بعد كما في ثورتيّ القاهرة الأولى والثانية. ثم لعب عليهم، بل حتى على السيد عمر مكرم، ذاك الخبيث الألبانيّ محمد على، الذي كان عهده فاتحة للتسلل العلماني إلى مصر. واستمر ذلك في مواقف أخرى، كما حدث من الشيخ الطهطاوي، وإطرائه المعروف على الثقافة الغربية الفرنسية!

ورغم أن الأزهر قد لعب دورا في ثورة ١٩١٩، لكن علماءه خُدعوا بسعد زغلول، الذي كان أول من روّج للدولة المدنية في مصر.

وقد تولى الأزهر بعد ذلك، ورغم ذلك، علماء لهم سبقٌ وعلم، كالشيخ أبو الفضل الجيزاوي والشيخ عبد المجيد سليم، إلا أن عصر سقوط المؤسسات الدينية بشكلٍ نهائي كان قد أرخى سدائله القاتمة عليها مع انقلاب ١٩٥٢، واستلام العسكر حكم مصر، فحولوا التعليم في الأزهر

إلى الصيغة العلمانية، وأوغلوا في إهانة مشايخه، حتى صاروا دمى لا روح فيها، مثل سيد طنطاوي وأحمد الطيب وعلى جمعة، ينتصبون في الصف الثاني خلف الحاكم، زينة وتمويها على الناس بأن هؤلاء لهم دين وشرف!

وقد عدد الشيخ الدكتور السباعي عدة أسباب لظاهرة مسخ المؤسسات الدينية، منها عدم استقلالية الأزهر وحل الأوقاف، انتشار الإرجاء والتصوف في الوسط الأزهري، انتشار ظاهرة علماء السلطان المصنوعين على عينه، سخرية الإعلام من «رجل الدين»، الضغوط الدولية لإسقاط هيبة الدين بإسقاط رجالاته.

ثم إذا انتقلنا إلى أرض الحرمين، ودور عائلة آل سعود فيها، وجدنا نفس الظاهرة، أي امتطاء الحاكم «لرجال الدين» لتنفيذ أغراضه، لكن في صورة مختلفة عمّا جرى في مصر. فكما ذكر الشيخ الدكتور في كتابه، لم تُسفر العلمانية عن وجهها، لصعوبة ذلك في أرض الحرمين، لكنها سادت سيادة حقيقية تحت ستار ثخينٍ من الصور والتصرفات الشكلية، توهم بها الناس والعوام، عقوداً بعد عقود، أنّ ملوك تلك الدولة الخبيثة هم «خدّام الحرمين»، وأنهم يطبقون شرع الله سبحانه!

وفي انسيابٍ بسيط واضح للأحداث، يشرح السفر الماتع تأريخا مختصراً لحياة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ثم ما حدث في عهد الدولة السعودية الأولى، منذ قيامها إلى سقوطها على يد الألباني الخبيث محمد على.

وبعدها بسنين بدأت الجدولة السعودية الثانية التي حفلت بمؤامرات داخل البيت الحاكم حتى تولي محمد ابن سعود، الأمير القوي، الذي بوفاته استولى آل الرشيد على الرياض ودالت دولة آل سعود الثانية.

ثم جاء دور عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة الحقيقي، وميل الإنجليز المخلص. وفي عهده بدأ استثمار العلاقة بين المؤسسات الدينية والعلماء وبين السلطة الحاكمة، على أوسع نطاق وأخبثه، فظهر في شكل احترام وتدير، ثم فتاوى تؤيد أهواء الحاكم ميل فتوى دخول أمريكا بقواتها لأرض الحرمين، متى استعلن الكفر البواح والفسق الصراح، بخيانة سلمان ابن عبد العزيز لأخيه، وتولية ابنه المتخلف محمد بن سلمان، ذيل محمد بن زايد الإماراتي. ولا يخفى بشاعة الجرائم التي تُرتكب، وتقوم على فتاوى كلاب السلطة المنتسبين للعلم الشرعي، وما أكثرهم اليوم في بلاد الحرمين.

وقبل أن أختم حديثي عن محتويات هذا السفر الماتع، أوجه النظر إلى أمرين:

أولهما، أن اهتمام الشباب العلمي يجب أن يُوجه إلى مثل هذه الدراسات الجادة، التي تجمع بين حكمة الماضي وإحاطة الحاضر واستشراف المستقبل، خاصة ما تظهر فيها روح الكاتب قوية مسيطرة، مخلصة حانية، عميقة دقيقة.

وثانيها أن هذا اللون من البحث هو ما أشرت إلى حاجتنا إليه في بحثي المنشور تحت عنوان «المشكلة الإسلامية»، ففيه تكتمل عناصر اللبنة التي صُنعت لغرضها وناسبت موضعها من البناء المنشود.

ثم أظنني أطلت على القارئ الكريم، ولعله يودّ الآن أن أخلى بينه وبين السفر الماتع ليقرأ ويفقه ويعي أي عالمٍ نعيش فيه اليوم.

وحفظ الله الشيخ العالم د هاني السباعي وجزاه خيراً على هذا الجهد المشكور.

والله يهدي السبيل

د طارق عبد الحليم كندا في ٤ نوفمبر ٢٠١٩

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا لعمري من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني

مقدمة الكتاب بقلم المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً ﷺعبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.. آل عمران/١٠٢.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. النساء/١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب٧٠-٧١.

تقدمة:

لقد كان للمؤسسات الدينية دور كبير(سلباً أو إيجاباً)؛ في صياغة البنية السياسية، والاجتماعية، والثقافية في العالمين العربي والإسلامي بل؛ في صياغة المشروع الحضاري لهذه الأمة على مدار التاريخ. وقد برز هذا الدور منذ أن تم احتواء المؤسسات من قبل الحكام بغية تحقيق أهداف قد تتفق أو تتعارض والشريعة الإسلامية.

ومن ثم كان استخدام الأنظمة المتعاقبة لهذه المؤسسات الدينية ذات الصفة الرسمية يتزايد كلما ابتعدت الأنظمة الحاكمة عن حاكمية الله، فالحاكم يعلم جيداً أن الجماهير المسلمة مرتبطة بدينها، ومن ثم يتقرب الحاكم إلى المؤسسة الدينية؛ لا حباً لها، ورغبة في ثواب الآخرة بل؛ للحفاظ على سلطته وكرسيه!! وللمزيد من السيطرة يقنن الحاكم تشريعات خاصة تعطي للحاكم حق تعيين وعزل علماء المؤسسة الدينية، وانشاء مؤسسات دينية ذات ولاء خاص للسلطة؛ متفرعة عن المؤسسة الدينية الأم؛ بغية تشتيت مجهود العلماء والتفرقة بين هذه المؤسسات التي غالباً ما تكون أكثر ولاءً للسلطة الحاكمة، وهذه المؤسسات الدينية مجتمعة يستخدمها الحاكم في تخدير الجماهير والرضا بالأمر الواقع باسم الدين!! وأحياناً لتثوير الجماهير باسم الدين أيضاً بغية تحقيق حاجة في نفس الحاكم!!.

كما تستخدم المؤسسة الدينية كعصا غليظة في يد الحاكم يضرب بها كل من يعارضه ولو بالقول!! وتقييد حرية الناس حيث يحكمون بقوانين استثنائية جائرة باسم الدين وببركة المؤسسة الدينية!! ويزج بالأبرياء في

السجون باسم المصلحة الدينية!.

فالمؤسسة الدينية؛ كالجارية الحسناء التي تسهر على راحة سيدها وتحقق له كل رغباته ولا ترفض له طلباً! وكيف ترفض طلبه وهو سيدها وهي أمته وجاريته وولي نعمتها؟!! أقصد واقعنا المعاصر، وكيف وصل الهوان بالمؤسسة الدينية لدرجة أن صارت مطية السلطة في تكميم الأفواه، وشريك رئيس بل، وفاعل أصيل مع السلطة الحاكمة في إقصاء الشريعة الإسلامية عن سدة الحكم والرضا بأن تكون الشريعة مختزلة في زوايا ضيقة من زوايا فقه الأحوال الشخصية وفتاوى الإرث والزواج والطلاق!!

والمرء يعجب من هذا التناغم الحميم بين السلطة الحاكمة وبين المؤسسة الدينية، رغم تعمد السلطة إهانة هذه المؤسسة الدينية والحط من قدرها بل وتسخير بعض الأقلام المأجورة والمقربة للسلطة بغية الاستهزاء، والتفكه على علماء هذه المؤسسة مع رسم صورة نمطية عبر وسائل الإعلام لعالم الدين؛ ذلك الرجل المتقعر، المتشدق، المتفيهق، الذي يتكلم بملء فيه مع تصويره بالغباء والحمق والجهل وإرسال نظراته الجائعة إلى النساء الأجنبيات!!

وأود أن أضيف أن للمؤسسة الدينية مفهومين:

المفهوم الأول: وهي المؤسسات الدينية ذات الصبغة الرسمية مثل جامع الأزهر، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة الفتوى، وزارة الدعوة والإرشاد...إلخ وهذه مؤسسات لها صلة مباشرة بالسلطة الحاكمة وتم إنشاؤها بفعل السلطة وقوانينها وتعتبر ضمن المنظومة السلطوية التي تتشكل منها الدولة القائمة.

المفهوم الثاني: ويشمل المؤسسات ذات الصفة الرسمية المذكورة وغيرها من المؤسسات والجمعيات والهيئات الخيرية الإسلامية التي أقيمت وأسست أصلاً بفعل الجماهير، وأهل الخير؛ كالجمعية الشرعية وجمعية أنصار السنة، وجماعة الإخوان المسلمين، ومن على شاكلتهم؛ فهذه الجمعيات ما عدا جماعة الإخوان المسلمين تم احتواؤها عن طريق صياغة تشريعات خاصة ووضع بنود لمجلس الإدارة وكيفية انتخابه، ورسم سياسات الجمعية العمومية؛ كل ذلك تحت إشراف وزارة الشؤون الاجتماعية التي تخضع لرقابة جهاز مباحث أمن الدولة؛ الذي يتدخل كثيراً في تعيين الأعضاء والاعتراض على بعضهم، وزرع عيون موالية لهذا الجهاز ضمن أعضاء مجلس الإدارة بطريق مباشر وغير مباشر؛ كما هو معروف لمن يتابع عمل هذه الجمعيات؛ رغم أن هذه الجمعيات لا تتدخل في نزاع مع الحاكم وجل همها أعمال خدمية للفقراء وتوعية الناس بدينهم بطرق سهلة وبسيطة وبعيدة عما يغضب الحاكم!!

أما الجماعات التي يصعب احتواؤها بقوانين أو اعتراف السلطة الحاكمة بها كجماعة دينية أو سياسية فتعتبر مؤسسة شبه رسمية في حالة اعتراف السلطة بها أو دخولها في فلك المنظومة السلطوية الحاكمة عبر القوانين الخاصة؛ بانتخابات المجالس التشريعية؛ كما في حالة حزب الرفاه في تركيا، والفضيلة حالياً، وجماعة الإخوان في الأردن، وجبهة الإنقاذ في الجزائر سابقاً.. لأنه يسهل على السلطات الحاكمة معرفة كوادر هذه الحركات المخبوءة، وقدراتها عبر كشوف، ومن ثم؛ تم ضربها على دفعات وتشكيل محاكم عسكرية لمحاكمة قادة وكوادر هذه الجماعات التي احتضنت الدستور،

ورضيت بأن تدخل لعبة الانتخابات على قواعد وشروط المؤسسة الحاكمة!! واستطاعت السلطة أن تضرب أبناء الحركة الإسلامية ببعضها من خلال شجب بعض العمليات العسكرية والتبرؤ منها وتحقير وتسفيه مرتكبيها!! فتم تصنيف وتقسيم الجماعات والحركات والمؤسسات شبه الرسمية وغير الرسمية إلى فئات (متطرف/ معتدل/ أصولي/ إرهابي).

هكذا استطاعت السلطة الحاكمة أن تستقطب، وتسيطر على المؤسسة الدينية وتشل حركتها وفاعليتها جماهيرياً، ونجحت أيضاً في احتواء معظم المؤسسات الإسلامية الخيرية شبه الرسمية وتحجيمها والحد من فاعليتها شعبياً وتعبوياً.

وعلى ضوء هذه التقدمة ستكون خطتنا في هذا السفر على النحو التالي:

الأنموذج الأول: الأنموذج المصري

ويتكون من عدة فصول:

الفصل الأول: الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١)

الفصل الثاني: محمد علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٤٨)

الفصل الثالث: ما بعد محمد علي باشا وقتنا المعاصر.

الفصل الرابع: أسباب تدهور دور المؤسسات الدينية.

الأنموذج الثاني: الأنموذج السعودي

ويتكون من عدة فصول قصيرة:

الفصل الأول:

مرحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأسيس الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥-١٨١٨)

الفصل الثاني:

الدولة السعودية الثانية (١٨٢٤ ـ ١٨٩٧)

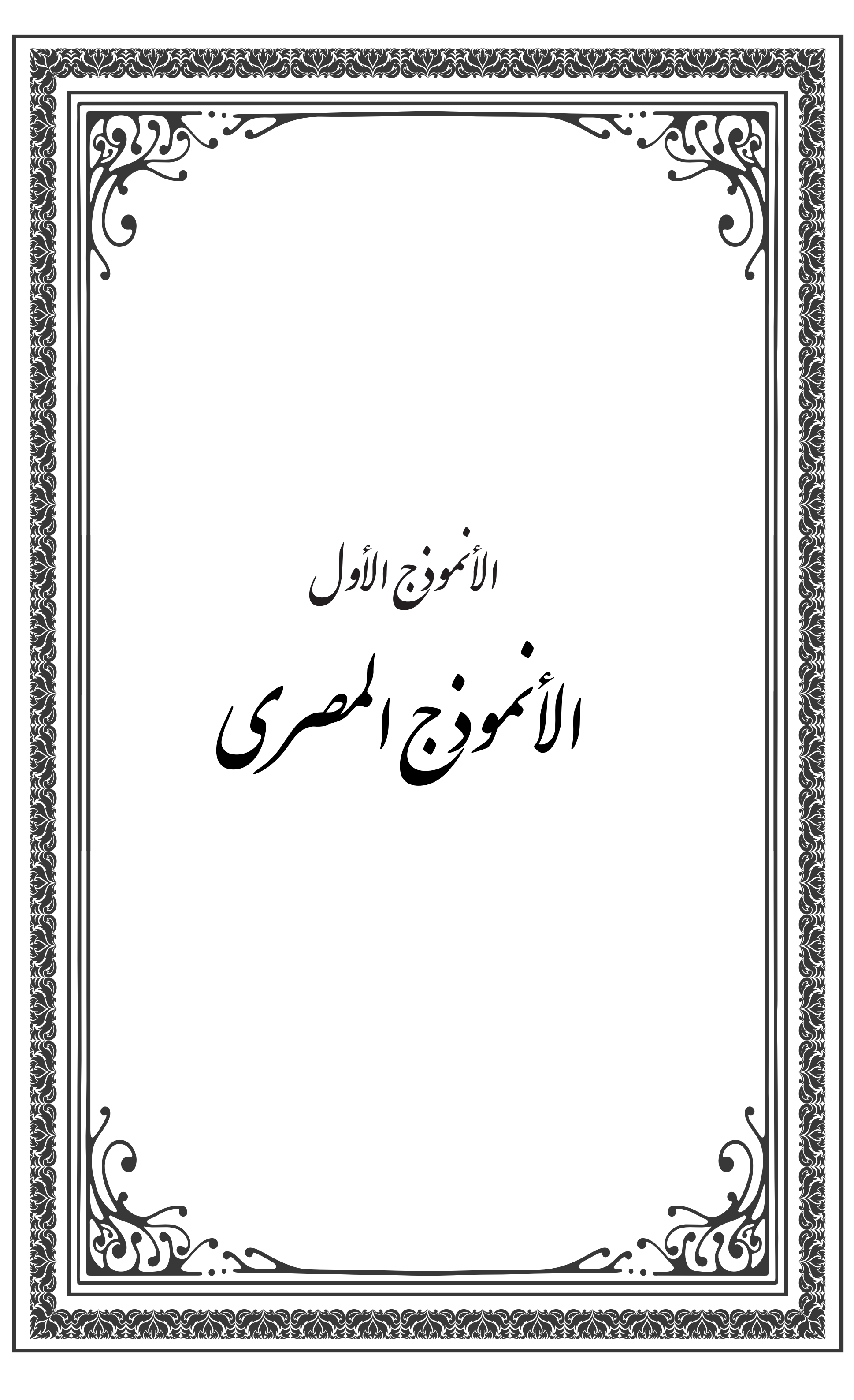
الفصل الثالث:

الدولة السعودية الثالثة (١٩٠٢ ـ حتى وقتنا الحاضر)

الفصل الرابع:

أسباب تدهور المؤسسة الدينية في السعودية

صفوة القول وخاتمة الكتاب



الأنموذج الأول

الأنموذج المصري

الدولة قبل المؤسسة الدينية

لماذا مصر؟

اخترت مصر لأسبقيتها في طرح هذا الأنموذج؛ باعتبار جامع الأزهر أقدم جامعة إسلامية، فالأزهر بحق «أقدم جامعة علمية في العالم، وأعرق الجامعات الإسلامية على الإطلاق و حمل لواء الفكر الإسلامي في مصر والعالم الإسلامي أكثر من عشرة قرون و كان فيها حصناً من حصون الثقافة الإسلامية، وقلعة من قلاع الإسلام المنيعة التي استعصت على كل الغزاة، حفظ التراث الإسلامي ـ علوم دين ولغة ـ من الضياع خلال المحن التي حلت بالمسلمين ونشره في أرجاء العالم الإسلامي، وفتح أبوابه لكل من قصده من طلبة العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، تخرج فيه الآلاف من العلماء المجاهدين والأئمة العاملين الذين كانوا لشعوبهم بعلمهم وجهادهم منارات هدى، ورواد مخلصين كلما ادلهمت الخطوب»[١]

ولموقع مصر الجغرافي والسكاني، ولدورها التاريخي المعروف، كما أن التجربة المصرية تنطبق على معظم العالم العربي والإسلامي.

فالأزهر كان منارة العلم ومنطلق الجهاد والحركات الثورية، وتصداقاً لذلك؛ ما جاء في مذكرات مفتي القدس الأسبق الشيخ عبد الحميد السائح «كان الأزهر الشريف معقل الوطنية ومحجتها آنذاك، إذ أن الحركات الوطنية والتظاهرات ضد المحتلين الإنكليز وأذنابهم، كانت تنطلق من الأزهر بقيادة

[١] الجامع الأزهر ومسيرة الألف عام/جابر رزق/مجلة الأمة/جمادى الأولى ١٤٠١هـ/ص.

مشايخه وأساتذته الأجلاء، وذلك يعود إلى طبيعة الإسلام، الذي يحث على الحرية ورفض الإستعباد، ويحث على الجهاد ـ الذي هو ذروة سنام الإسلام ـ ومقاومة الظلم ومقارعة الغاصبين لحرية الشعب. وكان الانكليز يحتلون مصر آنذاك، ويمارسون، كعادة المستعمرين، أبشع أساليب القهر والإذلال على الشعب المصري وعلى قيادته الوطنية، وحتى على السلطة الحاكمة. وكانت التظاهرات تجابه من الجنود الإنكليز بالرصاص وبخراطيم المياه الساخنة. وكنا نشارك في هذه التظاهرات التي يخطط لها علماء الأزهر والقيادات الشعبية والطلابية»[١]

إذن فقد كان لعلماء الأزهر دور الريادة والقيادة في تثوير الجماهير والجهاد معهم ضد أعداء الدين، ومن ثم كان الحكام يتقربون إلى علماء الأزهر لكسب محبة الجماهير ولتحقيق مآربهم الشخصية. لذلك يركز الشيخ السائح على هذه القضية: « وقد كان الزعماء المصريون يتقربون للجماهير من خلال حضورهم لتأدية صلاة الجمعة في الأزهر. وكثيراً ما تردد المرحوم سعد زغلول عليه – (هذا كلام السائح) – وكان يفتخر أنه من خريجي الأزهر، ويلقي فينا الخطب التي تثير مكامن الوطنية وكره الإنكليز في نفوسنا، وخصوصاً أنا كنا نتطلع إلى الخلاص من الاستعمار البريطاني في فلسطين ومن دوره في تشجيع الهجرة الصهيونية إلى بلدنا. كان الأزهر يستقبل المرحوم سعد زغلول، حين حضوره بكل ترحاب واحترام وتقدير»[٢]

---

[١] فلسطين لاصلاة تحت المحراب: مذكرات الشيخ عبد الحميد السائح ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت/ص١٢.

[٢] المرجع السابق/السائح/ص١٣.

لذلك لاعجب أن يتخذ الحكام هذه المؤسسة الدينية العتيقة؛ لتعبئة الجماهير؛ باعتبارها البوق الشرعي المقبول لدى جماهير المسلمين.

وعلى الرغم من عظمة هذا الدين ومنطلقاته في تحرير الإنسان من عبودية البشر «إلا أن الإسلام على عظمته ودقة تعاليمه لم يشفع لدى الحكام لكي لا يسخدموه في أغراضهم السياسية، وذلك لأنهم يعلمون مقدار التدين التاريخي للشعب المصري. وعليه، فقد كان استخدام الحكومات المصرية المتعاقبة، دائماً للعلماء والجمعيات الدينية ذات الصفة الرسمية في تعبئة الجماهير، وتوظيفهم باتجاه تحقيق أهداف (دنيوية) عديدة من سياسية وثقافية واجتماعية؛ مثل هذا منهجاً ثابتاً لحكومات ما قبل الثورة ١٩٥٢ وما بعدها»[١]

وهذا ما سنركز عليه خلال طرحنا لهذه القضية عبر الحقب والمحطات التاريخية في الفصول القادمة.

---

[١] الرافضون: الدكتور رفعت سيد أحمد. رياض الريس للكتب والنشر/لندن/ج١/ص١٨.

الفصل الأول

الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ ـ ١٨٠١

لقد كان نابليون على علم بطبائع الشعوب التي كان يغزوها، فهو يدرك مدى تمسك أهل مصر بدينهم ومدى حبهم لعلمائهم والتفافهم حولهم. ومن خلال دراسته يعلم أنه بمجرد خطبة لعالم أزهري تثور الجماهير، وتغضب لغضبه!! لم لا: والثورة التي قادها الشيخ الدردير ضد المماليك ماثلة نصب عينيه!!

وملخص هذه الثورة:

في سنة ١٢٠٠ هجرية اعتدى أحد أمراء المماليك، وكان يدعى حسين بك المعروف (بشفت) ـ بمعنى يهودي ـ فإنه تسلط على الناس، وطفق ينهب البيوت بأدنى شبهة وفي أحد الأيام: «ركب حسين بك المذكور بجنوده، وذهب إلى الحسينية (أحد أحياء القاهرة)، وهجم على دار شخص يسمى أحمد سالم الجزار، ونهبه حتى مصاغ النساء والفراش ورجع والناس تنظر إليه، وفي صبح يوم الجمعة ثارت جماعة من أهل الحسينية، وحضروا إلى الجامع الأزهر ومعهم طبول، وبأيديهم نبابيت[١] وذهبوا إلى الشيخ الدردير فونسهم وساعدهم بالكلام وقال لهم: في غد نجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون

[١] جمع نبوت: وهي عصا غليظة.

بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم»[١]

«وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات إيذاناً بالاستعداد للقتال فتسارع الأهالي نحو الأزهر، للاشتراك في القتال... ولما وجد إبراهيم بك(حاكم مصر الفعلي في ذلك الوقت) تصميم الشيخ، والأهالي على نهب قصور الأمراء أرسل إلى الشيخ الدردير يعتذر إليه عما حدث ووعد بأن يكف أيدي الأمراء عن الناس، وطلب قائمة بجميع ما نهب وأمره برده إلى صاحبه.

ويعلق الدكتور عبد المنعم خفاجي على هذا بقوله: هكذا وضع هذا الإمام قاعدة دستورية هامة هي احترام الحاكم لإرادة المحكومين [٢]

أقول: هكذا لم ينس نابليون دور العلماء في تحريك الجماهير، ولم ينس بالطبع التفاف الأهالي حول الشيخ الشرقاوي وهو يقودهم ضد أمراء الجور.

وتتلخص هذه التظاهرة في:

«أن فلاحي قرية من قرى بلبيس ـ بمحافظة الشرقية ، اشتكوا إلى الشيخ عبدالله الشرقاوي[٣] (شيخ جامع الأزهر) من ظلم محمد بك الألفي ورجاله،

---

[١] عجائب الآثار: الجبرتي ـ تحقيق عبد العزيز جمال الدين ـ مكتبة مدبولي/القاهرة ـ ج٣/ص٢١٦ ومابعدها..

[٢] مجلة الأمة/جابر رزق/٢٧.

[٣] الشيخ الشرقاوي: اسمه بالكامل: عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري: فقيه، من علماء مصر.. ولد في الطويلة (من قرى محافظة الشرقية بمصر) عام ١١٥٠ هـ ، وتعلم في الأزهر، وولي مشيخته سنة ١٢٠٨ هـ. وصنف كتباً منها (التحفة البهية في طبقات الشافعية) و (تحفة الناظرين في من ولي مصر من السلاطين) و(متن العقائد المشرقية) و (فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي) و(حاشية على شرح التحرير في فقه الشافعية) وغير ذلك. وفي أيامه أنشئ رواق (الشراقوة) بالأزهر. وهو أحد الذين أكرهوا في عهد احتلال الفرنسيس لمصر، على توقيع بيان التحذير من معارضتهم. توفي في القاهرة ١٢٢٧هـ الموافق ١٨١٢م» انتهى نقلاً بتصرف عن الأعلام لخير الدين

فبلغ الشيخ الشرقاوي الشكوى، إلى كل من مراد بك، إبراهيم بك، وخاطبهما في كف أذى محمد بك الألفي عن الفلاحين، فلم يفعلا شيئاً، فما كان من الشيخ الشرقاوي، إلا أن عقد اجتماعاً في الأزهر، حضره العلماء، وتشاوروا في الأمر فاستقر رأيهم على مقاومة الأمراء بالقوة. وقرروا إغلاق أبواب الجامع الأزهر، وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت استعداداً للقتال. وفي اليوم التالي ركب الشيخ الشرقاوي، ومعه العلماء، وتبعتهم الجماهير، وسار الجميع إلى منزل الشيخ السادات يستبشرونه في بدء المعركة. وكان قصر إبراهيم بك قريباً من قصر الشيخ السادات، فراعه احتشاد الجماهير هناك، وعلم باجتماع العلماء عند الشيخ السادات فبادر بإرسال أيوب بك الدفترادار، ليسأل عن أمرهم فقالوا له: نريد العدل ورفع الظلم والجور، وإقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتموها وأحدثتموها. ولما رأى أمراء المماليك إصرار العلماء ومن خلفهم جماهير الشعب المصري، اجتمعوا وقرروا ايجاد حل سريع حاسم، قبل أن يفلت الزمام وتشتعل الثورة، وأرسلوا إلى العلماء ليحضروا الاجتماع الذي انتهى بموافقة الأمراء، والوالي على القرارات الآتية:

أولاً: لا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندبو الشعب.

ثانياً: أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم.

الزركلي/ ج٤ / ص٧٨ /طبعة دار العلم للملايين / بيروت..
أقول: ما قاله الزركلي عن الشيخ الشرقاوي أنه أكره على توقيع بيان بالتحذير.. لا يعد إكراهاً من الناحية الشرعية فالشيخ الشرقاوي كان رئساً للديوان الذي أنشأه نابليون في مصر وهو المسؤول عن كل البيانات التي كانت تصدرها المؤسسة الدينية وهناك وثائق تثبت أن الشرقاوي وقع على عديد من البيانات وليس بياناً واحداً.. ولماذا لم يقم بدوره الشرعي، ويكون في طليعة العلماء المجاهدين الذين قاموا بدورهم وجاهدوا الاحتلال الفرنسي منهم من قتل واستشهد ومنهم من سجن وعذب ومنهم من استمر وقاوم حتى ظفر بالنصر وخرج الفرنسيون من أرض مصر والشام!!

ثالثاً: ألا تمتد يد أي سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع»[١]

لذلك لا عجب أن يبدأ نابليون اعتداءه على مصر بخطابه الشهير المفعم بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية و بأيدي علماء معممين ومن المؤسسة الدينية الشامخة الأزهر كتبت بيانات نابليون وخطاباته المترجمة إلى اللغة العربية.

وها هو ذا المنشور الأول الذي أرسله نابليون بمدافعه التي دكت أهالي مصر ودمرت مساجدهم ومنازلهم يقول مستعطفاً الأهالي والعلماء:

منشور نابليون الأول لأهل مصر[٢]

[١] المرجع السابق/جابر رزق/ص٣٧ ومابعدها.

[٢] ذكر نقولا الترك منشور نابليون الأول بنفس عبارات الجبرتي تقريباً مع اختلاف بسيط وهذا نصه حرفياً بأخطائه اللغوية والمطبعية كما هو : «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك بملكه من طرف الجمهور الفرنساوي المبني على أساس الحرية، والسر عسكر الكبير بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية، نعرّف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد السناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يعاملون بالذل والإحتقار في حق الملة الفرنساوية، ويظلمون تجارهم بأنواع البلص والتعدي، فحضرت الآن ساعة عقوبتهم، وحسرت من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الأباذا والكرجستان، يفسدوا في الأقاليم الأحسن ما يوجد مثله في كرة الأرض كلها. فأما رب العالمين القادر على كل شئ قد حتم في انقضاء دولتهم. يا أيها المصريون، قد يقولوا لكم إنني ما نزلت في هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، وذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين. وإنني أكثر من المماليك، أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم. وقولوا لهم أيضاً إن جميع الناس متساوين عند الله، وأن الشئ الذي يفرقهم عن بعضهم بعض فهو العقل والفضايل والعلوم فقط. وبين المماليك والعقل والفضل والمعرفة تضارب، فماذا تميزهم عن الآخرين، وتستوجب أن يتملكوا وحدهم كلما تحلو به حيوة الدنيا، حيثما يوجد أرض مخصبة فهي للمماليك، والجواري، الجمال والحلل الحسان والمساكن الأشهى، فهذه كلها لهم خاصة. فإن كانت الأرض المصرية التزام للمماليك فليوردوا الحجة التي كتبها لهم الله رب العالمين، هو رأوف وعادل على البشر. بعونه تعالى من اليوم فصاعداً لا يستثنى أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية. فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبروا الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها. سابقاً في الديار المصرية كانت المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر، ومازال ذلك إلا لطمع وظلم المماليك. أيها القضاة والمشايخ والأيمة، ويا أيها الشورباجية وأعيان البلد، قولوا لأمتكم إن الفرنساوية أيضاً مسلمين خالصين. وإثباتاً لذلك قد نزلوا في رومية الكبرى، وخربوا بها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكولريه . فرسان مالطة . الذين كانوا يزعمون أن الله يطلب منهم مقاتلة المسلمين. ومع ذلك الفرنساوية في كل

«بسم الله الرحمن الرحيم: لا إله إلا الله، لا ولد له ولا شريك له في ملكه.. من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية (السيرعسكر) الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته. يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمن مديد . الصناجق . الذين يتسلطون في البلاد يتعاملون بالذل والإحتقار ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة

وقت كانوا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه ومع ذلك إن المماليك غير ممتثلين إلى أمره، فما طاعوا أصلاً إلا لطمع في نفوسهم.
طوبى ثم طوبى إلى أهل مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير، وينصلح حالهم وتعلا مراتبهم. طوبى أيضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير مبالين لأحد من الفريقين المحاربين، ان يعرفونا بالأكثر يسرعون إلينا بكل قلب لكن الويل للذين يتحدون مع أوليك المماليك ويساعدوهم في الحرب علينا فما يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثار.
المادة الأولى: جميع القرى القريبة ثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر الفرنساوي، وترسل للساري عسكر بعض وكلاء لكيما يعرّفوا المشار إليه أنهم أطاعوا ونصبوا السنجق الفرنساوي الذي هو أبيض وكحلي وأحمر.
المادة الثانية: كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار.
المادة الثالثة: كل قرية تطيع الفرنساوي الواجب عليهم نصب السنجق الفرنساوي وأيضاً نصب سنجق السلطان محبنا أدام الله بقاءه.
المادة الرابعة: المشايخ في كل بلد يختموا حالاً جميع الأرزاق والبيوت والأملاك متاع المماليك وعليهم الإجتهاد الزايد لكي لا يضيع أدنى شئ منها.
المادة الخامسة: الواجب على المشايخ والقضاة والأيمة أن يلازموا وظايفهم، وعلى كل من أهل البلدان يبقى في مسكنه مطمئناً. وكذلك تكون الصلوة قائمة في الجامع على العادة. والمصريون بأجمعهم يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى لانقراض دولة المماليك، قائلين بصوت عال: أدام الله اجلال العسكر الفرنساوي، لعن الله المماليك، وأصلح الله حال الأمة المصرية. تحريراً في معسكر اسكندرية، في ثالث عشر من شهر مسيدور سنة ست من إقامة الجمهور الفرنساوي أعني أواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية» انتهى نص المنشور حرفياً بأخطائه الإملائية والنحوية واللغوية! لم أشأ أن أتدخل في أصل الوثيقة وهكذا تجده في كتاب (أخبار الفرنساوية وما حدث من الوقايع في الديار المصرية) لنقولا الترك وقد نشر هذا الكتاب محققاً ضمن كتاب (لبنان في عصر الأمراء الشهابيين) للأمير حيدر أحمد الشهابي تحقيق د. أسد رستم وفؤاد افرام البستاني / القسم الثاني/ بيروت ١٩٣٣. كما حققه العميد الركن الدكتور ياسين سويد / دار الفارابي / بيروت / ١٩٩٠. ونشره عبد العزيز جمال الدين في الملحق رقم ٣٥ من تحقيق كتاب عجائب الآثار للجبرتي/ الجزء الرابع/ طبعة مدبولي/ القاهرة ١٩٩٧/ ص٨٨٦ وما بعدها.

الأرض كلها. فأما رب العالمين القادر على كل شىء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم.

يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك لأعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه، والقرآن العظيم. أيها المشايخ والقضاة والأئمة، وأعيان البلد: **قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون**، واثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة، وطردوا منها الكوالرية (فرسان القديس يوحنا) الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين»[١]

أقول: هكذا صارت القبعة عمامة!! وصار نابليون شيخاً أزهرياً وأصبح جنده مسلمين أتقياء بررة!!! في الواقع إن نابليون يعلم سخف خطابه ولكنه يرسم سياسة جديدة لاجتذاب السذج من الناس واحتواء ذوي الأنفس الضعيفة من أمثال؛ الشيخ المهدي، والبكري. لذلك سبر نابليون غور أنفس المصريين فتقرب إليهم بالخزعبلات وإحياء الموالد كحضوره شخصياً في مولد النبي ﷺ واحتفاله بمولد الحسين رضي الله عنه لا حباً في الحسين وجده ﷺ بل لعلمه بأن هذه البدع تشغل الناس عن التفكير في جهاده وأجناده لدرجة أنه كان يحضر ولائم الأعراس وحفلات ختان الأطفال ، ناهيك عن حضوره الإحتفال بعيد الفطر وكسوة الكعبة التي كانت تهدى

[١] عجائب الآثار: ج٤/ص٦٦ ومابعدها.

سنوياً عبر المحمل من مصر إلي مكة المكرمة!! كل ذلك ثابت في مظانه. راجع أحداث شهر شعبان ١٢١٣هـ، وشهر شوال ١٢١٣هـ، وشهر صفر ١٢١٣هـ من كتاب عجائب الآثار/ج٤.

وفي أيامنا هذه نجد الأمريكان يسيرون على نفس التجربة البونابرتية فيمطرون أفغانستان بمنشورات فيها صورة أمريكي يمد يد المساعدة ويصافح أفغانياً قائلاً:

نحن نحبك ونحترم دينك وجئنا لنخلصك من الأشرار الأجانب أي الأفغان العرب، جئنا لنخلصك من حكم طالبان المتخلف!!! طالبان الذين دمروا أفغانستان!!! جئنا لنحارب الإرهاب وليس الإسلام!!!

لم يكتف الأمريكان بهذه المنشورات السخيفة؛ بل إنهم استخدموا الإذاعات المحلية، وبلغة القوم؛ البشتون والفارسي، وغيرهما؛ لنشر الأراجيف، مع وجود بعض المشايخ الذين يروجون لعدوانهم وتبرير غزوهم لهذا البلد المفترى عليها دائما من قبل الغزاة والطامعين.. وصدق الله فيهم جميعاً ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[١].

لقد استطاع نابليون أن يجند مجموعة من العلماء لتخدير الأمة، ولقتل روح المقاومة، والجهاد ضد المغتصب المعتدي تماماً كما تفعل بعض الأنظمة الحاكمة، الآن بتجنيد بعض العلماء لتبرير حالة الاستسلام المخزي لأعداء الأمة بغية إماتة روح المقاومة والجهاد لدى الأمة والرضا بالواقع المرير حتى يحافظوا على مناصبهم وعلى وراثة الحكم وانتقاله لأبنائهم وذراريهم.

وإليكم بيان من بعض علماء المؤسسة الدينية التي كانت بوقاً لنابليون

[١] الذاريات: آية ٥٣

وهم يخدرون الأمة، ويصفون من ينادي بالجهاد في سبيل الله بأنهم أصحاب فتنة والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها!!

أنقل البيان كما ذكره **نقولا الترك**[1] في كتابه (**الحملة الفرنساوية**

[1] نقولا الترك من تراجمة الشوام النصارى الذين اصطحبهم نابليون في حملته على مصر، كان شاعراً مادحاً لبونابرت لدرجة أنه دون سيرة نابليون شعراً ، أصل والده من تركيا استقر أبوه في سوريا واتصل بخدمة الأمير بشير الشهابي، ومدحه بعدة قصائد. وعندما دخل الفرنسيون مصر اصطحبوه معهم.
وهذا يجرنا إلى الحديث عن دور الشوام الكاثوليك في مصر، لقد جاء في المجلة التاريخية تحت عنوان (الشوام تراجمة في جيش بونابرت في مصر) مايلي: «ومن أهم الأعمال التي مارسها الشوام في مصر أثناء الحملة الفرنسية وظيفة الترجمة ذلك أن الحملة الفرنسية كانت في أشد الحاجة إلى مترجمين دائمين، ينقلون عنها الأوامر ويترجمون المنشورات ويسجلون محاضر الدواوين ويكونون وسطاء في نقل الحديث بين الحكام والمحكومين. هذا بالإضافة إلى أن الفرنسيين بعد أن استقروا في القاهرة، أخذوا يتتبعون من بقي من عائلات المماليك، ويهاجمون بيوتهم ويستولون على أموالهم، وكانوا في تنقلاتهم يستصحبون معهم المترجمين ليقوموا بنقل الحديث بينهم وبين زوجات الأمراء وأولادهم وخدمهم. فيذكر الجبرتي في حوادث شهر ربيع الأول سنة ١٢١٣هـ، أن جماعة من جنود الفرنسيين ذهبوا إلى بيت رضوان كاشف... وصحبهم ترجمان ومهندس. وقد وجد الفرنسيون ضالتهم في الشوام الكاثوليك لإجادتهم اللغتين الفرنسية والإيطالية إلى جانب معرفتهم باللغة العربية، ولاتفاق الطائفتين ـ الفرنسية والشامية ـ في اعتناق دين واحد ومذهب واحد. وقد اصطحب بونابرت معه في حملته على مصر مترجمين، أغلبهم من رهبان المدرسة المارونية الشهيرة في روما. ومن هؤلاء: إلياس فتح الله، ويوسف مسابكي، والراهب أنطون مشحرة الحلبي الذي نزع الأسايم والثوب الرهباني وتقلد السلاح. وبالإضافة إلى هؤلاء المترجمين الشوام الكاثوليك الذين أتوا مع الحملة، فقد استانت الحملة بمجموعة كبيرة من الشوام الكاثوليك، المقيمين بمصر. ومن هؤلاء التراجمة الذين استعانت بهم الحملة في أعمالها الرسمية: نصر الله النصراني ترجمان قائمقام بلياز، وعبود وميخائيل الصباغ حفيدا إبراهيم الصباغ، طبيب ومستشار الشيخ ظاهر العمر، وفي مصر نشأ الأخوان وعندما دخل الفرنسيون مصر اتصلا بهم، وقد خرجا مع الحملة في عام ١٨٠١ وذهبا إلى فرنسا. وفي فرنسا اتصل ميخائيل بالمستشرق الكبير دي ساسي في باريس، وعين مصححاً للمطبوعات العربية في المطبعة العربية بباريس، ثم ناظراً للمحفوظات الشرقية في المكتبة الأهلية، وقد توفي ميخائيل الصباغ بباريس سنة ١٨١٦. ومن المترجمين الشوام الذين اتصلوا بالحملة الفرنسية في مصر: إلياس حنانيا فرعون من أسرة فرعون الشهيرة التي غادر معظم أفرادها في عهد مراد وإبراهيم مصر. وكان إلياس فرعون وقت دخول الحملة الفرنسية مصر، معلم الجمارك بالبلاد وكان يجيد اللغات الإيطالية والفرنسية والتركية واليونانية إلى جانب معرفته بالعربية. وقد اتخذه بونابرت ترجماناً خاصاً وكاتماً لأسراره، عوضاً عن المستشرق الفرنسي الشهير Ventuer أكبر تراجمة الحملة الفرنسية، ومن أعضاء المجمع العلمي الفرنسي، الذي اتخذه بونابرت في مصر، والذي مات بالدوسنتاريا على أبواب عكا ١٧٩٩. وقد استمر إلياس فرعون بعد رحيل بونابرت عن مصر، مترجماً خاصاً، لكل من كليبر ومينو وعند خروج الفرنسيين من مصر عام ١٨٠١ لم يشأ أن يخرج معهم وفي عام ١٨٠٢ عندما أرسل بونابرت سبسايانس سفيراً للشرق طلب منه أن يسأل عند وصوله الإسكندرية عن إلياس فرعون وأن يستعلم منه أحوال مصر بعد خروج الفرنسيين منها، وأن يدعوه إلى فرنسا باسم القنصل الأول ليعينه في إحدى وظائف وزارة الخارجية، ورتب له معاشاً سنوياً قدره ستة آلاف فرنك لمدى الحياة ومنحه لقب قنصل فرنسا في

وماحدث من الوقايع المصرية) وهذا البيان قريب جداً من لغة الجبرتي مع اختلاف بسيط في بعض العبارات والألفاظ، أنقله بأخطائه اللغوية والإملائة كما هو ونصه كالتالي:

جزائر اليونان، واستقدم إلياس زوجته وأخاه يوسف من مصر واستوطن باريس، إلا أنه لظرف ما لم يتمكن من تولي الوظيفة التي عينه فيها بونابرت.
ومن التراجمة الشوام الذين استعانت بهم الحملة الفرنسية في مصر في أعمال الترجمة الشاعر نقولا الترك، صاحب سيرة نابليون والمديحة المشهورة فيه. وكان والده من القسطنطينية، وارتحل إلى دير القمر وهناك ولد له نقولا الذي نبغ في الأدب شعراً ونثراً واتصل بخدمة الأمير بشير الشهابي، وله فيه مدائح كثيرة، وعندمما دخل افرنسيون مصر، سافر إلى هناك، وقيل إن سيده الأمير بشير الشهابي هو الذي أرسله إلى مصر، ليدرس عن كثب مدى ما ترمي إليه أطماع الحملة الفرنسيين وفي مصر اتصل نقولا بالفرنسيين وترجم لهمم. ويعتقد البعض أن نقولا الترك قد غادر مصر مع الحملة الفرنيسية، في حين ظل بدمياط حتى عامم ١٨٠٥، فإن الخوري بولس قرالي يذكر أن القس أنون مارون ذكر في مذكراته الخاصة أنه: كان يرسل إلى رئيسه العزام بدير اللويزة ما يفيض نفقته عن منسوجات القطر المصري ووارداته، تارة بواسطة الخواجا نقولا الترك الشاعر الكاتب الشهير، لما سافر من مصر وتوجه إلى بر الشام في أغسطس ١٨٠٤ وديسمبر ١٨٠٥، وطوراً بواسطة يوسف عيروط. ويذكر الخوري بولس قرالي أيضاً، أنه قد ورد في سجل العماد الستة ١٨٠٥ بكنيسة دمياط الكاثوليكية اسم الطفل ميخائيل الترك، فلعله ابن رزقه نقولا..»راجع المجلة التاريخية المصرية المجلدان ٢٨ ، ٢٩ الشوام في مصر في القرن الثامن عشر/ د. عبدالله محمد عزباوي/ ص٢٦٩ إلى ٣٢٩ نقلاً عن الملحق رقم ٣٩ من كتاب عجائب الآثار/ ص١٠٨٢ إلى ١٠٨٤.

بيان من علماء الأزهر
يمدح القاعدين عن جهاد المحتل

«هذه صورة كتابات من العلماء والأعيان إلى الأقاليم وإلى البلدان: نخبركم يا أهل المداين والأمصار، وسكان الرياف والعربان، كباراً وصغاراً، إن إبراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك، ارسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات إلى ساير الأقاليم المصرية، لأجل تحريك الفتن بين المخلوقات. ويدّعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه. وذلك كله كذب وبهتان. وسبب ذلك أن حصل لهم شدة الغم والكرب والهم، واغتاظوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياهم، حيث ما وافقوهم على الخروج معهم وترك أعيالهم وأوطانهم، وأرادوا أن يوقعوا الفتن والشر بين الرعية والفرنساوية لأجل خراب البلاد وهلاك كل الرعية العباد، وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية. ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين، وأنها من حضرة سلطان السلاطين، لكان أرسلها جهاراً مع أغاوات من طرفه معينين. **ونخبركم أن الطايفة الفرنساوية، بالخصوص عن بقية الطوايف الإفرنجية، دايماً يحبون المسلمين وملّتهم، ويبغضون المشركين وطبيعتهم**. وهم أحباب لمولانا السلطان، قائمين بنصرته، وأصدقاء له ملازمين لمودته ومعونته، ويحبون من ولاه ويبغضون من عاداه. وكذلك بين الفرنساوية والمسكوب غاية العداوة الشديدة، لأجل عداوة المسكوب للإسلام وأهل الموحدين.

وأعلمهم أن المسكوب يتمنى الأخذ لاسلامبول المحروسة، ويعمل أنواع الحيل والدسايس المعكوسة في أخذ ساير الممالك العثمانية الإسلامية، لكنه لا يحصل على ذلك بسبب اتخاذ الفرنساوية وحبهم واعانتهم إلى الدولة العلية. ويريدون يستولون على أيا صوفيا وبقية المساجد الإسلامية، ويلبونها كنايس للعبادة الفاسدة والديانة القبيحة الردية. والطايفة الفرنساوية يعينون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله ولا يبقون منهم بقية، وننصحكم يا أيها سكان الأقاليم المصرية إنكم **لا تحركوا الفتن ولا الشر بين البرية، وإياكم أن تعارضوا العساكر الفرنساوية في شئ من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والبلية فإذا لا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا كلام المصرفين (المسرفين) الفساد في الأرض الغير مصلحين، فتصبحون على ما فعلتم نادمين، وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكل الملتزمين لتكونوا في أوطانكم سالمين وعلى أعيالكم وأموالكم آمنين** لأن حضرة السر عسكر الكبير أمير الجيوش بونابرته اتفق معنا أنه لا ينازع أحداً على دين الإسلام ولا يعارضنا فيما شرع من الأحكام ويرفع عن ساير الرعية الظلم ويقتصر عن أخذ الخراج ويزيل ما أبدعته الظلمة من المغارم ولا تعلقوا آمالاكم بإبراهيم ومراد وارجعوا إلى مالك الممالك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم عليه أفضل الصلوات والسلام.

الداعي لكم الفقير   السيد خليل البكري   نقيب الأشراف عفي عنه

الداعي لكم الفقير   مصطفى الصاوي   عفي عنه

الداعي لكم الفقير   محمد الأمير   مفتي المالكية   عفي عنه

الداعي لكم الفقير سليمان الفيومي المالكي عفي عنه

الداعي لكم الفقير موسى السرسي الشافعي عفي عنه

الداعي لكم الفقير عبد الله الشرقاوي عفي عنه

الداعي لكم الفقير محمد المهدي الحنفاوي الشافعي عفي عنه

الداعي لكم الفقير أحمد العريشي عفي عنه

الداعي لكم الفقير محمد الدواخلي الشافعي عفي عنه

الداعي لكم الفقير مصطفى الدمنهوري عفي عنه»[١]

أقول: انظر كيف استطاع نابليون أن يحارب بعض أمراء المماليك مثل مراد بك وإبراهيم بك، وبعض المتطوعين الذين يجاهدون الاحتلا ل الفرنسي من خلال هذه البيانات والمناشير التي كان يوقع عليها علماء المؤسسة الدينية؛ لتخدير الأمة، وقلب الحقائق والتلبيس على الناس بزعم أن نابليون يحب المسلمين ويحب الخليفة العثماني ويحترم مساجد المسلمين وشعائرهم!!

تأمل هذا الدور الخطير لهؤلاء العلماء الموقعين على بيانات نابليون وهم يصفون القيام بواجب الجهاد والدفاع عن أراضي المسلمين وأعراضهم ومقاومة المغتصب المعتدي بأنه فتنة (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها)! تأمل: التلبيس والاستشهاد بحديث في غير موضعه!! هذا على افتراض صحة الحديث! فالحديث ضعيف كما خرجه الشيخ محمد ناصر الدين

[١] أخبار الفرنساوية وما حدث من الوقايع في الديار المصرية: نقولا الترك/ الملحق رقم ٣٥ من عجائب الآثار تحقيق عبد العزيز جمال الدين/ الجزء الرابع/ ص٨٩٤ : ٨٩٦.

الألباني في سلسلة الأحاديث الشعيفة والموضوعة وأثرها السئ في الأمة برقم ٣٢٥٨ وكذلك في ضعيف الجامع الصغير رقم الحديث ٤٠٢٤ فعلى أية حال فالحديث معناه صحيح لكنه ضعيف ولا يجوز إسناده للنبي ﷺ. وهذا بيان آخر يناشد فيه العلماء الرعية ترغيباً وترهيباً والدعوة للتسليم بالأمر الواقع والرضا بالمكتوب والمقسوم عليهم بل والدعوة لنصرة سلطانهم أمير الجيوش نابليون:

بيان بالتسليم بالأمر الواقع

«ونخبركم أن حضرة السر عسكر المشار إليه يتجدد له كل يوم نية الخير والرحمة، ويحدث في تصميم الشفقة والرفاة. هذه نيته لكم في كل الأقطار المصرية، ويحصل لهم النجاح والصلاح، ويكمل في ساير اقطارها السرور والإصلاح. وتفرح أقاليمها على يد سلطانها بونابرته، بمشية (بمشيئة) الله الذي مكنه فيها، ونصره الله على من ظلم فيها من الممالك الردية، إلا ببذل همته ورأيه السديد في تكميل نظامها بغنايمهم لسيوفه الباترة، وتكمل زروعها الفاخرة وأنواع تجارتها الباهرة. ويحدث فيها برأيه وحسن تدبيره التحف من أنواع الحرف والصنايع النفيسة. ويجدد فيها ما اندثر من صنايع الحكما الأولين. ويرتاح في دولته كل الفقرا والمساكين. فالتزموا يا أهل الأرياف والفلاحين بحسن المعاملة والأدب، واجتنبوا في غيبته أنواع الكذب والقبايح، حتى يراكم، حين يقرب بعد هذا الشهر، قد أحسنتم المعاملة ومشيتم على الاستقامة. وينشرح صدره منكم ويرضى عليكم، وينظر إليكم

بعين الشفقة. وإن حصل منكم في غيابه أدنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار، ولا ينفعكم الندم، ولا يقر لكم قرار واعلموا أن ذهاب دولة المماليك بقضاء الله وقدرته، ونصرة سلطانكم أمير الجيوش عليهم بتقدير الله وأمره. والاقل يمتثل إلى أحكام الله ويرضى بمن ولاه. والله يؤتي ملكه من يشاء. والسلام عليكم ورحمة الله.

الداعي لكم الفقير عبد الله الشرقاوي رئيس الديوان الخصوصي عفى الله عنه

الداعي لكم الفقير السيد محمد المهدي الحنفاوي كاتم السر وباش كاتب الديوان عفى الله عنه»[١]

فرحة علماء الأزهر بسقوط يافا بأيدي الفرنسيين

تأمل! أيضاً ترويج علماء المؤسسة الدينية لاعتداء نابليون على مدينة يافا وفرحتهم بسقوط البلاد بأيدي الفرنسيين!! نختار بعض فقرات من هذا البيان:

«ونعرفكم يأهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته، وربطناه بأنواع الحرب (والآلات) والمدافع الكثيرة والقنابر الغزيرة، وفي مقدار ساعتين (يقلب) سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ثم نخبركم أن حضرة السر عسكر المشار إليه بونابرته، لمزيد رحمته وغزير شفقته خصوصاً بالضعفاء من الرعية، خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين، وإذا دخلوا إليكم بالقهر

[١] أخبار الفرنساوية: نقولا الترك/ الملحق رقم ٣٥ من عجائب الآثار/ ج٤/ ص٩١٢.

فأهلوكم أجمعين، فأمرنا أن نرسل إليكم هذا الخطاب أماناً كافياً لأهل البلد والأغراب، ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر ساعة واحدة. وإنني لكم من الناصحين القلبية (...) وفي الظهر من هذا اليوم، انخرق سور يافا وارتج، ونقب من الجهة التي ضرب فيها المدافع من شدة النار، ولا مرد لقضاء الله ولا مدافع، وفي الحال أمر حضرة السر عسكر بالهجوم عليهم، وفي أقل من ساعة ملكت الفرنساوية البندر والأبراج، ودار السيف في المحاربين، واشتد بحر الحرب وهاج، وحصل النهب فيها تلك الليلة.

وفي ثاني يوم الجمعة غرة شوال (١٢١٣هـ الموافق ٨ مارس ١٧٩٩) وقع الصفح الجميل من حضرة السر عسكر الجليل، ورق قلبه على أهل مصر من غني وفقير ومتجبر وحقير، الذين كانوا في يافا، وأعطاهم الأمان، وأمرهم بالرجوع إلى أوطانهم مكرومين وكذلك لأجل أن يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته، ويعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة، لكثرة تمكنه ومزيد اتقانه وتحصنه.

وقتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار في السيف والبندق، لما وقع منهم من الإنحراف، وأما الفرنساوية لم يقتل منهم إلا القليل، والمجاريح منهم ليس بكثير، وسبب ذلك سلوكهم للقلعة من طريق أمينة خافية عن العيون، وأخذوا ذخائر كثيرة وأموال غزيرة، ومسكوا المراكب التي في الميناء واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة، ووجدوا في القلعة أكثر من ثمانين مدفع، ولم يعلموا (أنه) مع مقادير الله، آلة الحرب لا تنفع، **فاستقيموا يا عباد الله وارضوا بقضاء الله، ولا تتعارضوا على أحكام الله، وعليكم بتقوى الله، واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء**. والسلام عليكم ورحمة الله.

الفقير السيد خليل البكري نقيب الأشراف بمصر حالاً عفا الله عنه

الفقير عبد الله الشرقاوي رئيس الديوان بمصر حالاً عفا الله عنه

الفقير محمد المهدي كاتم سر الديوان بمصر حالاً عفا الله عنه

طبع في مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة»[١]

تأمل! قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار!؛ لما وقع منهم من الانحراف!! هؤلاء المنحرفون هم المجاهدون الذين دافعوا عن أرضهم ودينهم في يافا!! بدل أن يحرضوا الأمة لمؤازرة إخوانهم في يافا!؛ إذا بهم يخذلونهم ويتهمونهم بالانحراف!!.

وتشتم لغة الشماتة بين ثنايا السطور!! وتأمل! أيضاً جند نابليون لم يقتل منهم إلا القليل!!.

هكذا جنود الصليبيين؛ لا يقتلون وإذا حدث فإنه قليل!! تماماً كما تفعل الماكينة الإعلامية الأمريكية في حربها الظالمة ضد شعب أفغانستان المسلم؛ فالجندي الأمريكي لا يقتل! ولا ينبغي أن يقتل! ولا يوجد لهم خسائر وإذا حدث وتسربت إلى وسائل الإعلام العالمية فإنه مجرد خطأ فني!!.

هكذا تفعل قوى الشر في كل مكان وزمان؛ تعتيم إعلامي حتى عن بني جلدتهم، والاستعانة بعلماء المؤسسة الدينية الرسمية التي صارت بوقاً؛ لكل محتل وغاصب، بل وصارت نشازاً عن توجهات جماهير الأمة.

ألم يعلم هؤلاء المشايخ؛ أن نابليون غدر بأهل يافا، وقتل هؤلاء الأسرى بعد أن أمنهم على حياتهم، وإن المرء ليعجب من عدم تنديد الجبرتي رغم جلالة قدره وانتقاده كثيراً لأفعال الفرنسيين الوحشية لم يستنكر هذا الجريمة

---

[١] أخبار الفرنساوي/ نقولا الترك/ الملحق رقم ٣٥ من عجائب الآثار/ج٤/ ص٩١٧ ، ٩١٨.

الشنعاء ولم يعلق عليها لقد اكتفى الجبرتي فقط بنشر البيان المذكورولم يعلق عليه كعادته!!!

والعجيب في الأمر أن ما فعله نابليون يناقض تماماً ما ذكره العلماء الموقعون على البيان المذكور؛ فبعد أن فتح نابليون يافا أباح لجنوده المدينة لمدة يومين كاملين؛ يفعلون بها، وبأهلها ما يشاؤون من قتل وتعذيب واغتصاب للحرائر، ونهب للدور وهتك للأستار!!

وخلال تجوالنا لهذه الحقبة التاريخية نجد مواقف متباينة لعلماء المؤسسة الدينية؛ فمنهم من قام بالدور المنوط به شرعاً، فقاوم وجاهد وحض وحرض الناس على قتال الفرنسيس المحتلين لديار الإسلام، وذلك بيّن في ثورتي القاهرة الأولى والثانية، ومنهم من رضي بالغاصب المحتل وتعاون مع الفرنسيس، ودافعوا عنهم بل صاروا بوقاً للعصابة الفرنسية في أرض مصر وهم ثلة من علماء المؤسسة الدينية أيضاً.

وهذه قراءة سريعة لبعض الأحداث التي جرت في هذه الفترة ومن خلالها سيظهر لنا دور علماء المؤسسة الدينية وتفاعلهم مع هذه الأحداث الخطيرة؛ نختار منها:

ثورة القاهرة الأولى

(١٠ جمادى الأولى ١٢١٣هـ / ٢١ أكتوبر ١٧٩٨م)

نجد الشيخ السادات يتزعم المقاومة وكاد جهاد العلماء والعامة يخرج الفرنسيين من مصر، ولكن قدر الله أن الفرنسيين؛ كانوا أكثر تنظيماً، وتعاملوا بوحشية وارهاب؛ لقمع هذه الثورة.

ونظراً لأهمية هذه الثورة نتكلم عنها باختصار:

«واجتمع المشايخ في الأزهر في اليوم التالي، وأرسلوا القراء يطوفون الأسواق ويقولون: «فليذهب كل من يوحد الله إلى الجامع الأزهر هذا يوم الجهاد في محاربة الكفار وأخذ الثأر. فاحتشدت الجماهير أمام الجامع الأزهر»[١]

ثم اندلعت الثورة في القاهرة والأقاليم الأخرى إلى أن أخمدتها الآلة العسكرية الفرنسية وتثبيط بعض علماء المؤسسة الدينية.

وقد كان هناك دور خطير لهذا الفريق من العلماء المثبطين؛ لقيام الأمة بدورها الجهادي المفروض عليها. باسم الدين توزع المنشورات البونابرتية!! ونابليون نفسه كان يستخدم هؤلاء المشايخ!.

ففي مذكرات نابليون التي أملاها على الجنرال **برتران في سانت هيلين** يقول: «في الساعة الثانية بعد الظهر كان كل شيء هادئاً خارج سور المدينة، وعندما تقدم رجال الديوان، وكبار المشايخ، ورجال الشريعة نحو

[١] تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل: المستر جورج يانج / تعريب علي أحمد شكري / مكتبة مدبولي / القاهرة / ص٣٩.

المتاريس المقامة في حي المسجد الأكبر، رفض الثوار السماح لهم بالمرور واستقبلوهم بطلقات البنادق. وكان الرد في الساعة الرابعة باصلائهم ناراً حامية من مدفعية القلعة»[١]

الشاهد هنا أن هناك فريقاً من علماء الأزهر كانوا مع نابليون كما جاء في مذكراته: (وعندما تقدم رجال الديوان وكبار المشايخ ورجال الشريعة)!! لكن كان هناك علماء مجاهدون؛ يقودون الثورة ضد الفرنسيس: «كان للثورة لجنة تديرها وتنشر دعوتها وتنظم صفوفها ومقرها في الأزهر وفي ذلك يقول ريبو: «لقد اجتمع إلى جانب تذمر الأهالي واستيائهم نشر الدعاية للثورة، **فكان الجامع الكبير المعروف بالأزهر لجنة لتدبير الثورة تعمل على إثارة الكراهية في نفوس الناقمين»**

ويقول نابليون في مذكراته: «**إن الشعب قد انتخب ديواناً للثورة ونظم المتطوعين للقتال واستخرج الأسلحة المخبوءة، وان الشيخ السادات انتخب رئيساً لهذا الديوان**، وذكر في تقريره إلى حكومة «الديركتوار» عن ثورة القاهرة أن لجنة الثورة كانت تنعقد بالأزهر. **فالأزهر إذن كان مركز الثورة في أواخر القرن الثامن عشر، وقد شغل هذا المركز بعد أكثر من مائة عام فإن الأزهر خلال سنة ١٩١٩م كان في فترة من الزمن المعسكر العام للثورة القومية التي قامت في مصر عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، والتاريخ يعيد نفسه»**[٢]

---

[١] راجع هامش عجائب الآثار تحقيق عبد العزيز جمال الدين/ ج٤/ ص١٣٢.

[٢] تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر: عبد الرحمن الرافعي/ دار المعارف/ القاهرة/ ج١ / ص٢٦٨.

أقول: هكذا سطر التاريخ لهؤلاء العلماء صحائف من نور تتوارثها الأجيال رمزاً للجهاد والذود عن حياض الإسلام فها هو ذا الجبرتي وهو شاهد عيان يذكر في تاريخه تراجم من مات في أحداث سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م وهم من العلماء الذين جاهدوا الفرنسيس وشاركوا في ثورة القاهرة الأولى نذكر منهم:

شهداء ثورة القاهرة الأولى

العلامة المجاهد الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوي:

يقول عنه الجبرتي في تاريخه:

«ومات العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوي الشافعي الأزهري، قرأ على والده وتفقه وأنجب ولم يزل ملازماً لدروسه حتى توفي والده فتصدر للتدريس. ولازم مكانه بالأزهر طول النهار يملي ويفيد ويفتي على مذهبه ويأتي إليه الفلاحون من جيرة بلاده بقضاياهم وخصوماتهم وأنكحتهم فيقضي بينهم ويكتب لهم الفتاوى في الدعاوى التي يحتاجون فيها إلى المرافعة عند القاضي وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه ويستمعون لقوله ويمتثلون لأحكامه. واشتهر ذكره وكان جسيماً عظيم اللحية فصيح اللسان. ولم يزل على حالته حتى اتهم في فتنة الفرنسيس المتقدمة ومات مع من قتل بيد الفرنساوية بالقلعة ولم يعلم له قبر».

الشيخ الفقيه عبد الوهاب الشبراوي:

يقول عنه الجبرتي : «الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح القانع الشيخ عبد الوهاب الشبراوي الشافعي الأزهري تفقه على أشياخ العصر وحضر

دروس الشيخ عبدالله الشبراوي والحفني والنبراوي وعطية الأجهوري وغيرهم وتصدر التدريس والإفادة بالجوهرية وبالمشهد الحسيني ويحضر دروسه الجم الغفير من العامة ويستفيدون منه ويقرأ به كتب الحديث كالبخاري ومسلم. ولم يزل ملازماً على حالته حتى اتهم في إثارة الفتنة وقتل بالقلعة شهيداً بيد الفرنسيس في أواخر جمادى الأولى من السنة ولم يعلم له قبر».

الفقيه الشاب الشيخ يوسف المصيلحي:

ومات «الشاب الصالح والنبيه الفاضل الفقيه الشيخ يوسف المصيلحي الشافعي الأزهري ، حفظ القرآن والمتون وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الصعيدي والنبراوي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ أحمد العروسي وحضر الكثير على الشيخ محمد المصيلحي وأنجب. وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح، ولم يزل ملازماً على حالته حتى اتهم أيضاً في حادثة الفرنسيس وقتل مع من قتل شهيداً بالقلعة».

حتى العميان جاهدوا الفرنسيس واشتركوا في ثورة القاهرة

وها هو ذا الجبرتي يحدثنا عن زعيمهم:

الشيخ سليمان الجوسقي:

«ومات العمدة الشهير الشيخ (سليمان الجوسقي) شيخ طائفة العميان. وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر».

ومن العلماء الذين اشتركوا في ثورة القاهرة، و قتلوا شهداء نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا:

الشيخ إسماعيل النبراوي:

يقول عنه الجبرتي: « ومات الأجل المفوه العمدة الشيخ إسماعيل النبراوي

بن أحمد النبراوي الشافعي الأزهري وهوابن أخي الشيخ عيسى النبراوي الشهير الذكر. وقتل مع من قتل شهيداً، ولم يعلم له قبر، غفر الله لنا وله»[١]

هؤلاء هم مصابيح الدجى الذين قاموا يوم أن قعد الناس وعملوا بما علموا وكانوا في طليعة المجاهدين الذين جاهدوا الفرنسيس وتركوا لنا زاداً على طريق الدعوة نتأسى بهم ونسير على هداهم كما ساروا هم على هدى الرسول ﷺ وسلف الأمة الصالح.

موقف بعض العلماء الذين كانوا بوقاً لنظام نابليون

أما الفريق الآخر؛ وهو فريق الخذلان والقعود والتثبيط فهم بعض علماء المؤسسة الدينية الذين عقدوا صفقة خاسرة مع الشيطان، وهم المقربون من السلطة أو أداة السلطة فانبروا بإصدار بيانين متتاليين: استنكار وبراءة من الأحداث، ووصفوا هذا الجهاد العظيم بالفتنة والفساد في الأرض، ووصفوا قادتها بالأشرار والخاسرين وسفهاء العقول والمنافقين، وأن بونابرت رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين..إلخ.

هكذا قام النظام بحملة دعاية مكثفة، ومنظمة ضد هؤلاء المجاهدين؛ مستخدمين علماء المؤسسة الدينية في إضفاء الشرعية على النظام، وأحداث بلبلة لدى عوام الناس لأن الموقعين على البيان هم أيضاً من مشاهير أهل العلم ويتكلمون باسم الدين أيضا، وهنا مكمن الخطورة.

وحيث إن البيانين متشابهان فسنكتفي بنشرواحد فقط:

[١] عجائب الآثار: ج٤/ ص٢٣٧ وما بعدها بتصرف.

بيان يندد بثورة القاهرة الأولى

«نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونبرأ إلى الله من الساعين في الأرض بالفساد، نعرف أهل مصر المحروسة أن طرف الجعيدية وأشرار الناس الذين حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية بعدما كانوا أصحاباً وأحباباً بالسوية، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت، لكن حصلت ألطاف الله الخفية، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته وارتفعت هذه البلية، لأنه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين. ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تتبعوا الأشرار ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لايقرأون العواقب لأجل أن تحفظوا أوطانكم وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم، فإن الله سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء ويحكم ما يريد، ونخبركم أن كل من تسبب في تحريك هذه الفتنة، قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد، ونصيحتنا لكم ألا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم، وادفعوا الخراج الذي عليكم، والدين النصيحة والسلام»[١]

ويعلق الأستاذ الرافعي على هذه البيانات بقوله: «هذه بيانات كبار العلماء للشعب عقب إخماد ثورة القاهرة، ولا حاجة إلى تبيان ما بها من

[١] تاريخ الحركة القومية: ج١ / ص٢٩٦، ٢٩٧.

الأغلاط والعبارات الركيكة، والأفكار السخيفة، فإن مجرد تلاوتها يغني عن البيان، وإذا كان المراد منها إسداء النصح للشعب بالتزام السكينة لما نزل به من الأهوال في خلال الثورة وبعد إخمادها فإن للنصح والإرشاد أساليب أرقى من تلك البيانات المملوءة نفاقاً وسخفاً، ولقد نشرناها بنصوصها لأنها من الوثائق التاريخية لذلك العصر»[١]

قد حاول الأستاذ الرافعي الدفاع عن هؤلاء المشايخ قائلاً:

«ومن الواجب تقريراً للحقيقة أن نقول إن هذه البيانات وغيرها مما نشر خلال الحملة الفرنسية على لسان العلماء قد أمليت تحت تأثير الضغط والإرهاب، وهذا ظاهر مما ذكره الجبرتي عن طريقة تحريرها، فقد قال عن البيان الأول: «واستهل شهر جمادى الثانية يوم السبت(١٢١٣هـ) وفيه كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها إلى البلاد وألصقوا منها نسخاً بالأسواق والشوارع»، وظاهر أنه يقصد الفرنسيين بكلمة «كتبوا» كما هو سياق العبارة في الكتاب، وقال عن البيان الثاني:«وفيه كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخاً للبلاد وألصقوا منها بالأخطاط والأسواق وذلك على لسان المشايخ أيضاً» [٢]

أقول: لكننا نتساءل لماذا لم ينضم هؤلاء المشايخ مع إخوانهم العلماء ومن ثم يكون هذا أعذر لهم عند الله وعند الناس.. وهل كان الشيخ المهدي مكرهاً على مجاراة الفرنسيس حذو القذة بالقذة!! ألم تثن عليه وتمدحه المراجع الفرنسية بل ونابليون ذاته؟!!

[١] المرجع السابق ج١ / ص٢٩٩

[٢] المرجع السابق ج١/ ص٢٩٩.

يقول الرافعي: «ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى ماورد في المراجع الفرنسية من أن الشيخ محمد المهدي سكرتير الديوان كان يتولى صوغ المنشورات التي يريد نابليون إذاعتها على لسان الديوان في قالب عربي مسجع، ولعل هذا هو السبب في امتداح نابليون للشيخ المهدي وتفضيله على باقي الأعضاء فقال عنه في مذكراته:

« إنه أذكى علماء الأزهر وأفصحهم لساناً وأكثرهم علماً وأصغرهم سناً لأنه باتفاق المراجع الفرنسية هو الواضع لمنشور نابليون في قالبه العربي، ولأن الثابت في رسالة نابليون التي بعث بها من يافا بتاريخ ١٠ مارس سنة ١٧٩٩ إلى المسيو بوسيلج مدير الشؤون المالية بالقاهرة أثناء الحملة على سوريا قوله فيها: «عليكم أن تأمروا بطبع كل المنشورات التي يبعث بها فانتور Venture إلى الديوان وأن تضيفوا إليها المحسنات والتنميقات التي يرى الشيخ المهدي ادخالها عليها وأن تنشروها في أنحاء مصر، فلم يبق شك في أن الشيخ المهدي هو الذي كان يتولى كتابة المنشورات التي يوعز بها الفرنسيون»[١]

أقول: وهل أجبر الفرنسيس الشيخ البكري أن يشرب معهم المنكر ويسامرهم في حفلاتهم الصاخبة؟!، وهل أجبر الفرنسيس زينب ابنة الشيخ البكري بالتبرج والسفور والخروج مع الجنود الفرنسيس في مجتمع كان يعتبر كشف الوجه جريمة محرم شرعاً؟!.

لذلك لا عجب أن يتباكى لويس عوض ومن على شاكلته على الشيخ خليل البكري وابنته؛ حيث يقول لويس عوض: «انظر مثلاً إلى

[١] المرجع السابق/الرافعي/ج١/ص٣٠٠.

مأساة زينب البكرية، بنت الشيخ خليل البكري نقيب الأشراف أيام الحملة الفرنسية، وإلى مأساة سيدة أخرى اسمها (هوى)، وإلى مآسي نساء أخر، قد رواها الجبرتي في تسعة سطور ولكن من يتأملها يجدها تمثل مأساة عصر كامل سقط بين حضارتين فدفع ثمناً رهيباً لاجترائه على تحدي القديم قبل انتصار الجديد. أما هذه البنت المسكينة، زينب البكرية، فقد جرت الشائعات يومئذ بأنها كانت على صلة ببونابرت، ولكن ليس هناك أي دليل أو سند تاريخي يثبت أنها كانت حقاً عشيقته، وربما كان كل ذنبها أنها «تبرجت» بلغة الجبرتي، أي سفرت ولبست الفستانات والمناديل الملونة. وخالطت المجتمع الفرنسي المختلط وتشبهت بالفرنسيات، وربما كان كل ذنب هذه الفتاة المسكينة التي كانت لا تتجاوز السادسة عشرة من عمرها حين جاء بونابرت إلى مصر، فاتخذوا منها بعد رحيل الفرنسيين وعودة العثمانيين كبش فداء انتقاماً من تعاون أبيها مع الفرنسيين وقبوله أن يقوم نقيباً للأشراف في ظلهم»[١]

أقول: هكذا يستبين لنا موقف علماء المؤسسة الدينية الذين شاركوا بالقول والفعل وانحيازهم لطائفة الأعداء المحتلين، كما يستبين لنا هشاشة حجة من يلتمس لهم الأعذار؛ فقد تكرر موقفهم المخزي في ثورة القاهرة الثانية (غرة ذي الحجة ١٢١٤هـ / ٢٠ مارس ١٨٠٠م). وكان من زعماء هذه الثورة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف، والحاج مصطفى البشتيلي، والسيد أحمد المحروقي كبير التجار، والشيخ الجوهري ابن الشيخ محمد

---

[١] تاريخ الفكر المصري الحديث: الدكتور لويس عوض/مكتبة مدبولي/القاهرة . ج٢ص١٩٨ مابعدها.

الجوهري، وكان من المحرضين على الثورة الشيخ السادات.

ورغم ذلك ندد فريق من علماء المؤسسة الدينية بهم؛ نفس البيانات ونفس الهجوم والتشويه المتعمد لهذا الجهاد المقدس!. ولم يكتف هؤلاء بالدعوة للنظام الفرنسي المحتل فحسب بل انبروا للدفاع عن أعداء الأمة وتسفيه وتحقير جهاد إخوانهم العلماء الذين قاوما الفرنسيس. ولا يفوتنا في هذا المقام؛ أن نستعرض على عجالة الموقف الرسمي لعلماء المؤسسة الدينية بخصوص قضية المجاهد السوري سليمان لحلبي رحمه الله الذي قام بالواجب الشرعي عندما قتل نائب نابليون وحاكم مصر في غيابه الجنرال (كليبر).

قضيـة سليمان الحلبي[1](٢٠ محرم ١٢١٥هـ / ١٤ يونية ١٨٠٠م)

[١] نقل الجبرتي محضر التحقيقات مع سليمان الحلبي رحمه الله في تاريخه نختار منها النص التالي الذي كتب بالعامية المصرية:
«عن أول فحص (استجواب) سليمان الحلبي نهار تاريخه خمسة وعشرون في شهر برريال (مايو) من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي في بيت ساري عسكر داماس مدبر الجيوش.
واحد فسيال (جندي) من ملازمين بيت ساري عسكر العام، حضر وبيده ما سك راجل من أهل البلد مدعياً أن هذا هو الذي قتل ساري عسكر العام كليبر. المتهوم المذكور، انعرف من الستوين (المواطن) بروتاين المهندس الذي كان مع ساري عسكر حين انغدر، لأنه أيضاً انضرب برفقته بالخنجر ذاته وانجرح بعض جروحات، ثانياً المتهوم المذكور كان انشاف بين جماعة ساري عسكر من حد الجيزة وانوجد مخبأ في «الجنينة» التي حصل فيها القتل، وفي الجنينة نفسها انوجد الخنجر الذي به انجرح ساري عسكر وبعض حوايج أيضاً بتوع المتهوم فحالاً بدى الفحص ببحضور ساري عسكر منو (الجنرال مينو) الذي هو أقدم أقرانه في العسكر وتسلم في مدينة مصر، والفحص المذكور صار بوسطة الخواجة براشويش (Brachwich) كاتم سر وترجمان ساري عسكر العام ومحرر من يد الدفتردار سار تلون الذي أحضره ساري عسكر منو لأجل ذلك المتهوم المذكور.
انسال (سئل) عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته؟
فجاوب: أنه يسمى سليمان ولادة بر الشام وعمره أربعة وعشرون سنة، ثم صنعته كاتب عربي وكانت سكنته في حلب.
انسال كم زمان له في مصر؟
فجاوب:أنه بقى له خمسة أشهر وأنه حضر في قافلة وشيخها يسمى سليمان خوربجى.
انسال عن ملته.
فجاوب: أنه من ملة محمد وأنه كان سابقاً سكن ثلاث سنين في مصر، وثلاث سنين في مكة

والمدينة.
انسال: هل يعرف الوزير الأعظم وهل له مدة ما شافه؟
فجاوب أنه ابن عرب ومثله ليس يعرف الوزير الأعظم.
انسال عن معارفه في مدينة مصر.
فجاوب أنه لم يعرف أحداً وأكثر قعاده في الجامع الأزهر وجملة ناس تعرفه، وأكثرهم يشهدون في مشيه الطيب.
انسال: هل راح صباح تاريخه الجيزة؟
فجاوب نعم، وأنه كان قاصد ينشبك كاتب عند أحد، ولكن ما قسم له نصيب.
انسال عن الناس الذين كتب لهم أمس؟
فجاوب أن كلهم سافروا.
انسال كيف يمكن أنه لم يعرف احداً من الذين كتب لهم في الأيام الماضية وكيف يكونون كلهم سافروا.
فجاوب أنه ليس يعرف الذين كان يكتب لهم وأنه غير ممكن أن يفتكر أسماهم.
انسال من هو الأخراني الذين كتب لهم؟
فجاوب أنه يسمى محمد مغربي السويسي بياع عرقسوس وأنه ما كتب لأحد في الجيزة.
وانسال ثانياً عن سبب روحته الجيزة؟
فجاوب دايماً أنه قاصد أن ينشبك كاتباً.
انسال كيف مسكوه في جنينة ساري عسكر؟
فجاوب أنه ما انمسك في الجنينة بل في عارض الطريق.
فذاك الوقت انقال له إنه ما ينجيك إلا الصحيح لان عسكر الملازمين مسكوه في الجنينة وفي المحل ذاته انوجدت السكينة وفي الوقت انعرضت عليه؟
فجاوب صحيح أنه كان في الجنينة ولكن ما كان مستخبي بل قاعد لأن الخيالة كانت ماسكة الطرق وما كان يقدر أن يروح للمدينة وأن ما كان عنده سكينة ولم يعرف أن كان هذا موجود في الجنينة.
سيل (سئل): لأي سبب كان تابع ساري عسكر من الصبح؟
فجاوب أنه كان مراده فقط يشوفه.
انسال هل يعرف حتة قماش خضرة التي باينة (ظاهرة) مقطوعة من لبسه وكانت انوجدت في المحل الذي انغدر فيه ساري عسكر؟
فجاوب: بأن هذه ما هي تعلقه (أي لا تخصه).
انسال: إن كان تحدث مع أحد في الجيزة وفي أي محل نام؟
فجاوب: إنه ما تكلم مع ناس إلا لأجل مشترى بعض مصالح وأنه نام في الجيزة في جامع.
فأشاروا على جروحاته التي ظاهرة في دماغه وقيل له إن هذه الجروحات بينت أنه هو الذي غدر سار عسكر لأنه أيضاً الستوين بوتاين الذي كان معه عرفه وضربه كام عصايه الذين جرحوه؟
فجاوب: أنه ما انجرح إلا ساعو ما مسكوه.
انسال: هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين كاشف أو مع مماليكه؟
فجاوب أنه ما شافهم ولا كلمهم.
فلما أن كان المتهوم لم يصدق في جواباته أمر ساري عسكر أنهم يضربونه حكم عوايد البلاد، فحالاً انضرب لحد أنه طلب العفو ووعد أنه يقر بالصحيح فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده، وصار يحكي من أول جديد كما هو مشروح.
انسال: كم يوم له في مدينة مصر؟
فجاوب أنه له واحد وثلاثون يوماً وأنه حضر من غزة في ستة أيام على هجين.

لقد ظلم هذا البطل المجاهد ظلماً تاريخياً؛ سواء على المستوى الرسمي للمؤسسة الدينية التي أدانته وتبرأت من فعلته، أو على المستوى التاريخي؛ حيث لم ينصفه معظم من كتب في تاريخ هذه الحقبة وكانوا يمرون على ذكره في عبارة تاريخية موجزة فهو مجرد قاتل للجنرال الفرنسي كليبر فقط ، ويلتزمون الصمت ولا يعلقون على الحدث!!,

لقد ظلموا بحق هذا الطالب الأزهري المجاهد لقيامه بالواجب الشرعي في قتل عدو مغتصب محتل لبلد إسلامي؛ فسارعوا في التنديد به وباتهامه بالعمالة لصالح المماليك ولم يترحموا عليه، ولا حتى على المشايخ الذين قطعت رقابهم بتهمة علمهم بمقصد سليمان الحلبي ولم يبلغوا السلطات.

ويصف لنا هنري لورنس بعض ما حدث:

«ولحسن الحظ يتم العثور على القاتل الذي كان قد لاذ بحديقة مجاورة. وهو حلبي اسمه سليمان. ويجري على الفور التحقيق معه وتعذيبه على يد بارتيلمي[١] الذي يحصل على كل حقائق المسألة. لقد تصرف الرجل بمفرده. **وقد اكتفى بكشف لمشايخ من الأزهر حاولوا ثنيه عنه دون أن يقوموا مع ذلك بإبلاغ السلطات الفرنسية**. ويجري دعوة الشيخين الشرقاوي والعريشي إلى الإجتماع فوراً وتصدر إليهما الأوامر بالتحرك لإلقاء القبض على عدد من الأزهريين. وتجتمع محكمة عسكرية في ١٥ و ١٦ يونيو، **وتحكم على الحلبي بقطع زنده، وبخوذقته علناً. ولا يحق للأزهريين غير**

انسال: لأي سبب حضر من غزة؟ فجاوب لأجل أن يقتل ساري عسكر العام.» راجع بالتفصيل هذه التحقيقات في تاريخ الجبرتي ج٤/من ص٤٦٤ إلى ص٥١٢.

[١] رجل من نصاري الشام تلقبه العامة بفرط الرومان لاحمرار وجهه.

الإكتفاء بقطع رؤوسهم. وبعد الدفن، يتحرك الحاضرون لمشاهدة عذاب إعدام القاتل. ويجري البدء بقطع رؤوس المشايخ المرتعدين، ثم يحرق بارتيملي(فرط الرومان) زند القاتل ويتجه إلى خوزقته. ويتصرف الحلبي بشجاعة، مردداً الشهادتين وآيات من القرآن»[١]

وقد كانت المحكمة العسكرية الفرنسية حكمت عليه بأن يحرق معصم يده اليمنى، ثم يغرس في مؤخرته وتد ليخترق أمعاءه، ثم يترك وحيداً وبه الوتد إلى أن تأتي الغربان والطيور الجارحة لتنهش جسده. ونفذ هذا الإعدام على تل حصن المجمع فور دفن القائد العام كليبر، أمام جنود الجيش وسكان القاهرة المجتمعين لتشييع جنازة كليبر!! وقد حكمت المحكمة غيابياً بالإعدام على الشيخ سعيد عبد القادر الغزي ومصادرة أمواله لصالح الجمهورية الفرنسية، وحكمت حضورياً على محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالي بقطع رؤوسهم وعرضها في مكان اعدام المذنبين!! رحمة الله عليهم جميعاً.

جثة سليمان الحلبي وجمجمته في متحف باريس!!

ولم يكتف الفرنسيون بوضع سليمان الحلبي على خازوق حتى الموت!! بل إنهم أحتزوا رأسه وعرضها في أشهر متاحف باريس أو كما ذكر هنري لورنس: «**وبما أن الروح العلمية لا تغيب أبداً. فإن (لاري) ـ أحد علماء الحملة – ينجح في أخذ جثمان سليمان الحلبي لضمه إلى مجموعته.**

---

[١] الحملة الفرنسية في مصر: هنري لورنس وأخرون/ ترجمة بشير السباعي/ سينا للنشر/ القاهرة/ ص٥٠٢ ، ٥٠٣

وعلى مدار سنوات سوف يجري عرض جمجمة قاتل كليبر على طلبة الطب سعياً إلى تمكينهم من رؤية علامة الجريمة والتعصب!! قبل أن تنتهي إلى متحف الإنسان»[١]

أقول: انظر إلى عبارة (لضمه إلى مجموعته!!) .. وكأنه يتكلم عن أحد هواة جمع الطوابع البريدية!!! وفي الوقت المعاصر نجد تجاهلاً شبه متعمد قبل سليمان الحلبي رحمه الله.

وكنا نود أن ينال الحلبي حيزاً مقبولاً ومعقولاً في كتب التاريخ الإسلامي؛ لكن لم يحدث ذلك حتى من بعض المحترمين المشتغلين بالدراسات التاريخية ولهم باع طيب وجهد مشكور في تقديم وتبسيط التاريخ الإسلامي على وجه الإجمال؛ فمثلاً لم يعلق الأستاذ محمود شاكر في تاريخه على قضية سليمان الحلبي، ومر مرور الكرام! وذكر مقتل كليبر كسرد تاريخي أي نقطة عابرة إذ يذكر هذه الحادثة الكبيرة وهذا البطل العظيم بعبارة موجزة: «وعاد كليبر إلى التفكير بالبقاء على مصر إذ ليس له طريق آخرى يسلكها فبدأ ينظم الأمور وبينما هو كذلك إذ طعنه سليمان الحلبي طعنة أردته قتيلاً»[٢]

أقول: نتمنى أن يقوم بعض الغيورين على دينهم، وتاريخهم العظيم، بتقديم دراسة موضوعية حول شخصية سليمان الحلبي، وتقديمه للشباب المسلم في أحسن صورة؛ لا كما يقدمه بعض وسائل الإعلام في أيامنا؛ كرجل يعمل بالأجر لصالح أحد باكوات المماليك مجرد قاتل محترف ومرتزقة في ساحة الصراع السياسي والله يعلم أن هذا الرجل المسكين سليمان الحلبي براء من هذه الترهات وهذه الخلفيات التاريخية المشبوهة.

---

[١] المرجع السابق/ الحملة الفرنسية/ ص٥٠٣ .

[٢] التاريخ الإسلامي: محمود شاكر/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ج٨ / ص٤٧٨ .

أثر الحملة الفرنسية على مصر

«لقد كان لهذه الحملة الفرنسية أسوأ الأثر على مصر خاصة وعلى البلدان المحيطة بها عامة، ونستطيع أن نعد هذه الحملة بدءاً للهزيمة النفسية المسلمة في مصر، وبدءاً لمرحلة معرفة أوروبا لضعف الدولة العثمانية وهذا ما شجع الصليبية على دفع عجلة الهجوم النصراني على العالم الإسلامي. لقد بدأت المفاسد تستشري في جسم الأمة نتيجة التصرفات التي قام بها الفرنسيون من مفاسد خلقية واجتماعية ومعاقرة للخمر جهاراً، وهم أصحاب الحضارة وهذا ما شجع بعض السابقين في الهزيمة النفسية إلى الدعوة إلى التقليد والسير على خطاهم»[١]

أقول: هكذا استطاعت كلاب الربيع ـ حسب وصف أحد المؤرخين لهم (جيوش نابليون!!) أن تكرس مفاهيم وتضع لبنات في كيفية التعامل مع المؤسسات الدينية وكيفية احتوائها بل واستخدامها لمصلحة السلطة.. لقد فعل نابليون في بضع سنين ما لم تستطع أن تفعله الحروب الصليبية على مدار قرنين من الزمان. لذلك فإن الأفكار «البونابرتية» كانت المنطلق الأساسي لمحمد على باشا وأسرته المتسلطة على حكم مصر والشام ردحاً من الزمن.

---

[١] المرجع السابق التاريخ الإسلامي: ج٨ / ص٤٨٠. راجع أيضاً كتاب: مائتا عام على المنافقين الفرنسيس: الدكتورة زينب عبد العزيز ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٩٩٨.

الفصل الثاني

محمد علي باشا

فترة حكمه من(١٨٠٥ـ١٨٤٨)

من هو محمد علي باشا؟[١]

جندي ألباني من مدينة (قَوَلَه) أحد المواني الصغيرة التي على الحدود بين تراقية ومقدونية ولد عام ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

اسم أبيه إبراهيم أغا، كفله صديق أبيه (جربتجي) ، حتى إذا بلغ أشده انخرط في سلك الجهادية، فأظهر في جباية الضرائب، والتسلط، جعلت

[١] محمد على باشا ابن إبراهيم أغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير: مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، مستعرب، ولد في قولة (التابعة لليونان، وكانت من البلاد العثمانية) سنة ١١٨٤هـ الموافق ١٧٧٠م، واحترف تجارة الدخان، فأثري. وكان أمياً، تعلم في الخامسة والأربعين من عمره، وقدم مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعة جهزتها (قولة) تتألف من ٣٠٠ رجل، نجدة لرد غزاة الفرنسيس عن مصر، فشهد حرب أبي قير سنة ١٢١٤هـ وجامل المماليك فناصروه مع الألبانيين وأتراك قولة. وما زال حتى كان والي مصر سنة ١٢٢٠ هـ في حديث طويل، فعني بتنظيم حكومتها، وقتل المماليك سنة ١٢٢٦هـ بوسيلة تقوم على الغدر (كما يقول صاحب المجمل في التاريخ المصري) وأنشأ السفن في النيل، وضم معظم السودان الشرقي إلى مصر، وأنشأ في الإسكندرية دار صناعة (ترسانة) للسفن. واضطربت الدولة العثمانية لتوسع السعوديين (في دولتهم الأولى) بالحجاز وغيره، فانتدبته، كما انتدبت واليها ببغداد والشام لحربهم، فكانت له معهم وقائع معروفة. وشارك في حرب (المورة) واستولى على سورية ولم تلبث أن انتزعت منه بعد أن جعلت له الدولة العثمانية حكم مصر وراثياً سنة ١٢٥٧هـ وكثرت في أيامه المدارس والمعامل في الديار المصرية، وأرسل البعثات لتلقي العلم في أوربة. وكان يحتم على من يدخل في خدمته من الإفرنج أن يتزيوا بالزي العربي (المصري) ويتكلموا اللغة العربية ويؤلفوا بها أو ينقلوا كتبهم إليها. واعتزل الأمور لابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضاً إلى أن توفي بها، في ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٩م ودفن بالقاهرة. ومما كتب في سيرته (البهجة التوفيقية) لمحمد فريد, و(محمد علي) لإلياس الأيوبي، و(محمد علي وعصره) لعبد الرحمن زكي، و(محمد علي الكبير) لشفيق غربال» انظر الأعلام/ الزركلي/ج٦/ص٢٩٨ وما بعدها بتصرف.وكذلك: صفوة العصر: زكي فهمي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة طبعة ١٩٩٥ من ص٣٩.

«جربتجي» يرقيه إلى رتبة بلوك باشي ويزوجه سيدة ذات مال، وأعانته ثروة زوجته على الإتجار في الدخان. فترك الجهادية، واشتغل بالتجارة، **وخاصة تجارة التبغ، وهذا سر عنايته بهذه التجارة وتشجيعه إياها عندما ولي مصر**. وظل يواصل التجارة حتى سنحت له الفرصة عندما أرسل الباب العالي مجموعة من الجند لمحاربة الفرنسيين، وكان محمد علي ضمن هذه الفرقة.. وظل يتقرب إلى العلماء (المؤسسة الدينية)، وكانت مستقلة حتى ذلك الحين.. حتى وثقوا به، وكان المناخ السياسي مواتياً ومناسباً لطموحات هذا الجندي النكرة، ثم نصبه علماء الأزهر وأعيان مصر والياً عليهم بعد أن أخذوا عليه العهود والأيمان أن يسوسهم بشرع الله.. ثم بدأ حكمه بجريمة قتل جماعي أوما يسمى في كتب التاريخ بمذبحة القلعة وقد «بلغ عدد من دعي من المماليك إلى الوليمة ٤٠٠ لم ينج منهم منهم إلا اثنان»[١]

أقول: محمد علي طبقاً للشريعة الإسلامية قاتل وسفاك للدماء ونحن نتساءل لماذا سكت العلماء عن التنديد بهذه الجريمة ؟! وكيف استمروا يؤيدون هذا السفاح ؟! «**وإن المرء ليعجب مثلاً من اختيار العلماء لرجل مثل محمد علي باشا ليتولى أمورهم، وإصرارهم عليه في وقت خلت البلاد من حاكم، لتتابع الثورات**. ويثور في نفسه هذا التساؤل: **أما كان أحدهم جديراً بهذا المنصب الخطير، وأولى به من عسكري جاهل مغرور من جملة العساكر الذين غالباً ما يتصفون برقة الديانة والانتهازية والبطش، أم أن العلماء فقدوا الثقة بأنفسهم فصاروا يتهيبون النزول إلى الميدان، وتحمل المسؤوليات العظام، لأنهم قد ألفوا الركون إلى حلقات**

[١] تاريخ مصر: مرجع سابق/تعريب أحمد علي شكري/ص٧٢.

العلم وتأليف الكتب، ولم يعودوا قادرين على القيام بغير ذلك من مهمات ومسؤوليات»[١]

أقول: انظر إلى إصرار العلماء العجيب في تولية محمد علي ودفاعهم عنه؛ بل وإرسال الرسل، والرسائل لدى الباب العالي في استنبول؛ بإعلان استمساكهم بمحمد علي والياً عليهم رغم أن إرادة الدولة العثمانية على عكس مطلبهم!!

«وحينئذ اجتمع علماء البلد ووجهاؤها، وأقاموا محمد علي ولياً على مصر، فقام إليه الشيخ الشرقاوي و(السيد عمر مكرم) نقيب الأشراف وألبساه (الكرك) ـ أي خلعة السلطنة ـ إيذاناً بالولاية وكان في يد السيد عمر(مكرم) أمر العامة في جميع أنحاء مصر، لا يعصون له أمراً. فأيد أمر محمد علي بنفوذه وجاهه أكثر من ٤ سنين تأييداً لم يقم به أحد مثله. وأرسل العلماء رسولاً إلى الباب العالي ليلتمس العفو عما فرط منه في حق الوالي ويرجو اعتماد تنصيب محمد علي خلفاً له. فعلم السلطان من ذلك مقدار ميل الأهلين لمحمد علي، وأيقن أنه أصبح صاحب الكلمة العالية في مصر. فوافق على تنصيبه والياً عليها في ربيع الثاني سنة ١٢٢٠هـ / يوليه ١٨٠٥م»[٢]

أقول: ثم ما انفك محمد علي أن عض اليد التي ساعدته بل انه بترها وقطعها، واستغل فرقة العلماء وبعض ضعاف النفوس منهم فأكلهم واحداً تلو الآخر!!

[١] الانحرافات العقدية والعلمية: علي بن بخيت الزهراني/ دار الرسالة للنشر والتوزيع/ ص٦٠٨ ، ٦٠٩.

[٢] تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر: عمر الإسكندري و سليم حسن وراجعه الكابتن أ.ج.سفدج / مكتبة مدبولي / القاهرة/ ص١٢١،١٢٠.

«ومن الأمور المحزنة التي كانت تقع بين العلماء حدوث المنافسات والضغائن بينهم واستعانة بعضهم بالحكام واستعداء السلطة عليهم، ومتى ما حدث ذلك فإنها تسنح الفرصة للطغاة لإنزال ضرباتهم الموجعة لتقويض صف العلماء، كالخلاف الذي وقع بين الشيخ عبدالله الشرقاوي شيخ الأزهر، وبين بعض المشايخ الآخرين حيث ترتب على ذلك الخلاف صدور الأمر من محمد علي باشا إلى الشيخ الشرقاوي بلزوم داره وعدم الخروج منها ولا حتى إلى صلاة الجمعة، وسبب ذلك كما يقول الجبرتي: فأغروا به الباشا ففعل به ما ذكر ولم يجد ناصراً وأهمل أمره»[١]

أقول: هكذا كان محمد علي يستخدم سياسة (فرق تسد)!!.. بين العلماء.. لكن المؤلم أن العلماء هم الذين أعطوه هذه الفرصة فكيف استطاع محمد علي أن يتخلص من السيد عمر مكرم نقيب الأشراف وأكبر وأعظم شخصية عامة ومحبوبة لدى الجماهير بل بإشارة منه كانت مصر تموج بالثورة ضد ظلم الحكام، فكيف بكل هذه السهولة يطرد ويهان وتحدد أقامته وتقوم الماكينة الإعلامية باسم علماء المؤسسة الدينية وتحت اشراف محمد علي شخصياً بحملة تشنيع شرسة في حق هذه الشخصية الجهادية العظيمة؟!!

فبعد أن تمسكن محمد علي ثم قوي عوده؛ عاث في الأرض فساداً، وظلم نظار الأراضي، ونشر بعض البدع والخرافات، ثم لما ضاق الناس ذرعاً بهذا الظلم، حضر كثير من الناس والعامة وأهل السجون .كما في الجبرتي . وهم يصرخون ويستغيثون بالمشايخ، وأرسلوا إلى السيد عمر مكرم نقيب

---

[١] الإنحرافات العقدية: مرجع سابق/ص٦٠٩.

الأشراف فحضر إليهم واجتمعوا ثم كتبوا (عرضحال)، إلى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختم الأمتعة وحبس الناس بلا ذنب، وذلك بعد أن جلسوا مجلساً خاصاً وتعاهدوا وتعاقدوا على الإتحاد وترك المنافرة. ثم جاء مندوب الباشا وطلب منهم أن يذهبوا يكلموا الباشا شخصياً وبنص الجبرتي: «فقال ينبغي ذهابكم إليه وتخاطبونه مشافهة بما تريدون وهو لا يخالف أوامركم ولا يرد شفاعتكم وإنما القصد **أن تلاطفوه في الخطاب لأنه شاب مغرور جاهل وظالم غشوم ولا يقبل نفسه التحكم وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم** وعدم انفاذ الغرض فقالوا بلسان واحد لا نذهب إليه أبداً مادام يفعل هذه الفعال فإن رجع عنها وامتنع عن إحداث البدع والمظالم عن خلق الله رجعنا إليه وترددنا عليه، كما كنا في السابق فإننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور»[1]

أقول: هكذا كان رد العلماء بقياد السيد عمر مكرم قوياً وكأنهم شعروا بالندم بسبب اختيارهم لهذا الجاهل المغرور حاكما عليهم، ولو أنهم استثمروا هذا الموقف وبقي اتحادهم لما استطاع محمد علي أن يبقى في الحكم ولطرد وعزل كولاة مصر السابقين.

لكن الحقد والحسد الذي أكل قلوب بعض العلماء تآمروا سراً وانتهزوا الفرصة وخالفوا ما أجمع عليه العلماء في الأزهر فذهبوا إلى الباشا وطلعوا القلعة حيث مقر السلطنة وكان الذي تولى كبر ذلك الشيخ المهدي صاحب نابليون!! والشيخ الدواخلي.

ويصور لنا الجبرتي هذا المشهد المخزي: «ثم قام المهدي والدواخلي وخرجا

[١] تاريخ الجبرتي: نسخة دار الجيل / بيروت / ج٣ / ص٢٦٦ ، ٢٦٥

بصحبة ديوان أفندي والترجمان وطلعوا إلى القلعة وتقابلوا مع الباشا ودار بينهم الكلام وقال في كلامه أنا لا أرد شفاعتكم ولا أقطع رجاءكم والواجب عليكم إذا رأيتم مني انحرافاً أن تنصحوني وترشدوني، ثم أخذ يلوم على السيد عمر مكرم في تخلفه وتعنته ويثني على البواقي، وفي كل وقت يعاندني ويبطل أحكامي ويخوفني بقيام الجمهور فقال الشيخ المهدي هو ليس إلا بنا وإذا خلا عنا فلا يسوى بشئ ان هو إلا صاحب حرفة أو جابي وقف يجمع الإيراد ويصرفه على مستحقيه، فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ووافق ذلك ما في نفوسهم من الحقد للسيد عمر!! **ثم تناجوا معه حصة وقاموا منصرفين مذبذبين ومظهرين خلاف ما هو كامن في نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس غير مفكرين في العواقب وحضروا عند السيد عمر وهو ممتلئ بالغيظ مما حصل من الشذوذ ونقض العهد**»[١]

هكذا استطاع محمد علي باشا أن يزرع طابوراً خامسا من العلماء يعملون لمصلحته لكن لم يكتف محمد علي ببث الفرقة بين العلماء بل قام بحملة تشنيع واتهامات باطلة وملفقة ضد السيد عمر مكرم وللأسف الشديد فإن الذين قاموا بهذا الدور المخزي مجموعة من العلماء أيضاً!! وكما يقول الجبرتي: «ونمق مشايخ الوقت عرضحال في حق السيد عمر بأمر الباشا ليرسله صحبة السلحدار وذكروا فيه سبب عزله ونفيه من مصر وعدوا له مثالب ومعايب وجنحا وذنوباً، وكتبوا عليه أسماء المشايخ وذهبوا به إليهم ليضعوا ختومهم عليه فامتنع البعض من ذلك وقال هذا كلام لا أصل له ووقع بينهم محاججات ولام الأعاظم الممتنعين على الإمتناع وقالوا لهم أنتم

---

[١] تاريخ الجبرتي: مرجع سابق/ص٢٦٧.

لستم بأورع منا وأثبت لنفسه ورعاً وحصل بينهم منافسات ومخالفات، وكان من الممتنعين السيد أحمد الطحطاوي الحنفي فزادوا في التحامل عليه»[١]

أقول: بل إنهم عزلوا هذا الشيخ المسكين الشيخ أحمد الطحطاوي من إفتاء الحنفية، ثم اعتكف في داره لا يخرج منها إلا للصلاة واعتزلهم وترك الخلطة بهم وتباعد عنهم وهم يبالغون في ذمه والحط عليه لكونه لم يوافقهم في شهادة الزور.

ويذكر الجبرتي سبب ذلك: «والحامل لهم على ذلك كله الحظوظ النفسانية والحسد مع أن السيد عمر كان ظلاً ظليلاً عليهم وعلى أهل البلدة ويدافع عنهم وعن غيرهم، ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية، ولم يزالوا من بعده في انحطاط وانخفاض»[٢]

أقول: لقد دأب كثير من الكتاب على الهيام بمحمد علي باشا كقولهم رائد النهضة المصرية الحديثة بل نعتوه بما لم يستحقه مثل قولهم إنه كان محباً للدين مدافعاً عنه!! ومنهم من قال: إن الدين دعامة سلطانه!! لكن يرد عليهم أحد علماء المؤسسة الدينية وهو الشيخ محمد عبده[٣] الذي يقول: «**أي دين كان دعامة لسلطان محمد علي؟! دين التحصيل (يعني الضرائب)!! دين الكرباج!! دين من لا دين له إلا ما يهواه ويريده!! وإلا فليقل لنا أحد من الناس أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحة للدين الإسلامي الجليل؟.. لا يذكرون إلا المسألة الوهابية، وأهل الدين يعلمون أن الإغارة فيها كانت على الدين لا للدين!! إنما كانت مسألة**

[١] تاريخ الجبرتي: مرجع سابق/ص ٢٧٣ ، ٢٧٤.

[٢] المرجع السابق / ص٢٧٤ .

[٣] الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: الدكتور محمد عمارة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠.

محضة تبعثها جراءة محمد علي، على سلطانه العثماني، وكان معه ما كان مما هو معروف. مع أخذ ما كان للمساجد من الرزق، وأبدلها بشئ من النقد يسمى فائض رزنامة لا يساوي جزءاً من الألف من إيرادها. وأخذ من أوقاف الجامع الأزهر ما لو بقي له اليوم (أي في بداية هذا القرن) لكانت غلته لا تقل عن نصف مليون جنيه في السنة، وقرر له بدل ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة. وقصارى أمره في الدين، أنه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو إجلاسهم على الموائد لينفي من يريد منهم إذا اقتضت الحال ذلك، وأفاضل العلماء كانوا عليه في سخط.. ماتوا عليه. ولا أظن أن أحداً يرتاب ـ بعد عرض تاريخ محمد علي ـ على بصيرته أن هذا الرجل كان تاجراً زارعاً، وجندياً باسلاً، ومستبداً ماهراً، لكنه كان لمصر قاهراً، ولحياتها الحقيقية معدماً»[١]

ويحضرنا في هذا المقام شهادة من داخل الأسرة العلوية ذاتها: **إذ يقول عباس باشا عن جده محمد علي**: «لقد كان جدي يعتقد أنه حاكم مطلق، وقد كان كذلك بالنسبة لنا وبالنسبة لخادميه ولأطفالنا، **غير أنه كان مستعبَداً للقناصل العموميين**»[٢]

أقول: لقد كان محمد علي باشاً أسداً على المسلمين!! وعبداً ذليلاً أمام أسياده قناصل أوروبا!! فهكذا صفا الجو لمحمد علي باشا وأسرته لكي يتعاقبوا على حكم مصر، ويضعوا اللبنات الأولى لعلمنة الأزهر!! بل وعلمنة كافة المناحي الحياتية بأسرها.

---

[١] مذكرات الإمام محمد عبده ـ تقديم طاهر الطناحي/دار الهلال ص٤٣ ، ٤٤.

[٢] الإنحرافات العقدية: مرجع سابق/ص١٨٧.

الفصل الثالث

ما بعد محمد علي إلى وقتنا المعاصر

هكذا غرس محمد علي الشتلة الأولى في أرض مصر بغية علمنة الأزهر الشريف؛ فكانت البعثات التعليمية التي بدأت بالمشروع العلماني التدريجي وعلى يد أحد علماء الأزهر الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي[١] ثم جاء خلفاؤه وعلمنوا الحياة السياسية؛ فأنشا الخديوي إسماعيل (قلم) الترجمة وكلف الطهطاوي بترجمة القوانين الفرنسية فكانت هذه أول نطفة لاستبدال الشريعة الإسلامية وتنحيتها بشكل رسمي من قبل الخديوي، وعلى يد الطهطاوي، وتلامذته من أمثال محمد قدري باشا (المتوفى ٢١ نوفمبر١٨٨٦)، كان وزيراً للحقانية وهو أحد أعلام القانون الذي قام بعبء ترجمة القوانين الأوربية وتقنينها وشرحها بعد الطهطاوي، وساعد في تخريب بنية المسلمين الشرعية، وقد تخرج على يديه كثير من رواد القانون حتى وصلنا إلى عبدالرزاق السنهوري باشا (توفي عام ١٩٧١م)[٢]؛ كان وزيراً للمعارف، ورئيساً لمجلس الدولة، ويعتبر السنهوري من أكبر علماء القانون في العالم العربي، وقد استكمل مسيرة الإضلال وقدم للحكام خدمات وتبريرات لإضفاء الشرعية على أنظمتهم التي لا تحكم بشرع الله.

---

[١] راجع ترجمة الطهطاوي في كتابنا: دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية. مركز المقريزي للدراسات التاريخية. لندن. الطبع الأولى ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م. من ص٧ إلى ص١٦.

[٢] راجع ترجمته في: موسوعة هذا الرجل من مصر: لمعي المطيعي. دار الشروق. الطبعة الثانية ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م من ص٢٥٤ إلى ص٢٦٠

لذلك لا عجب! أن يصبح في عهد الخديوي إسماعيل أول مجلس نيابي بالمعنى الغربي، ونواب أقباط لأول مرة في تاريخ مصر: «في عهد خلفائه ـ أي محمد علي – أصبح لهم نواب في المجالس النيابية (كان لهم نائبان من أصل خمس وسبعين عام ١٨٦٩، وأربعة من أصل ثمانين عام ١٨٨١).

وعلى الصعيد القضائي، فمع الإصلاحات التشريعية والقضائية[١] التي بدأها الخديوي إسماعيل[٢]، أصبح للأقباط ـ لأول مرة – قضاة ومستشارون في محاكم الاستئناف.

ومنذ عام ١٨٨٣ جرى التقليد على تعيين وزير قبطي واحد في كل وزارة، ثم ارتفع العدد إلى اثنين عام ١٩٢٤ عندما شكل سعد زغلول وزارته. وفي العقدين الأول والثاني من القرن العشرين، تولى اثنان من الأقباط رئاسة الوزارة في مصر، وهما بطرس غالي (١٩٠٨–١٩١٠) ويوسف وهبه باشا (١٩١٩–١٩٢٠)»[٣]

«واشترك الأقباط في الأحزاب السياسية المصرية، فكان منهم اثنان في الهيئة التأسيسية لحزب الإصلاح الذي تزعمه الشيخ علي يوسف[٤]*، واثنان

---

[١] طبعاً إفساد القضاء وعلمنته.

[٢] راجع: تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل بشا من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٩: إليسا الأيوبي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة.

[٣] قصة الأقباط: الدكتور فرج توفيق زخور/مطبعة جروس برس/ لبنان/ص٦٦.

[٤] * ولد الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في قرية بلصفور من أعمال مديرية جرجا، وحفظ القرآن، وتلقى مبادئ العلوم في بني عدي وهي قرية من أعمال مدينة منفلوط، ثم أرسل إلى الأزهر فتعلم بعض علوم اللغة والدين، وأنشأ جريدة المؤيد، ظهر أول عدد من هذه الجريدة في ديسمبر سنة ١٨٨٩م، وكان مصطفى رياض باشا، وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة؛ وكان كاتباً معروفاً بالجدل في مجال الحياة السياسية، توفي في سنة ١٩١٣م، وكان من مشايخ الصوفية حيث تولى مشيخة سجادة السادة الوفائية! أقول: لا يظن القارئ أن هذا الرجل كان شيخاً بمعنى الكلمة ودلالتها ولكن هكذا لقب وإذا اطلعت على تاريخ حياته ستجد أنه كان بعيداً كل البعد عن المشيخة وروح التدين. وهناك حادثة شهيرة أثارت الرأي العام منذ مائة

من أبرز أعضاء قيادة الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل، وستة عشر عضواً من أصل مئة وثلاثة عشر عضواً في حزب الأمة الذي تأسس عام ١٩٠٧.

وهكذا نلاحظ أن الأقباط ـ نصارى مصر ـ قد أحسوا بالأمان في عهد الأسرة العلوية[١] ففجروا طاقاتهم المكبوتة تعبيراً عن هويتهم الثقافية والفكرية، وأسسوا الجرائد والمجلات الدينية والعلمية المتخصصة. ومع انتشار أفكار «عصر الأنوار الفرنسي»!! وشيوعها في مصر، برزت فئة من المثقفين الأقباط تأثرت بها إلى حد بعيد، في المقابل ظهرت مجموعة من روادعصر النهضة !! نهلت من ذات المعين، ونادت بالجامعة المصرية[٢] إزاء الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السلطان عبد الحميد الثاني، ودافعت عن خصوصية المجتمع المصري الذي ما هو ـ بنظرها – إلا استمرار لتاريخ الفراعنة»[٣]

أقول: وهكذا أظهر محمد علي وخلفاؤه المسألة القبطية ولم تنج من

عام وهي قصة زواج الشيخ علي يوسف فقد كان بينه وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودة وصداقة، فخطب الشيخ علي السيدة صفية ابنة الشيخ أحمد، لكن الشيخ علي يوسف عقد على البنت في بيت البكري من غير علم الأب، فرفع والد البنت الأمر إلى المحكمة الشرعية طالباً فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب، ودافع الشيخ علي يوسف عن نفسه، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه في دفتر الأشراف، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج في أغسطس سنة ١٩٠٤، فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الإبتدائي الشرعي في محكمة مصر الشرعية الكبرى، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٠٤م، وكان لهذه القضية دوي في الرأي العام خاضت فيها الصحف وأكثر فيها الشعراءوهناك قصيدة شهير لحافظ إبراهيم ينعي فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية، وما يراه من فوضى الرأي وقلة الثبات عليه، ونشرت قصيدته في سبتمبر سنة ١٩٠٤م راجع ديوان حافظ إبراهيم طبعة دار الجيل بيروت.

[١] نسبة إلى جدهم محمد علي باشا وليس إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[٢] أي أقزمة مصر وقوقعتها على نفسها في إطار فرعوني ضيق بعيداً عن هويتها العربية والإسلامية.

[٣] تاريخ الأقباط: مرجع سابق/ص٦٧.

ألاعيب الحكام أيضاً مثل استغلال السادات تطبيق الشريعة الإسلامية لكسب شعبية بعد أحداث ١٨، ١٩ يناير١٩٧٧ م وللضغط على الأقباط ليكسب ودهم «وفي شهر أغسطس ١٩٧٧ وفي أعقاب نشر الصحف لما **معناه أن الحكومة برئاسة ممدوح سالم تنوي تطبيق الحدود في الشريعة الإسلامية على المرتد عقد المجمع المقدس اجتماعاً في ١٩٧٧/٨/١ برئاسة البابا شنودة، وأصدر قراراً بتقديم مذكرة لرئيس الجمهورية تتضمن رفض الطوائف المسيحية تطبيق الشريعة الإسلامية وقانون الردة** وضرورة حل مشاكل الطائفة(..) واتخذ قراراً باعلان الصوم الإنقطاعي ابتداءً من يوم ١٩٧٧/٩/٥ تعبيراً عن رفض مشروع قانون الردة. وبالتوازي مع هذه الحركة من الداخل كان للتكتلات القبطية والتي هاجرت واستقرت في امريكا واستراليا تأثير كبير في الضغط على التشريعات، مستغلين كل وسائل الضغط المتاحة لهم من اعلام واتصالات. ولم يهدأوا إلا بعد أن أرسلت لهم قيادتهم الدينية في القاهرة برقية تنبئ بزوال الأزمة بعدما سحبت الحكومة مشروع القانون»[١]

أقول: هكذا كان محمد أنور السادات؛ رئيس مصر الأسبق (قتل عام ١٩٨١)؛ يستغل الدين ويلوح في وجه الأقلية القبطية بتطبيق الشريعة الإسلامية؛ وهو غير جاد وكاذب في نفس الوقت!! لكن لتحقيق مكاسب وشراء ولاء الأقباط حيث يشعرهم أنه لولاه لطبقت الشريعة الإسلامية في مصر وهم يخشون تطبيق الشريعة الإسلامية رغم أنهم أيام تطبيق الشريعة

---

[١] الأقباط: الكنيسة أم الوطن/عبداللطيف المناوي/دارالشباب العربي للنشر والتوزيع والطباعة/ مصر/ص ٢٢٨ ومابعدها.

الإسلامية قبل الحقبة العلمانية لأسرة محمد علي باشا كانوا يعيشون في أمن وأمان ولم تظهر مثل هذه المشاكل وما يمسى بالفتنة الطائفية إلا في ظل الحكم العلماني وبسبب غياب الشريعة الإسلامية!! فالسادات كان محترفاً في تمثيل الزعيم المؤمن!! وعلامة الصلاة التي تبرز بشكل ملفت في صوره الرسمية في الوقت نفسه كان يعبث بمقدرات الأمة ويتعامل أعداء الإسلام واستخدم المؤسسة الدينية الرسمية أيضاً فيما يسمى بمبادرة السلام ونمق بعض العلماء بيانات واستشهدوا بأبيات في غير موضعها طبعاً لتبرير اتفاقية الخذلان والإستسلام مع أعداء الأمة!!

حتى كمال أتاتورك استخدم الدين!!

إن استغلال الدين عبر المؤسسة الدينية؛ هو ديدن كل حاكم ومسؤول!! بغض النظر عن معتقداته ومنطلقاته حتى وإن كانت معتقداته معادية للدين مثل طاغية تركيا مصطفى كمال أتاتورك.. وما أدراك من أتاتورك؟! كراهية/حقد/اجرام... كل مفردات العداوة لا تكفي لنعت هذا الحاكم الغشوم!! كل الجرائم اقترفها في حق هذه الأمة.. ورغم هذه الخلفية السوداوية وتاريخه المخزي قبل الدين الإسلامي بصفة خاصة فقد استخدم مصطفى كمال أتاتورك[١] أيضاً الدين الإسلامي نفسه للترويج لأفكاره حيث قام حزب

---

[١] مصطفى كمال: ولد في سلانيك عام ١٢٩٨هـ من سفاح، تسمى أمه زبيدة، ونسب إلى علي رضا أحد موظفي الدولة في سلانيك، وسافر إلى استانبول عام ١٣١٨هـ للإلتحاق بالكلية الحربية، وتخرج منها عام ١٣٢٢ برتبة رائد، وعين في لواء الفرسان الثلاثين التابع للجيش الخامس في الشام، ولم يكن نظامياً فكان يذهب دون إذن من يافا إلى سلانيك، وتحذره أمه مغبة ذلك، لكن لا يبالي. وفي عام ١٣٢٥هـ أنهى مرحلة التدريب فعين في إدارة الجيش الثالث في بلده سلانيك، وحاول تأسيس جمعية الوطن والحرية لتنافس جمعية الإتحاد والترقي التي كان على خلاف مع زعمائها، ونفي

الاتحاد والترقي بتهيئة المناخ المناسب لعزل الخليفة باستصدار فتوى من شيخ الإسلام (محمد ضياء الدين) بوجوب خلع السلطان عبد الحميد وهذا نصها:

نص فتوى بوجوب خلع السلطان عبد الحميد[1]

«إذا اعتاد زيد الذي هو إمام المسلمين أن يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الشرعية، وأن يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها، ويحرق

بعضها، وأن يبذر ويسرف في بيت المال، ويتصرف فيه بغير مسوغ

إلى طرابلس عام ١٣٢٦ فعاد هارباً بعد شهرين، وكان مع جيش محمود شوكت الذي سار إلى استانبول لخلع السلطان عبد الحميد الثاني، كان مع الجيش بصفته ضابطاً في ذلك الجيش لا لأنه كان مع أعضاء الحركة، وفي عام ١٣٢٨ أصبح نائباً لقائد اللواء ٣٨ المرابط في سلانيك، وسافر يومها إلى فرنسا لمشاهدة المناروات الفرنسية. وسار عام ١٣٢٩ إلى ليبيا للقتال مع المقاومة الليبية ضد الطليان حباً في الشهرة، وانتقل من مصر إلى اسانبول عن طريق رومانيا، واشترك في حرب البلقان الأولى، وعين إثرها مديراً لدائرة الحركة العسكرية المكلفة بحماية شبه جزيرة غاليبولي، وكلف بهجوم في حرب البلقان الثانية فقام به قبل صدور الأوامر إليه فهزم وفرّ من الميدان، وعين ملحقاً عسكرياً في صوفيا، ورجع بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحاول ملازمة أنور باشا مع وجود الكراهية بين الإثنين، وكان يطلب منه مهمة في خط النار، فأوكلت إليه قيادة الفرقة ١٩ المكلفة بحماية (تشناقلعة)، ثم انتقل مع فرقته إلى ديار بكر، ورقي إلى رتبة لواء (باشا) عام ١٣٣٤، وعين نائباً لقيادة الجيش الثاني، ثم اقترح أن يكون قائداً لقوة الجوالة التابعة للجيش السابع للدفاع عن المدينة المنورة، غير أن هذه القوة لم تشكل. وبعد إجازة قضاها في الحانات أعيد إلى الجيش السابع أيام السلطان وحيد الدين فانسحب أمام الإنجليز أثناء تقدمهم في الشام، واتصل الأنجليز به يومذاك وحرضوه على القيام بالثورة على الخلافة على أن يدعموه بما يريد فوافق ولكن لم يجد له أعواناً من الضباط يساعدونه في حركته فتركها، وعندما وقعت الهدنة طلبت منه وزارة عزة باشا العودة إلى استنبول فعاد، وحاول الإفادة من حزب الحرية والإئتلاف الذي ظهر بعد الحرب وسقوط الاتحاد والترقي. ولكن لم يركنوا إليه. كان مصطفى كمال منصرفاً إلى الخمرة والنساء، ويأخذ ذلك منه جل وقته، وعلى كره شديد للإسلام، وعلى صلة مع الإنجليز، وهم الذين رفعوه، مستميتاً على الزعامة. التاريخ الإسلامي/محمود شاكر/ج٨/ص٢٢٩ ومابعدها.

[1] راجع/ السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده: أورخان محمد علي ـ دار النيل للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٢٩هـ.

شرعي، وأن يقتل الرعية، ويحبسهم، وينفيهم، ويغربهم بغير سبب شرعي، وسائر أنواع المظالم ثم ادعى أنه تاب وعاهد وحلف أنه يصلح حاله ثم حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين كلها مختلة وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من ازالة تغلب زيد المذكور، ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين أنهم يعتبرونه مخلوعاً، وأصبح بقاؤه محقق الضرر، وزواله محتمل الصلاح. فهل يجب أحد الأمرين: خلعه، أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولي الأمر من هذين الوجهين؟ الجواب: يجب ....كتبه الفقير السيد ضياء الدين عفي عنه»[١]

أقول: لقد انخدع الناس بأكاذيب حزب الاتحاد والترقي؛ فهللوا للفتوى! ولما سألهم سعيد باشا رئيس الأعيان الذي كان يرأس الجلسة التي تنظر في أمر السلطان عبد الحميد هل تختارون خلعه أم نأمره بالتنازل؟ أجابوا جميعاً: الخلع الخلع!!.

وفي يوم الثلاثاء ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ٢٧ إبريل ١٩٠٩م قرئت الفتوى الشرعية الموقع عليها بتوقيع شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي في المجلس العمومي المؤلف من المبعوثين والأعيان ورجح بالاتفاق وجه الخلع فأسقط السلطان عبد الحميد خان من الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية، وبويع لولي العهد السطان محمد رشاد خان الخامس خليفة للمسلمين.

وبخلع السلطان عبد الحميد أصبح كل شئ بيد حزب الاتحاد والترقي،

[١] تاريخ الدولة العلية: مرجع سابق. ص٤١٣.

وصار الخليفة صورة لا دخل له بالحكم على الإطلاق، ولم يطل الأمر إذ لم يأت بعد السلطان عبد الحميد سوى ثلاثة خلفاء فقط!؛ وهم (السلطان محمد رشاد الخامس)، و(السلطان وحيد الدين الملقب بمحمد السادس)، ثم آخر سلاطين آل عثمان (السلطان عبد المجيد الثاني).

وبعد اشتراك تركيا في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ١٩١٨)، وهزيمتها غادر رجال حزب الاتحاد والترقي الأقوياء تركيا، وتفرقوا في البلاد، ولم يبق إلا مصطفى كمال الذي ألغى الخلافة حسب المخطط الغربي الذي أعدله!!.

أقول: لم تقم لهؤلاء الأعيان ومعهم شيخ الإسلام والمؤسسة الدينية قائمة بعد خلع السلطان عبد الحميد خان الذي استمر حكمه أكثر من ٣٣ سنة؛ حفظ فيها الدولة من الانهيار بعد هزيمتها من روسيا، استطاع أن يقمع تمرد جزيرة كريت، انتصر على اليونان، أعاد تدريب الجيش وأمده بالأساليب الحديثة، مد الخط الحديدي الحجازي من دمشق إلى المدينة المنورة، وكان طول هذا الخط ١٣٢٧ كم، واستغرق العمل فيه ٧ سنوات، طالب بجامعة اسلامية تضم البلدان الإسلامية يكفي من مفاخره أنه لم يفرط في أرض فلسطين ورفض عرض هرتزل الشهير.

وإمعانا في إذلال هذا السلطان أرسل مع الاتحاديين «عمانوئيل قره صو» اليهودي ليبلغ السطان الفتوى الشرعية بخلعه ولينفذ الأمر مع بقية الوفد لدرجة أن السلطان عبد الحميد استغرب ودهش لما رأى هذا اليهودي (قره صو) حيث قال لهم بعدما قرأ الفتوى وقبل الأمر قائلاً لهم: (لماذا جئتم يهذا اليهودي إلى مقام الخلافة؟!! وبقي السلطان

عبد الحميد في قصر جرد فيه من كل أدوات المنافع التي تليق بالإنسان العادي!! حتى توفي عام ١٣٣٦هـ الموافق ١٩١٧م.

عودة إلى كمال أتاتورك وقضية غيرته على الدين واستخدامه لبعض بقايا المؤسسة الدينية حيث يصور لنا الأديب الأريب صاحب القلم الرشيق مصطفى صادق الرافعي في كتابه الماتع (وحي القلم) وقد كان الدكتور محمد محمد حسين أول من أشار إلى مذهب الرافعي الرمزي من خلال هذه القصة المنامية التي رآها الرافعي في منامه:

رؤيا مصطفى صادق الرافعي

فماذا رأى مصطفى صادق الرافعي[1] في منامه؟!

«ومن أحسن ما كتب في تصوير هذا الانحراف مقال مصطفى صادق الرافعي (تاريخ يتكلم) ـ مقالة في كتابه وحي القلم ـ وقد ذهب الرافعي في هذا المقال مذهب الرمز، فزعم أنه رأى فيما يرى النائم، أنه صحب حاكماً مجنوناً اسمه (الحاكم بأمر الله) ـ وهو يرمز بهذا الحاكم لمصطفى كمال نفسه –

[1] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي: عالم الأدب، شاعر، من كبار الكتاب، مولده في قرية بهتيم سنة ١٢٩٨هـ الموافق ١٨٨١م توفي في مدينة طنطا بمصر سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م، أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. شعره نقي الديباجة على جفاف في أكثره. ونثره من الطراز الأول. له ديوان شعر ثلاثة أجزاء، وتاريخ آداب العرب جزءان، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وتحت راية القرآن، ورسائل الأحزان ، وعلى السفود، رد على العقاد، وحي القلم ثلاثة أجزاء، وديوان النظرات، والسحاب الأحمر في فلسفة الحب والجمال، وكتاب المعركة في الرد على كتاب الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي، والمساكين، وأوراق الورد. ولمحمد سعيد العريان كتاب (حياة الرافعي) ولمحمود أبي رية: (رسائل الرافعي) وهي رسائل خاصة مما كان يبعث به إليه، اشتملت على كثير من آرائه في الأدب والسياسة ورجالهما» الإعلام: الزركلي/ ج٧/ ص٢٣٥ بتصرف.

فدون تاريخه في عشرة أسفار، أخذ يلخصها في هذا المقال. فيقول مثلاً في المجلد الثاني من هذا التاريخ، يصف مصطفى كمال في بدء حركته بالغيرة على الإسلام تألفاً للقلوب، ثم انقلابه من بعد حين أمكنته الفرصة: «**أظهر الطاغية أن الله يؤيد به الإسلام ليتألف الجند والشعب ويستميلهم إليه. وكان في ذلك لئيم الكيد، دنئ الحيلة، يهودي المكر. فأمر بعمارة المدارس للفقه والتفسير والحديث والفتيا، وبذل فيها الأموال، وجعل فيها الفقهاء والمشايخ، وبالغ في إكرامهم والتوسعة عليهم والتخضع لهم، ودخل في ظلال العمائم.. وأحضر لنفسه فقيهين مالكيين (اثنين لا واحداً) يعلمانه ويفقهانه. وكان أشبه بمريد مع شيخ الطريقة يتسعد به ويتيمن، أشرف ألقابه أنه خادم العمامة الخضراء، وأسعد أوقاته اليوم الذي يقول له فيه الشيخ: رأيتك في الرؤيا ورأيت لك**»[١]

موقف علماء الأزهر من الغاء الخلافة الإسلامية

وانبرى علماء الأزهر يندددون بهذه الجريمة التي اقترفها الكماليون، وكان قرار إلغاء الخلافة في ٢ مارس ١٩٢٤: «وكان أول خطوة أحرجت الناس عما هم فيه من حيرة وارتباك بيان مذيل بإمضاء ستة عشر عالماً من

[١] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: دكتور محمد محمد حسين/مؤسسة الرسالة/بيروت. ج٢/ ص٤٤ ومابعدها.. راجع الموضوع برمته في كتاب: وحي القلم: الرافعي/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ج٢ مقالة تاريخ يتكلم من٢٠٩ إلى ٢٢٠.

علماء الأزهر أذاعوه بعد إلغاء الخلافة بأربعة أيام ، يقررون فيه بطلان ما تجرأ عليه الكماليون من عزل الخليفة عبد المجيد، الذي انعقدت له البيعة من المسلمين جميعاً، لأنه صادر من فئة قليلة لا يعتد بهم (فبيعته صحيحة شرعاً في عنق كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر)، وينبه البيان المسلمين إلى حاجتهم للخليفة، ثم يدعوهم للإسراع في عقد مؤتمر (يقرر ما يراه في أمر الخلافة من الطريق الشرعي)، ويحذرهم من (تسرب الخلاف الذي يؤخر الإسلام ويوهنه)»[١]

أقول: نظراً لتشرذم العالم الإسلامي وخضوع معظم أقطاره تحت الاحتلال الغربي؛ ظهرت دعوات من بعض الحكام تنادي لنفسها بأحقيتها بالخلافة، واستخدم هؤلاء الحكام المؤسسات الدينية لتحقيق أغراضهم واستعراض الأدلة الشرعية التي تعضد فكرتهم.

ففي أفغانستان كان الملك «أمان الله» طامعاً في الخلافة وفي فلسطين أقام بعض الفلسطينيين حفلاً بايعوا فيه الملك حسين بن علي بالخلافة....

« ومنذ ذلك الوقت كثرت الدعوات لعقد مؤتمر الخلافة. وبرز اسم مصر واسم الأزهر كمصدر لهذه الدعوات ومركز من أهم مراكز النشاط الإسلامي الذي يحاول معالجة هذه المشكلة. ونشطت حركة الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر حين ذاعت الشائعات التي ترشح الملك حسين بن علي للخلافة. فنشر علماء التخصص بالأزهر بياناً حذروا فيه من الانخداع **(بنداءات الخونة المارقين الذين ينادون ببيعة الملك حسين بن علي**

[١] المرجع السابق: الاتجاهات الوطنية ج٢/ص٤٨.

صنيعة الإنجليز) كما حذروا فيه من أن تتهافت كل مملكة على جعل الخليفة فيها، فيتعدد بذلك خلفاء المسلمين وتذهب ريحهم وتضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم الدين»[١]

ورغم صدق لهجة هذا البيان غير أننا نشم فيه رائحة الحكومة المصرية.. فقد رشح حفيد الأمير عبد القادر الجزائري الملك فؤاد[٢] خليفة للمسلمين، وتم تشكيل لجنة برئاسة الشيخ يوسف الديجوي تستأذن الملك فؤاد في عقد مؤتمر للخلافة بالقاهرة..

و كانت هناك دعوات صادقة من معظم علماء العالم الإسلامي وكانت معظم القوى الاجتماعية متفاعلة مع هذا الحدث الجلل، وقد تولى الأزهر بحق زعامة هذا الأمر. «ونشطت الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي فاجتمع العلماء برئاسة شيخ الجامع الأزهر، وأذاعوا بياناً بتاريخ ١٩شعبان ١٣٤٢هـ الموافق ٢٥مارس ١٩٢٤أفتوا فيه ببطلان بيعة عبد المجيد[٣] الذي كان الكماليون قد أقاموه قبل أن يلغوا الخلافة، لأن الإسلام لا يعرف الخلافة بالمعنى الذي

[١] المرجع السابق/الإتجاهات الوطنية/ج٢/ص٤٨ ومابعدها.

[٢] ولد الملك فؤاد الأول بقصر الجيزة بمصر في ٢ ذي الحجة ١٢٨٤هـ وارتقى عرش المملكة المصرية في ٢٢ ذي الحجة من سنة ١٣٣٥هـ، وتوفي بعد ظهر يوم الثلاثاء في ٧ صفر سنة ١٣٥٥هـ.

[٣] عبد المجيد الثاني: هو ابن السلطان عبد العزيز، ولد في استنبول عام ١٢٨٣هـ، أصبح خليفة بعد الغاء السلطنة عام ١٣٤٠، وجرد الخليفة من السلطات السياسية كافة، والتفت حوله الجماعات المناوئة لمصطفى كمال. وبعد ثلاثة أيام من تولي عبد المجيد الثاني المنصب افتتح مؤتمر لوزان، وحضره وفد أنقره فقط، ووضع رئيس الوفد الإنجليزي (كرزون) أربعة شروط للإعتراف باستقلال تركيا وهي: (١) الغاء الخلافة الإسلامية. (٢) طرد الخليفة من بني عثمان خارج الحدود. (٣) اعلان علمانية الدولة. (٤) مصادرة أملاك وأموال بني عثمان.(راجع بالتفصيل التاريخ الإسلامي/ج٨/ص٢٣٤ وما بعدها). أقول: وقام طاغية تركيا مصطفى كمال بعد سلسلة اغتيالات وإحداث فوضى في البلاد ثم قام بطرد الخليفة وألغى الخلافة رسمياً وأعلن فصل الدين عن الدولة، وأمر بترحيل السلطان عبد المجيد إلى سويسرا، ثم أصدر مرسوماً بإلغاء الوظائف الدينية، ومصادرة الأوقاف، وشن حملة اعتقالات واعدامات وساعتها اعترفت اجلترا باستقلال تركيا وذهبت دولة آل عثمان فصارت كأن لم تغن بالأمس.. ولله في خلقه. شؤون!

تولاها به، منفصلة عن السلطة. وقرروا دعوة ممثلي جميع الأمم الإسلامية إلى مؤتمر يعقد في القاهرة برياسة شيخ الإسلام، للبت فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة الإسلامية»[١]

ثم عقد المؤتمر ولم يسفر عن شئ! لكن لماذا لم يسفر هذا المؤتمر عن شئ؟

هناك عدة أسباب منها:

أولاً: انقسام الرأي العام في العالم الإسلامي.

ثانياً: استغلال الحكام لهذه القضية وباستعراض صحيفة أحوال كل حاكم دعا إلى نفسه أو دعي له بالخلافة نجد حواليهم دخناً أشبه بالعمالة والتبعية للاستعمار.

ثالثاً: كما أن الاحتلال الإنجليزي لعب دوراً كبيراً وخفياً في إفساد المؤتمر.

رابعاً: تبعية بعض العلماء للسلطة الحاكمة أفسد أيضاً إعادة مشروع اختيار خليفة للمسلمين.

خامساً: وجود أحزاب سياسية كانت في الأصل تنادي بانفصال مصر عن الخلافة الإسلامية.. فمثلاً استطاع سعد زغلول[٢] أن يهيأ الرأي العام

---

[١] المرجع السابق: الإتجاهات الوطنية/ج٢/ص٥٠.

[٢] سعد زغلول: ولد في بلدة ابيانه مركز فوه بمحافظة الغربية بمصر سنة ١٨٦٠م ولما بلغ من العمر السادسة دخل مكتب البلدة وظل خمس سنوات تلقى فيها القراءة والكتابة ثم ذهب إلى مدينة دسوق لتجويد القرآن الكريم. ثم جاء إلى القاهرة ودخل الأزهر الشريف ومكث فيه خمس سنوات تلقى فيها جميع العلوم على بعض المشايخ كالشيخ حسن الطويل، والتقى بالشيخ جمال الدين الأفغاني وتعرف على الشيخ محمد عبده وقرأ على يديه القطب على الشمسية في المنطق كما حضر على يديه بعض دروس التوحيد، وكان يكتب في بعض الصحف كجريدة المحروسة والبرهان والتجارة حتى عين محرراً بجريدة الوقائع المصرية سنة ١٨٨١ مع الشيخ محمد عبده الذي كان رئيس تحريرها. ثم ألحق ببعض الأعمال الإدارية في الحكومة، وفصل لاتهامه بالإشتراك في الثورة العرابية، فاشتغل بالمحاماة إلى أن اختير للقضاء بمحكمة الإستئناف الأهلية سنة ١٨٩٣م، وهو أول محام ولي

ضد فكرة الخلافة الإسلامية ومن ثم هيج بعض علماء الأزهر للاعتراض على اختيار الملك فؤاد خليفة للمسلمين؛ ليس لاختلافه مع الملك فؤاد بل لكرهه لعودة الخلافة أصلاً لتحكم العالم الإسلامي.

وصور لنا الدكتور محمد حسين هذه المعركة قائلاً:

«وبدت المعارضة لترشيح الملك فؤاد للخلافة أول ما بدت في الأزهر نفسه. فقامت الحكومة باستجواب نحو أربعين من علماء الأزهر لأنهم وقعوا عريضة أعربوا فيها عن رأيهم في أن مصر لا تصلح داراً للخلافة لتسلط الإنجليز عليها، وأحاطت الحكومة تصرفها هذا بالسرية حتى لا يذيع أمره فيشجع غيرهم على المعارضة. ولكن هذا لم يغن شيئاً عن اتساع نطاق المعارضة. فانقسم العلماء وذوو الرأي من المسلمين في شأن الخلافة إلى قسمين: الأول تمثله الهيئة العلمية لعلماء الأزهر الرسمية وعلى رأسهم شيخ الجامع الأزهر. والثاني تمثله جماعة الخلافة الإسلامية برياسة الشيخ محمد ماضي أبي العزائم. وكانت اللجنة الأولى ظاهرة الميل لمؤزارة الملك فؤاد

منصب القضاء في مصر، ولي منصب وزير المعارف، وهو أول من قرر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية، ثم ولي وزارة الحقانية (العدل) ثم كان عضواً بالجمعية التشريعية، ثم رصار رئيساً لوزراء الحكومة المصرية سنة ١٩٢٤م وتوفي في أغسطس ١٩٢٧م. أقول: كان سعد زغلول باشا سكرياً مدمناً للخمر والقمار كان على علاقة بالإنجليز وكان صديقاً حميماً للورد كرومر وهو من الشخصيات التي نالت رضا اللورد كرومر والحكومة الإنجليزية وللأسف الشديد فإن هناك كثيراً من الناس يتعقدون أنه كان زعيماً للأمة المصرية بحق!! وهو خداع ووهم ومناف للحقيقة فسعد زغلول من أعداء الوحدة الإسلامية بل كان من أنصار التقوقع على الذات والإهتمام بالمسألة المصرية وكانت له علاقة بالإنجليز لضرب مشروع محاولة إعادة الخلافة الإسلامية من جديد بل كان يثبط الناس ويثنيهم عن هذا العزم!!.. راجع ترجمته أيضاً: موسوعة هذا الرجل من مصر: لمعي المطيعي ـ دار الشروق ـ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ـ من ص١٧١:ص١٧٧. وراجع كذلك: آثار الزعيم سعد زغلول عهد وزارة الشعب: جمعها ورتبها: محمد إبراهيم الحريري ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م الجزء الأول. وكتاب: صفوة العصر: زكي فهمي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة طبعة ١٩٩٥ ـ من ص١٣٣ إلى ص١٦٠. وكتاب: مذكرات سعد زغلول: تحقيق الدكتور عبد العظيم رمضان ـ مركز وثائق تاريخ مصر ـ الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة.

وترشيحه للخلافة. فكانت تحظى بتشجيع الحكومة وتلقي منها كل ما تطلب من معونة. وكانت اللجنة الثانية تعارض في هذا الترشيح وتقرر أن مصر لا تصلح داراً للخلافة، بل لا تصلح لانعقاد المؤتمر العام للخلافة بها. وهي تدعو لوجوب انعقاد هذا المؤتمر في مكة المكرمة— وكان أمرها قد آل إلى السعوديين – أوفي مكان آخر من عواصم الممالك الإسلامية الحرة»[١] «**واشتعلت معركة الخلافة** فأسفرت عن ظهور بعض الكتب التي تؤيد أو تعارض الخلافة.. **فمثلاً استخدم كمال أتاتورك بعض العلماء لتأليف كتاب يؤيد قيامه بالأدلة الشرعية عدم حاجة المسلمين إلى خلافة إسلامية.. فالمهم هو حرية المسلمين في النظام الذين يرتضونه.. وعنوان الكتاب (الخلافة وسلطة الأمة)**.. (ظهر هذا الكتاب بعد كتاب محمد رشيد رضا[٢] بقليل – (يقصد كتاب الخلافة أو الإمامة العظمى) – منقولًا إلى العربية عن أصله التركي، بقلم عبد الغني سني بك. حسب ما هو مدون في غلاف الكتاب، والكتاب مجهول المؤلف. **ولكن المعروف أن لجنة من الترك قد وضعته بإشارة الكماليين،** وأن حكومتهم هي التي أشرفت على تأليفه وأعانت على نشره. والكتاب صغير الحجم، في نحو سبعين صفحة من القطع الصغير. **وهو يهدف إلى تبرير ما أقدم عليه مصطفى كمال من الفصل بين الخلافة وبين الحكومة، بمحاولة إيجاد**

---

[١] السابق/ج٢/ص٥١.

[٢] الشيخ رشيد رضا: ولد عام ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ صاحب مجلة المنار ذائعة الصيت، أنشأ المنار عام ١٨٩٩ وظل إلى وفاته (٣٧سنة) وقد قدم الشيخ رشيد من الشام والتلقى الشيخ محمد عبده وتتلمذ عليه، وكان أوسع أفقاً من الشيخ محمد عبده وأعمق نظرة منه في مجال الفقه وأصوله والسنة النبوية. راجع رحمته: أعلام وأصحاب أقلام: أنور الجندي ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة ـ من ص١٥٣ إلى ١٦٠.

سند شرعي»[١]

أقول: هكذا استخدم كمال أتاتورك الدين عن طريق بعض العلماء لتثبيت حكمه!! رغم أنه كان عدواً لدوداً وجباراً عنيداً ضد الدين الإسلامي وأهله وعلمائه لكنه استخدم الدين لمآربه الشخصية ولتعضيد ملكه لتبرير فعلته الشنعاء!!

أتاتورك يتنازل عن الحكم للسفير البريطاني في تركيا

العجيب أن هذا الطاغية الذي كان يجادل عن مسألة الخلافة من الناحية الشرعية عن طريق بعض العلماء الذين باعوا دينهم بدنياهم؛ هو نفسه كمال أتاتورك الذي كان يتقرب إلى الغرب، ويهيم بهم ويتمنى لو يخلفونه في الحكم بعد مماته الذي نشرت له جريد الصنداي تايمز اللندنية في ١٥ فبراير ١٩٦٨م تحت عنوان: «**كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية** «نشرت «صنداي تايمس» صفحة من أغرب صفحات أسرار التاريخ الدبلوماسي بعنوان (**كيف رفض رجلنا أن يحكم تركيا**) قالت الصحيفة إنه في نوفمبر ١٩٣٨ كان كمال أتاتورك رئيساً يرقد على فراش الموت، وعلى امتداد ١٥ سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين ، **ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية**. وعندما رقد على فراش الموت كان يخشى ألا يجد شخصاً يخلفه

[١] راجع تفاصيل هذه القضية في الاتجاهات الوطنية: ج٢/ص٦٨ ومابعدها.

قادراً على استمرار هذا العمل الذي بدأه فاستدعى السفير **(بيرسي لورين)** السفير البريطاني إلى قصر الرياسة في اسطنبول. أما ما دار بينهما فقد ظل سراً أكثر من ثلاثين عاماً، وها هو يكشف النقاب عنه لأول مرة على يد**(بيرز ديكسون)** عن حياة والده السير بيرسون ديكسون» فقد كان بين أوراق ديكسون برقية بعث بها بيرسي إلى **اللورد هاليناكس وزير الخارجية**، وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة تاريخية في التاريخ البريطاني المعاصر على الإطلاق. ففيها يروي لورين تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الدكتاتور المحتضر. وقد كان من سلطاته كرئيس للجمهورية أن يختار خليفة له قبل وفاته. **وقد كانت أخلص رغبة له هو أن أخلفه في منصب الرئيس ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلي لمثل هذا الإقتراح.** وعلى ذلك فإنني لا أجد سوى أن أعتذر آسفاً، ولكن بحزم. وختم بيرس لورين برقيته لوزير خارجيته بقوله: (وأكون شاكراً لكم لو تلقيت منكم يا سيادة اللورد رسالة تتضمن موافقتكم على الموقف الذي اتخذته ورجائي ابلا غ الملك)»[١]

أقول: هذا هو كمال أتاتورك معبود المؤسسة العسكرية التركية، الذي كان يتقرب بدماء المسلمين إلى أسياده الأوروبيين!! إنه الطاغية المجرم في حق أمة الإسلام. مصطفى كمال أبو الأتراك في العصر الحديث والمعلمن الأول للجمهورية التركية؛ رغم كل بغضه للإسلام وأهله يستعين ببعض أهل العلم، كما استعان بالسيد أحمد السنوسي الذي كان يحسن الظن به، فكان يدعو المسلمين للإلتفاف حول أتاتورك، وكذلك تقريبه للشيخ عبد

[١] الرجل الصنم: تأليف ضابط تركي سابق/ترجمة عبدالله عبد الرحمن/مؤسسة الرسالة/بيروت/ ص١١ ومابعدها.

العزيز جاويش[1] وآخرين، لتحقيق مشروعه المخرب.

الرجل الوفي لأسياده الإنجليز يفعل ما لم تستطع الدول الاستعمارية مجتمعة أن تفعله «والآن يحين الوقت المناسب لإيفاء وعده للإنجليز لذلك فبعد ٤ أشهر من انتخابه رئيساً للجمهورية يذهب إلى أزمير بمناسبة لعبة حرب مزعومة، وهناك يجتمع مع رئيس الوزراء عصمت باشا ومع رئيس الأركان العامة فوزي باشا ومع وزير الحربية كاظم باشا حيث يعطي قراره هناك: **لقد آن وقت إلغاء الخلافة، وتلغى معها وزارة الشرعية ووزارة الأوقاف وسنربط المدارس الدينية بالحكومة لكي نوحد التعليم، ولن ندع هناك مدرسة دينية**»[٢]

أقول: هكذا حكمت بلاد المسلمين بمثل هذه الأنفس المهزومة والعقليات المتخلفة والمخربة! فهذا الأتاتورك الذي خرب وأباد حاضرة الإسلام في تركيا كان يستخدم أيضاً الدين في تثبيت أركان دولته المنسلخة عن الإسلام!! فلا هي صارت من الإسلام ولا هي ذهبت إلى جنة الغرب التي كان يمني

---

[١] عبد العزيز بن خليل جاويش: خطيب، من الكتاب، له علم بالأدب والتفسير، من رجال الحركة الوطنية بمصر. تونسي الأصل، ولد بالإسكندرية سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وتعلم بالأزهر ودار العلوم. واختير أستاذاً للأدب العربي في جامعة كامبريدج، وعاد إلى مصر، فاشتغل مدرساً فمفتشاً للغة العربية في مدارس الحكومة. واتصل بمصطفى كامل. وتولى تحرير جريدة اللواء سنة ١٩٠٨ فحمل على الإحتلال، والمحتلين وصنائعهم، والمستنيمين إليهم، فسيق إلى المحاكمة مرات. وسجن ستة أشهر لمقال كتبه عن حادثة دنشواي، وثلاثة أشهر، لكلمة قدم بها ديوان (وطنيتي) من نظم علي الغاياتي. ورحل إلى الآستانة، فأصدر جريدة (الهلال) فمجلة (الهداية) ثم مجلة (العالم الإسلامي) وأرسلته الحكومة العثمانية في خلال الحرب العامة الأولى إلى برلين، للدعاية. ودخل مصر خلسة بعد الحرب، ثم أظهر نفسه، فعين مراقباً عاماً للتعليم الأولى. وشارك في انشاء جمعية الشبان المسلمين. وتوفي بالقاهرة، له كتب، منها (أثر القرآن الكريم في تحرير الفكر البشري) و(خواطر في التربية والسياسة وأبحاث عن المرأة المصرية والشؤون العامة) و(غنية المؤدبين في الطرق الحديثة للتربية والتعليم) و(الإسلام دين الفطرة) ولأنور الجندي (عبد العزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والإجتماع)»راجع الأعلام/للزركلي/ج٤ /ص١٧.

[٢] السابق/الرجل الصنم/ص٢٩٦.

نفسه باللحاق بها!![1]*

أقول: هكذا نستطيع أن نقرر أنه قد تم احتواء وتهميش دور المؤسسة الدينية في الحياة السياسية ونستطيع أن نقرر أن الصراع بين المؤسسات ـ رسمية وغير رسمية – والحكومات المتعاقبة منذ محمد علي إلى وقتنا الحاضر كان في صالح الأنظمة الحاكمة وذلك للأسباب التالية على سبيل المثال لا الحصر:

الأول: عدم استقلال الأزهر مالياً وعلمياً وحل الأوقاف الأهلية، مما أضعف دوره السياسي وربطه بالدولة.

الثاني: عدم استقلالية الأزهر علمياً وتدخل الدولة في تعيين شيخ الأزهر، وحمل بعض مشايخ الأزهر لشهادات دكتوراة من دول غربية.. وكان لهذا أثر سلبي في شخصية عالم الدين وطريقة تفكيره الشرعية.

الثالث: انتشار مذهب الإرجاء وشيوع التصوف في العالم العربي والإسلامي.

الرابع: وجود طابور خامس من العلماء يعملون لحساب الحاكم مع بث الفرقة واثارة الشحناء بينهم.

---

[1] * ولا يفوتنا أن أذكر دور بعض المؤسسات غير الحكومية في التقرب للأنظمة أو استخدام الأنظمة لها وهو ما قامت به جماعة الإخوان المسلمين بالمناداة بجعل الملك فاروق خليفة للمسلمين!! "سعت صحف الإخوان إلى المطالبة بإقامة الخلافة وتولية فاروق لها واغرائه بذلك. فتحت عنوان (الخلافة جامعة المسلمين موحدة لجهودهم) نادت بالخلافة لفاروق كمحاولة استغلال ما بدا من ميل لديه للدين لصالح دعوتهم. ولقد قرر الدكتور زكريا سليمان بيومي المتعاطف مع الإخوان المسلمين كما يصف نفسه في مقدمة بحثه عن الإخوان المسلمين وأن نظرته منبثقة من داخل الحركة الإسلامية ـ هذا الأمر حيث يقول إن الجماعات الإسلامية (ممثلة في جماعتي الإخوان وشباب محمد) قد هادنت القصر بل مالأته أحياناً ونادت له بالخلافة رغم معاداة سلوكه ـ في الغالب ـ للحركة الوطنية والشريعة الإسلامية مما اعتبر جنوحاً من هذه الجماعات إلى طريق معاداة الحركة الوطنية فضلاً عن إسهامها في الإساءة إلى منصب الخلافة نفسه" راجع الحصاد المر: ص ٤٥ ومابعدها.

الخامس: تركيز وسائل الإعلام الحكومية على رسم صورة نمطية ساخرة لعالم الدين، مما أدى لإهتزاز صورة العلماء في قلوب وعقول الأجيال المتعاقبة.

السادس: الضغط الدولي والمؤامرات الدولية بغية اضعف روح التدين لدى الشعوب المسلمة عبر برامج منظمة ينفذها عملاؤهم في المنطقة الإسلامية.

الفصل الرابع

الأسباب التي أدت إلى تهميش المؤسسات الدينية

السبب الأول

عدم استقلالية علماء أزهر مالياً وحل الأوقاف الأهلية، مما أضعفهم وجعلهم مرتبطين بالحكومة

«إن التحولات العميقة التي جرت على صعيد العلاقة بين المجتمع والدولة في تاريخ مصر الحديث والمعاصر قد أفضت تدريجياً إلى حلول الدولة محل المجتمع بشكل شبه كامل ابتداءً من منتصف القرن العشرين، وكان لهذا الوضع الجديد تأثيرات مباشرة على نظام الأوقاف بكل أبعاده المؤسسية والوظيفية، بل وعلى بنيته المادية ـ متمثلة في الأصول الموقوفة من الأراضي والعقارات ـ وعلى بنيته التشريعية الفقهية التي نظمته في الأحقاب السابقة؛ حتى آل الأمر خلال النصف الثاني من القرن العشرين إلى الإدماج الكامل لمؤسسات الأوقاف في جهاز الدولة، وتحويلها إلى مؤسسة حكومية تأتمر بأمر سلطة الدولة، وليس بأمر الإرادة الحر للناس أصحاب المبادرة الأصلية في إنشائها»[١]

«وفي عهدي المماليك والعثمانيين ونتيجة لعدد من العوامل الداخلية أهمها الإستقلال المالي والعلمي ومكانة علماء الأزهر في المجتمع أضحى

[١] الأوقاف السياسية في مصر: إبراهيم البيومي غانم ـ دار الشروق/ القاهرة/ص٢٨، ٢٩

الأزهر مستقلاً في ممارسة دوره ـ وليس تابعاً للسلطة– مما جعل الدين يحتل مكان الصدارة في المجتمع ويصبح معه علماء الأزهر صفوة المجتمع»[١]

أقول: ونظراً لهذا التدخل السافر للدولة الحديثة في نظام الوقف فقد العلماء مورداً أساسياً لأرزاقهم؛ مما أفقدهم استقلالهم الشرعي والعلمي والجهر بالحق في وجه الأنظمة الفاسدة؛ لم تكتف الدولة بحل بهذا وحسب بل؛ إنها ربطت العلماء بكودر وظيفية ورواتب حكومية تجعلهم يفكرون بصورة جدية إذا ما عارضوا السلطة الحاكمة، وإلا سيفصلون من وظائفهم وتقطع رواتبهم بالإضافة إلى السجن أو أحكام الإعدام. لكن الملفت للنظر أن الأزهر كان مستقلاً مالياً في العصرين المملوكي والعثماني رغم ماقيل عن المماليك والعثمانيين من دراسات غير منصفة.

لكنني أزعم أن الأزهر عاش عصره الذهبي في ظل العصرين المملوكي والعثماني «وتعاظم دور علماء الأزهر في الحقبتين المملوكية والعثمانية نتيجة استقلالهم المالي والعلمي والذي مكنهم من القيام بالعديد من الأدوار التي تفرضها مهمة العلماء في سياق إسلامي، وهي تعيين الحاكم وإسداء النصح له طوال فترة حكمه ومراقبته وتقويمه وخلعه عندما يفقد شروط المنصب، وأيضاً تعليم الدين والدفاع عن الشعب في مواجهة السلطة الظالمة وأن يكونوا حلقة وصل بينه وبين السلطة العادلة وتعبئته لتأييد سياستها إذا اقتضت الظروف ذلك. وقد قام علماء الأزهر (كما ذكرناه آنفاً) بتولية محمد علي الذي فطن إلى قوتهم فعمل على تهميش دور الأزهر وأحدث

---

[١] الحالة الدينية في مصر: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية/ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٩٦ ـ ص٢٨

شرخاً في استقلاليته، فتراجع نفوذ علمائه الاجتماعي في مقابل تقدم صفوة شبه علمانية في تفكيرها قادت عمليات تحديث على الطريقة الغربية»[١] والجدير بالذكر دور الخلفاء العثمانيين[٢] في عدم التدخل في شؤونهم المالية والعلمية «ولم تعين الدولة العثمانية أي عالم عثماني في منصب شيخ الجامع الأزهر طوال حكمها وتركت منصب شيخ الأزهر للعلماء المصريين دون أن

[١] السابق/الحالة الدينية/ص٢٨.

[٢] أود أن أضيف أن الدولة العثمانية في عصر الإنحطاط الذي بدأ بالسلطان العثماني مصطفى الثالث (١١٧١هـ ١١٨٧هـ) بمعنى آخر فعصر الإنحطاط بدأ بالتاريخ الميلادي من سنة ١٧٥٧ حتى سقوط الخلافة رسمياً سنة ١٩٢٤.. في هذا العصر استخدم السلاطين وجهاز الدولة الدين المتمثل في شيخ الإسلام أو علماء المؤسسة الرسمية لدولة الخلافة العثمانية على نطاق واسع حيث حيكت المؤامرات وعزل السلاطين باسم الدين وبفتاوى خاصة من العلماء فمثلاً تم عزل السلطان عبد العزيز خان المولود في ١٢٤٥هـ الموافق ١٨٣٠م تولى السلطنة سنة ١٢٧٧ الموافق ١٨٦١م وعزل سنة ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م يذكر لنا محمد فريد بك سبب عزل هذا السلطان: «اقتنع السطان رحمه الله لأن تحالف الدول مع الدولة في حرب القرم وما بعدها لم تكن نتيجته إلا اضعافها بالتدخل في شؤونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على الانشقاق عنها وبث روح الفتن والفساد في ممالكها تحت غطاء الحرية ونشر العلوم وأن كل ذلك يعود بالنفع على الروسيا جارتها القوية وعوتها القديمة لاسيما وقد عدّل الدول بعد الحرب الفرنساوية الألمانية أهم بنود معاهدة باريس التي أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن في البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب ابرامها في حق ولايتي الأفلاق والبغدان، فلهذه الأسباب علم جلالة السلطان أن الأولى والأنجح لسياسة الدولة هو التباعد عن الدول الغربية والتحالف مع الروسيا وعضده في هذا الفكر الصدر الأعظم محمود نديم باشا، فأكثر السلطان من الاجتماع مع الجنرال اغناتيف سفير الروسيا بالآستانة والمتواتر وإن لم تثبته أوراق رسمية أنهما كانا يسعيان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق وتتبع الولايات الإسلامية أو التي يغلب فيها العنصر الإسلامي للدولة العلية الإسلامية وضم جميع الأقاليم المسيحية أو التي يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية. ولما شاع هذا المشروع لم يرق في أعين الدول الأوربية التي لها مصالح في الشرق وخصوصاً انكلترا فأخذ عمالهم وسفراؤهم الظاهرون والسريون يلقون الوساوس في عقول السذج من أهل الآستانة وينسبون السلطان للتبذير والإسراف وعدم الأهلية لإدارة مهام الملك وربما استعان هؤلاء المغرورون بطرق أخرى المطالع بها أدرى، ومازالوا يوسوسون ويلقون بذور الفساد حتى أقنعوا الوزراء بوجوب عزله، وأن إقالته من الأعمال واجبة لانتظام الدولة وسيرها على المحور المستقيم، وصادفت دسائسهم أذناً صاغية عند بعض العلماء.. وقبل الشروع في تنفيذ ما صمموا عليه أصدر شيخ الإسلام (حسن خيرالله أفندي) فتوى بوجوب ذلك (**عزل السلطان عبد العزيز**) وهذا نصها: (إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له إلمام في الأمور السياسية، وما برح ينفق الأموال الخيرية في مصارفه النفسانية في درجة لا طاقة للملك على تحملها، وقد أخل بالأمور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة وكان بقاؤه مضراً بها: فهل يصح خلعه الجواب يصح كتبه الفقير حسن خير الله عفي عنه)»راجع كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٣١٩ ومابعدها بتصرف.

ينافسهم علماء عثمانيون، ولم تتدخل في اختيار أحد من المصريين لمنصب المشيخة، ولم تحتم أن يكون الشيخ حنفي المذهب بل تركت اختيار شيخ الجامع مطلقاً من كل قيد مذهبي ومنوطاً بالمشايخ أنفسهم.

وعلى الرغم من أن السلطات العثمانية كانت تفضل بطبيعة الحال أن يكون شيخ الأزهر حنفي المذهب؛ فإن أحداً من علماء الحنفية لم يحتل منصب مشيخة الأزهر طوال العصر العثماني، وإنما تقلب على مشيخة الأزهر إبان هذه الفترة علماء من الشافعية، والمالكية، بحيث كان منصب شيخ الأزهر محصوراً في علماء هذين المذهبين، والمعنى المستفاد من هذه الحقيقة أن الدولة العثمانية أمسكت عن الزج بنفسها في شؤون الأزهر؛ فقد كان مشايخ الأزهر يقومون باختيار شيخهم ويبلغون الوالي العثماني باسمه. وبين الشيخ محمد الخراشي أول شيخ للأزهر (١٦٥٦-١٦٩٠) والشيخ جاد الحق علي جاد الحق(١٩٨٢-١٩٩٦) شيخ الأزهر السابق(توفي في ١٥ مارس ١٩٩٦) تعاقب على مشيخة الأزهر اثنان وأربعون شيخاً على مدى ٣٤٠ عاماً ذوي مذاهب مختلفة ومواقف متباينة»[١] وبإضافة شيخ الأزهر الحالي سيد طنطاوي[٢] يكون الثالث والأربعين.

«لذلك استهدف الأزهر لعديد من المؤامرات نفذها الحكام الطواغيت، الذين كانوا أدوات تنفيذ المؤامرة على الشعب المسلم في مصر بدءاً بمحمد علي. لقد وجه محمد علي أول ضربة للأزهر بالقضاء على كبار علمائه،

---

[١] السابق/ص٢٨.

[٢] ملحوظة: الكتاب طبع عام ٢٠٠٢ وكان شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي لا يزال على حياً وقد توفي بالرياض ١٤٣١هـ الموافق عام ٢٠١٠ م ثم خلفه شيخ الأزهر الحالي الدكتور أحمد محمد الطيب وهو على نفس درب سلفه طنطاوي في الولاء التام للسلطة الحاكمة.

الذين كانوا يمثلون الزعامات الشعبية فتخلص منهم، بالقتل أو السجن أو بالنفي أو الإبعاد»[١]

أقول: ثم جاء ضباط يوليو ١٩٥٢ فأجهزوا على الرجل المريض، بل أطفأوا بقية قناديل الجامع العريق التي كانت تبدد ظلام الجهل وظلم الحكام.. وتصداق ذلك: «فترة ما بعد ثورة يوليو١٩٥٢ فإنها وإن مثلت مرحلة تاريخية جديدة من مراحل التطور السياسي المصري، إلا أنها اختطت مساراً معيناً في تحديد العلاقة بين الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية. فقد أقدم جمال عبد الناصر في الداخل على إعادة صياغة الفكر الديني بأسلوب يتلاءم مع طبيعة العصر ومتطلبات التنمية كما حددتها الدولة وفق قناعاتها الفكرية والإيدلوجية فاستخدم الدين مع أدوات أخرى في عمليات التعبئة السياسية وإيجاد شرعية لنظامه. وفي هذا الإطار أضعف النظام الناصري من استقلال العلماء من خلال سياسته تجاه المؤسسات الإسلامية التي انطلقت من عدة محاور تمثلت في القضاء على استقلال العلماء المالي بإصدار قانون إلغاء الوقف[٢] الأهلي وتحويل جانب كبير من أراضي الأوقاف

[١] الجامع الأزهر ومسيرة الألف عام/مرجع سابق/ص٤١.

[٢] الوقف: جمعه أوقاف وهو في شريعتنا وفقهنا عبارة عن مال يخرجه صاحبه من ملكه، ويجعله على حكم الله تعالى، ويخصص ريعه للإنفاق في وجوه البر الخاصة والمنافع العامة. أو هو طبقاً لتعريفه الاصطلاحي عبارة عن : حبس العين عن أن تكون مملوكة لأحد الناس، وجعلها على حكم ملك الله تعالى، والتصدق بريعها على جهة من جهات الخير في الحال أو في المآل. والوقف بهذا المعنى هو ما استحدثته شريعتنا؛ إذ لم يكن معروفاً قبل الإسلام بصيغته التي قررها فقهاء شريعتنا. وهو في أصل نشأته وليد فكرة مجردة، عبّر عنها الرسول ﷺ في كلمتين اثنتين وردتا في حديثه الذي قال فيه: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» وذكر أن أول الثلاث: «صدقة جارية»، واشتهرت هذه الصدقة الجارية باسم (الحبس) وجمعها أحباس أو حبوس ـ ولا زال يطلق عليها هذا الاسم حتى الآن في بلدان المغرب العربي ـ ثم صارت أكثر شهرة في مصر باسم (الوقف). وقد كان الرسول ﷺ أول من أنشأ وقفاً وتبعه الصحابة والتابعون وعامة المسلمين وخاصتهم، متأسين به ﷺ في كيفية عمل الخير، والإرشاد إليه، والحرص على مصلحة الجماعة، والمشاركة في توفير المنافع العامة. وبمرور الزمن أصبح للوقف نظام متكامل الأركان (نظرياً وعملياً)؛ من أهم خصائصه أنه موصول بسبب

لوزارة الإصلاح الزراعي فضلاً عن الغاء المحاكم الشرعية – (ألغيت المحاكم الشرعية بالقانون رقم ٤٦٢ / ١٩٥٥) – والقضاء على أي دور محتمل يمكن أن يؤديه الأزهر في شؤون المجتمع باستقلال عن الدولة وذلك باصدار قانون إعادة تنظيم الأزهر. بجانب هذا سعى النظام الناصري إلى إيجاد أداة إسلامية لسياساته، وهو ما تمثل في إنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية»[١]

أقول: هكذا قضى جمال عبد الناصر رئيس مصر الأسبق المتوفى عام ١٩٧٠م؛ على دور الأزهر في كافة المناحي الحياتية، وصار الأزهر مقعداً لا يستطيع حراكاً! عقب استصداره قانون حل الأوقاف[٢] الأهلية – القانون رقم ١٥٢ / ١٩٥٧ الخاص باستبدال الأراضي الزراعية الموقوفة على جهات البر العام وتسليمها للجنة العليا للإصلاح الزراعي، ومن ثم عجزت المؤسسة

إلى (يوم الناس) الذي يعيشونه في الحياة الدنيا، وبسبب إلى يوم (الدين) الذي ينتظرهم في الحياة الآخرة؛ وذلك بدوران الوقف في إطار غايات الشرع الإسلامي ومقاصده العامة؛ وبهذه الخاصية اكتسب (الوقف) شخصية متميزة عن كافة صور العمل التطوعي. بأسمائه = المتعددة. التي عرفتها الحضارات القديمة السابقة على الإسلام، وعن تلك التي تعرفها المجتمعات المعاصرة سيما في البلدان الرأسمالية المتقدمة في أوربا وأمريكا، التي يغلب عليها النزعة المادية حتى في الأعمال التطوعية. راجع: الأوقاف السياسية في مصر: الدكتور إبراهيم البيومي غانم/دار الشروق. القاهرة. ص٢٢ وما بعدها.

[١] الحالة الدينية/مرجع سابق/ص٢٩ وماعدها.

[٢] كانت تركيا أول دولة اسلامية تقوم بإلغاء نظام الوقف ووضع تركته تحت السيطرة الحكومية عقب إلغاء الخلافة مباشرة في العشرينيات من هذا القرن. وبحلول منتصف القرن كانت معظم حكومات البلدان العربية والإسلامية قد أصدرت قوانين خاصة بتنظيم الوقف ووضعه تحت إشرافها المركزي بدرجات متفاوتة من بلد لآخر. فضلاً عن قيامها بالعديد من الإجراءات التي قوضت شبكة الأعمال والأنشطة الأهلية التي كانت معتمدة عليه كمصدر للتمويل. ولمعرفة ما تضمنته قوانين الوقف التي أصدرتها بعض الدول العربية انظر وقارن: قانون الوقف الذي صدر في مصر برقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦، وفي الأردن برقم ٢٥ لسنة ١٩٤٦ أيضاً، وفي لبنان بتاريخ مارس ١٩٤٧، وفي سوريا برقم ٨٨ لسنة ١٩٥١، وفي تونس بتاريخ ٣١ مايو ١٩٥٦، و١٨ يوليو ١٩٥٧، وفي العراق برقم ٨٥ لسنة ١٩٥٩، و٦٤ لسنة ١٩٦٦، ونصوص تلك القوانين مجموعة ومصنفة في: محمد بن يونس ونبيل سعد: موسوعة التشريعات العربية (ب ب ن) نقلاً عن: الأوقاف السياسية في مصر/ص٦٥.

الدينية عن تأدية رسالتها وتم القضاء على أهم مصادر تمويل المؤسسة الدينية من خلال هذه القوانين الجائرة.

لكن هل تم تطبيق هذه القوانين على أوقاف غير المسلمين أم أن هذه القوانين كانت موجهة أصلاً للقضاء على الحشاشة الباقية في عمر المؤسسة الدينية العريقة؟!

«وعلى حين عوملت أوقاف المسلمين هذه المعاملة استثنيت أوقاف غير المسلمين من أحكام هذين القانونين، حيث وضع لها قانونان خاصان هما، القانون رقم ٢١٤ لسنة ١٩٦٠ في شأن استبدال الأراضي الزراعية الموقوفة على جهات البر العام للأقباط الأرثوذكس والقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧١ بشأن الأحكام الخاصة بتملك الأراضي الزراعية واستبدالها بالنسبة إلى الجمعيات الخيرية وطوائف غير المسلمين. وقد جعلت قوانين تنظيم الأوقاف في عهد الرئيس عبد الناصر الدعوة الإسلامية بلا سند مادي ترتكز عليه الأمر الذي أثر بصورة مباشرة على استقلال علماء الدين مادياً وفكرياً وهو الأمر الذي كان له دوره البالغ في اتخاذ هؤلاء العلماء لمواقف الرفض والمعارضة من الدولة لاطمئنان كل منهم أن هذه المعارضة وهذا النقد لن يؤثرا على حياتهم المعيشية ولن تفقدهم بالتالي وظائفهم. علاوة على ذلك فإن هذه القوانين لم تطبق مبدأ المعاملة بالمثل، فلم تسر على أوقاف الكنائس حيث ترك لكل كنيسة أوقافها في حدود مائتي فدان ومازاد عن هذا كانت الدولة تأخذه وتدفع ثمنه بسعر «السوق السوداء» وهو ما أدى في السبعينات لمناداة عدد من الأصوات بمساواة أوقاف المسلمين بأوقاف المسيحيين»[١]

---

[١] الأوقاف السياسية: السابق: ص٦١.

السبب الثاني

عدم استقلالية الأزهر علمياً وتدخل الدولة في تعيين شيخ الأزهر، وحمل بعض مشايخ الأزهر لشهادات دكتوراة من دول غربية.. وكان لهذا أثر سلبي في شخصية عالم الدين وطريقة تفكيره الشرعية:

لم يكتف ناصر وبطانته بتبعية الأزهر وبقية المؤسسات التابعة له مالياً.. وفي عهد الشيخ محمود شلتوت[١] الذي تولى مشيخة الأزهر من (١٩٥٨-١٩٦٤).. صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١. المعروف باسم قانون تطوير الأزهر.... «وقد أريد به في حقيقة الأمر مسخ الأزهر وتخريبه باسم التطوير. لقد أنشئت بمجب هذا القانون كليات جديدة هي الطب والهندسة، والصيدلة، وطب الأسنان والعلوم، والتجارة، والزراعة، والتربية.. بالإضافة إلى كليات الأزهر الأصيلة وهي كلية أصول الدين وكلية الشريعة وكلية اللغة العربية.. ولقد استتبع إنشاء هذه الكليات تغيير مناهج التعليم

[١] الشيخ شلتوت: «محمود شلتوت؛ فقيه مفسر مصري. ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) وتخرج في الأزهر (١٩١٨) وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧) وكان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الا
جتهاد. وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة (١٩٣١ . ١٩٣٥) وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلاً لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء(١٩٤١) ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦) ثم شيخاً للأزهر (١٩٥٨) إلى وفاته. وكان خطيباً موهوباً جهير الصوت. له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً، منها (التفسير) أجزاء منه في مجلد، ولم يتم، و(حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدى) و(القرآن والمرأة) ورسالة (القرآن والقتال) و(هذا هو الإسلام) و(عنصر الخلود في الإسلام) و(الإسلام والتكافل الإجتماعي) و(فقه السنة) الأول منه، (وأحاديث الصباح في المذياع) و(فصول شرعية اجتماعية) و(حكم الشريعة الإسلامية في تنظيم النسل) محاضرة و(االدعوة المحمدية) رسالة (فقه القرآن والسنة) الجزء الأول، و(الفتاوي) و(توجيهات الإسلام) و(الإسلام عقيدة وشريعة) و(الإسلام والوجود الدولي)»راجع الأعلام/ للزركلي/ج٧/ ص١٧٣.

الأزهري في المرحلتين: الإعدادية والثانوية، فأصبح على طالب الأزهر أن يدرس المناهج التي تدرس في المدارس المدنية كاملة بالإضافة إلى مناهج الأزهر، وكان لا بد من مسخ العلوم الأزهرية حتى يخفف العبء عن الطلاب. وبسبب هذه الازدواجية في المنهج (العلوم الأزهرية إضافة إلى علوم المدارس المدنية)، هبط مستوى الطلاب الأزهريين إلى أدنى المستويات، وأكثر من هذا ضاعت هوية الطالب الأزهري التي كانت تتشكل من خلال المناهج الإسلامية التي كان يدرسها في المرحلتين الإبتدائية والثانوية القديمة... ولعل هذا كان هو الهدف الحقيقي من القانون رقم ١٠٣م ١٩٦١ !!)»[١]

الشيخ الدكتور أو الدكتور الشيخ!!

أقول: واستمراراً لنزع مهابة العلم الشرعي من علماء الأزهر تم إرسال كثير منهم للحصول على نيل درجة الدكتوراة من الجامعات الغربية.

فالدكتور محمد الفحام (١٩٦٩-١٩٧٣)؛ سافر في بعثة إلى فرنسا وعاد منها يحمل الدكتوراة من جامعة السربون. والدكتور عبد الحليم محمود (١٩٧٣-١٩٧٨)؛ سافر إلى فرنسا وحصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية.. الدكتور عبد الرحمن بيصار (١٩٧٨-١٩٨٢) سافر إلى إنجلترا، وحصل على الدكتوراة من جامعة أدنبرا؛ بالإضافة إلى عدد من وزراء الأوقاف الذين حصلوا على درجة الدكتوراه من جامعات غربية كوزير

[١] الجامع الأزهر ومسيرة الألف عام/مرجع سابق/ص٤٣.

الأوقاف الحالي حمدي زقزوق (يناير١٩٩٦)؛ سافر إلى ألمانيا، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة موينخ. فهناك فارق بين لفظ (شيخ) وبما يحويه من إشارات عظيمة ودلالته الشرعية في ذهن المسلم وبما يحويه دلالة لفظ (دكتور) في ذهن المسلم العادي.

ومن ثم فقد نزعت الأنظمة هيبة العلماء من صدور الناس!! فبعد أن كانوا يتلقون العلم من (شيخ) صار صاحب الفتوى أو القدوة (دكتور) فلو أنهم عربوا الكلمة وقالوا مثلا: الشيخ فلان حاصل على درجة العالمية؛ لكان هذا حسناً. ولكن الأخطر من ذلك أن هذه العقليات المعممة جاءت من الغرب بدكتوراة حسب مزاج الحاكم؛ حيث استخدم هؤلاء الدكاترة المعممين !! في الدفاع عن قرارات وقوانين الأنظمة الخارجة عن شرع الله، وإلباسها ثوب الشرع. !!

ولم يكتف عبد الناصر، وبطانته؛ من تكبيل وتكميم أفواه علماء الأزهر، بل إنه أعطى لنفسه ولأي حاكم يأتي بعده بموجب القانون ١٠٣/ ١٩٦١ لرئيس الجمهورية تعيين شيخ الأزهر، وكان هذا القانون يجعل الإزهر خاضعاً لوزير مختص..

ثم لما كان شعار السادات «الرجل المؤمن»!! وكان من لوازم هذا الشعار أو بالأحرى لوازم هذه المرحلة التي كانت القوى الشيوعية والناصرية تتربص به وتتآمرعليه؛ استخدم السادات الأزهر لتحقيق مآربه.

وذلك عندما اعترض شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود المتوفى؛ (١٥ ذو القعدة ١٣٩٧ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٧٨م) بسبب تبعية الأزهر لوزير شئون الأزهر، واستجاب السادات لحاجة في نفسه لاقتراح شيخ

الأزهر وأصدر القرار رقم ٣٥٠/ ١٩٧٥، الذي نص على أن يكون شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر، وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشؤون الدينية وأصبح شيخ الأزهر بدرجة رئيس وزراء (مالياً) غير أنه يتبع رئيس الوزراء إدارياً!! لكن كل هذا من الناحية الشكلية. أما من الناحية الجوهرية؛ فشيخ الأزهر موظف في الدولة يقول حسب ما تملي عليه المؤسسة الحاكمة. وكذلك وزارة الأوقاف لم يتركوها من باب أولى في حالها.

فمنذ ١٩٥٢ وحتى الآن فقد تولى رئاسة[١] هذه المؤسسة ستة وزراء غير أزهريين؛ أحمد طعيمة (ضابط)، حسين الشافعي (ضابط)، أحمد الشرباصي (مهندس)، د.عبد العزيز كامل (أستاذ بكلية آداب القاهرة)، د.الأحمدي أبو النور (أستاذ بكلية دار العلوم)، ود.محمد علي محجوب (مأذون سابق وأستاذ قانون بحقوق عين شمس)!! فهل عجزت المؤسسة الدينية الرسمية أن يوجد من بين أبنائها من يكون وزيراً؛ فتسند الوزارة إلى عسكري برتبة ضابط ؟!!.

هكذا استطاع النظام أن يهمش دور الأزهر في المجتمع عبر خطط مدروسة ومنظمة..

فماذا كانت النتيجة بالطبع لصالح النظام، ونسوق أمثلة تصداقاً لما نقول:

[١] حتى الطبعة الأولى للكتاب عام ٢٠٠٢م

مواقف لبعض علماء الأزهر سلباً وإيجاباً

شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي

تولى مشيخة الأزهر مرتين

الأولى من(١٩٢٨ ـ ١٩٢٩)

والثانية من(١٩٣٥ ـ ١٩٤٥)

هو تلميذ الشيخ محمد عبده هاجمه شيخ الإسلام مصطفى صبري[١]

---

[١] ترجمة الشيخ مصطفى صبري رحمه الله: ظهر هذا العالم الجليل في أواخر عهد الدولة العثمانية والدولة مقبلة على الإنهيار ودعاة التغريب في أوج قوتهم. درس في مسقط رأسه (توقاد) الدراسة الابتدائية، ثم أخذ في حفظ القرآن الكريم، ومن ثم رحل إلى بلدة قيصرية، وكانت مركزاً للعلوم الدينية. وتلقى دراسة العلوم العقلية والنقلية عن مدرسه الشيخ خوجه أمين أفندي. بعد ذلك انتقل إلى استانبول حاضرة الخلافة الإسلامية. وفي استانبول شد الشيخ مصطفى صبري انتباه مشايخه بحدة ذكائه وبقوة حافظته وعمق تحصيله، وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره أصبح مدرساً بجامع السلطان محمد الفاتح، وهو منصب مرموق يحتاج إلى جدّ واجتهاد وتحصيل طويل. ثم أصبح أميناً لمكتبة السلطان عبد الحميد الثاني، وقد لفت انتباه السلطان عبد الحميد إليه بسعة اطلاعه وبتميزه وهو في سن شابة وبين رجال العلم الدينيين في استانبول. عاصمة الخلافة ومقرها. تصدى الشيخ مصطفى صبري بك هؤلاء المفكرين والمسؤولين الذين أنجبتهم حركة التنظيمات العثمانية ومن ثم حزب الإتحاد والترقي التي كانت ترى في الإسلام عقبة كؤوداً ضد التطور وضد حركة التغريب الشاملة للدولة العثمانية. لذلك عاداه أنصار التغريب وهم كثرة في موقع السلطة. كان السبب في هذا العداء السافر الذي أظهره المتغربون ضد الشيخ أنه كان يجاهر بآرائه داعياً لفكره عملياً، ينادي به بكل فرصة وفي كل وقت، أما الآخرون من الإسلاميين فلم يكونوا قادرين على التصدي والجهر بالدعوة. تصدى الشيخ مصطفى صبري لدعاة الوقيعة بين العرب وبين الأتراك، وتصدى للدفاع عن مفهوم الإسلام في الحكم. وتصدى أيضاً لحملة واسعة شنها دعاة الفكر الغربي عندما نادوا بخروج المرأة وسفورها. ولم يسلم من حملاته هؤلاء الذين تسموا باسم (المسلمون الجدد) وأجاب في كتابه (المجددون الدينيون) على كل آرائهم. في عام ١٩٢٢ أجبر الشيخ على مغادرة بلاده، فهاجر إلى اليونان، حيث جمع المسلمين الأتراك في منطقة (تراقيا) الغربية ووحدهم، وأصدر هناك جريدة تركية بالحروف العربية سماها (يارين) أي الغد تفاؤلاً بغد إسلامي مشرق. وأخذ الشيخ من خلال هذه الجريدة في نقد حركة التغريب في العالم الإسلامي، ونقد المجتمع التركي ونقد النطام الكمالي في تركيا الذي عرف باسم الحركة الكمالية نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك. وأخذ يحلل المصائب التي حلت بالعالم الإسلامي وعلى رأسه الدولة العثمانية من جراء أتباع حركة التغريب. ثم سافر إلى مصر ثم الحجاز ثم مصر مرة أخرى حيث استقر في القاهرة. وفي العاصمة المصرية أخذ الشيخ ينادي بأفكاره، بالعودة إلى العمل بالشريعة الإسلامية ويفصل القول في مضار العلمانية، لذلك لم يترك له دعاة

المتوفى عام ١٩٥٤ بسبب آراء الشيخ المراغي في قضية فصل الدين عن الدولة لذا فقد «هاجم شيخ الإسلام مصطفى صبري الأزهر بعنف وشدة، أما السبب في هذا فإنه ـ أي الشيخ ـ كان يظن أن الأزهر سيسانده كأحد دعاة الفكرة الإسلامية أمام محاولات الشيخ في شرح علمانية النظام الكمالي، واستنهاض الشيخ لهمم المسلمين بعد إلغاء الخلافة، فإذا بالأزهر يعلن تأييده لانقلابات مصطفى كمال أتاتورك. في العدد ٣٩٦ من مجلة الرسالة ظهرت مقالة بعنوان (أسبوع في تاريخ الإزهر) فيها يقول ـ الشيخ مصطفى صبري ـ عن الشيخ الأكبر إمام الأزهر الشيخ المراغي من أن

الفكر الغربي في مصر وقتاً للراحة. كان الشيخ مصطفى صبري في نظر الكماليين مجرماً !! أوردوه ضمن قائمة الـ ١٥٠ شخصاً غير المرغوب فيهم، لكنه في نظر الإسلاميين الأتراك كان بطلاً .. وبقي الشيخ في مصر إلى أن توفي في القاهرة عام ١٩٥٤/ توفي شيخ الإسلام مصطفى صبري بعد حياة حافلة بالدفاع عن الفكرة الإسلامية في الحكم والحياة، ولم يعرف المؤرخون عنه أنه خشي انساناً وقد قال كل آرائه رغم كل الظروف الصعبة التي مرّ بها هو وأسرته في وطنه أو في مهجره. مات بعد أن قال لا لكل المسؤلين والكتاب والرأي العام الذي كان مخالفاً له وقتها. أما أعماله فعشرة مؤلفات باللغتين العربية والتركية أشهرها: (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) باللغة العربية وصدر في القاهرة في أربعة أجزاء عام ١٩٥٠ نشرتها دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة. نقلاً عن كتاب (العثمانيون في التاريخ الحضارة) بتصرف.

أقول : وللشيخ مصطفى صبري رحمه الله ترجمة أخرى في كتاب الأعلام يقول عنه الزركلي: «مصطفى صبري من علماء الحنفية، فقيه باحث. تركي الأصل والمولد والمنشأ. ولد في (توقات) سنة ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م وتعلم بقيصرية (في الأناضول) وعين مدرساً في جامع الفاتح، باستنبول، وهو في الثانية والعشرين من عمره. ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية. وقاوم الحركة (الكمالية) بعد الحرب العالمية الأولى. وهاجر إلى مصر، بأسرته وأولاده سنة ١٩٢٢م فألف كتباً بالعربية، منها (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) أربعة مجلدات، قال في مقدمته، مخاطباً روح أبيه: «لو رأيتني وأنا أكافح سياسة الظلم والهدم والفسوق والمروق في مجلس النواب وفي الصحف والمجلات قبل عهد المشيخة والنيابة وبعدهما، وأدافع عن دين الأمة وأخلاقها وآدابها وسائر مشخصاتها، وأقضي ثلث قرن في حياة الكفاح، معانياً في خلاله ألوان الشدائد والمصائب، ومغادراً المال والوطن مرتين في سبيل عدم مغادرة المبادئ، مع اعتقال فيما وقع بين الهجرتين، غير محس يوماً بالندامة على ما ضحيت به في هذه السبيل من حظوظ الدنيا ومرافقها ـ لأوليتني إعجابك ورضاك» ومن كتبه بالعربية أيضاً (موقف البشر من سلطان القدر)، و (النكير على منكري النعمة في الدين والخلافة والأمة)، و (مسألة في ترجمة القرآن)، و (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون)، وله مؤلفات بالتركية طبع بعضها. توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م» بتصرف من الأعلام للزركلي/ ج٧/ص٢٣٦.

الدين في كتاب الله غير الفقه، وأن من الإسراف في التعبير أن يقال عن الأحكام التي استنبطها الفقهاء وفرعوا عليها واختلفوا فيها، وتمسكوا بها حيناً ورجعوا عنها أنها أحكام الدين، فإنما الدين هو الشريعة التي أوصى الله بها الأنبياء جميعاً، أما القوانين المنظمة للتعامل والمحققة للعدل والدافعة للحرج فهي غير آراء الفقهاء مستمدة من أصولها الشرعية تختلف باختلاف العصور والاستعدادات وتبعاً لاختلاف الأمم ومقتضيات الحياة فيها وتبعاً لاختلاف البيانات والظروف، ولو جاز أن يكون الدين هو الفقه مع ما ترى من اختلاف الفقهاء بعضها مع بعض وتنفيذ كل آراء مخالفيه وعدّها باطلة لحقت علينا كلمة الله (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ) يقول شيخ الإسلام مصطفى صبري أفندي في رده على هذا: «لا دين في الأزهر باعتراف فضيلة شيخ الأزهر وإمامه، بمعنى لا علم يدرس فيه وفي كلياته يصح أن يسمى علم الدين، ولا صحة لما اشتهر عند الناس من كون الأهر معهداً دينياً. بل كونه أكبر معاهد العالم الإسلامي الدينية. ولا لما تواطأ عليه المسلمون من اعتبار ما في كتب الفقه من الأحكام والقوانين أحكام الشريعة الإسلامية وقوانينها.. إن ما قاله شيخ الأزهر (الأستاذ الأكبر الإمام المراغي[1]) اعتداء عظيم.. على أئمة الإسلام

[1] الشيخ المراغي: «محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، باحث مصري، عارف بالتفسير، من دعاة التجديد والإصلاح، ممن تولوا مشيخة الجامع الأزهر، عرف بمحمد مصطفى. ولد بالمراغة (من جرجا، في الصعيد) سنة ١٢٩٨هـ الموافق ١٨٨١ م، وتعلم بالقاهرة، وتتلمذ للشيخ محمد عبده. وولي أعمالاً منها القضاء الشرعي، فقضاء القضاة في السودان سنة (١٩٠٨ - ١٩١٩) وتعلم الإنجليزية في خلالها، وعين شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨ فمكث عاماً، وأعيد سنة ١٩٣٥ فاستمر إلى أن توفي بالأسكندرية سنة ١٣٦٤هـ الموافق ١٩٤٥م، له تآليف منها: (بحث في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية)، و (تفسير سورة الحجرات)، و(تفسير سورة الحديد وآيات من سورة الفرقان)، و (تفسير سورتي لقمان والعصر)، و(بحوث في التشريع الإسلامي)، و(كتاب الأولياء والمحجورين)» راجع الأعلام: الزركلي بتصرف - ج٧ - ص١٠٣. راجع أيضاً: موسوعة هذا الرجل

أصحاب المذاهب المشهورة في الفقه مثل الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل رضي الله عنهم...»[١]

ويواصل الشيخ مصطفى صبري تفنيده لآراء الشيخ المراغي قائلاً: «إن لقول الأستاذ الإمام المراغي مغزى لم يبح به قائله وقد خفي على محبذيه ومنكريه، وسأبديه أنا.. يحاول الأستاذ الأكبر المراغي بقوله المنقول من قبل ترويج آخر آمال لهم (دعاة الفكرة الغربية)، وتمزيق آخر أوصال للإسلام وهو فصل الدين عن الحكومة فقد رام أن يتوصل إليه بفصل الدين عن الفقه وقطع صلته به. فكأنه يقول إن الفقه ينطوي على قوانين سنها الأئمة والمجتهدون وهي قوانين زمنية لا دينية.

وخلاصة ادعاء فصل الدين عن السياسة قد وقع من زمان قديم في الإسلام منذ اتخاذ الحكومات الإسلامية آراء أئمة الفقه التي لا صلة لهم بالدين، قوانين معمول بها في بلاد الإسلام، فلهذا يجوز لنا أن نهملها ونسن قوانين بدلاً منها قوانين أخرى أوفق لزماننا وسياستنا، ولا نكون إن فعلنا ذلك بدلنا ديننا إلى دين غير الإسلام، أو فصلنا الدين عن السياسة أول مرة.. وكان الأولى بالأستاذ الأكبر أن لا يتوسل إلى ترويج مبدئه بالإعتداء على الفقه وإخراج أقوال الفقهاء أئمة الإسلام من الدين، بل يقيهم في مقاماتهم المسلمة دينياً ويقول نحن نجتهد ونضع القوانين الجديدة مستمدين ذلك من الأصول الشرعية، فتكون آراؤنا أيضاً فقهاً وديناً كما كانت آراؤهم. لكنه لم يفعل. إن مقصود الإمام المراغي؛ هو فصل الدين

من مصر: لمعي المطيعي ـ دار الشروق ـ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م من ص٥٢٦ إلى ص٥٣٢

[١] العثمانيون في التاريخ والحضارة: الدكتور محمد حرب ـ المركز المصري للدراسات العثمانية/القاهرة ـ بتصرف/ص٢١٨ ، ص٢١٩.

عن السياسة وتخليص الحكومات في سن القوانين عن التقييد بقيود الشرع الإسلامي.

ثم إن هذه الفكرة من الأستاذ الإمام فكرة تنزيل الفقهاء أئمة الدين الواضعين للقوانين الشرعية، منزلة واضعي القوانين الزمنية غير المتقيدين في وضعها بالقيود الدينية، تشبه ما فعله الكتاب العصريون بمصر من تنزيل الأنبياء إلى منازل العباقرة منكرين لهم النبوة الميتافيزيقية والمعجزات الخارقة لسنن الكون»[١]

شيخ الأزهر محمد الأحمدي الظواهري[٢]

(١٩٢٩ ـ ١٩٤٤)

كان ينادي بإصلاح الأزهر وله مواقف طيبة لكنه كان متعاوناً مع الملك فؤاد، مما جعل العلماء يتهمونه بأنه فتح الباب لسيطرة القصر على الأزهر وعلمائه، وقد نكل الملك فؤاد بالعلماء الذين يعارضون سياساته بالفصل وبالتشريد.. وكانت حجته أن هناك احتلالاً إنجليزياً وهناك أحزاباً تتعامل

[١] العثمانيون في التاريخ/بتصرف/ص٢١٩، ص٢٢٠.

[٢] الشيخ الظواهري: «محمد الأحمدي بن إبراهيم الظواهري،: فقيه شافعي مصري. ولد عام ١٢٩٥هـ الموافق ١٨٧٨م في قرية (كفر الظواهري) بشرقية مصر، ـ محافظة الشرقية ـ وتعلم في الأزهر، وأخذ عن الشيخ محمد عبده وآخرين. وولي مشيخة الجامع الأحمدي في طنطا بعد أبيه، ونقل إلى أسيوط فكان شيخاً لمعهدها مدة. ولما انتهى ما كان يسمى (الخلافة العثمانية) في بلاد الترك (سنة ١٩٢٠) وعقد مؤتمر الخلافة في القاهرة (سنة ١٩٢٦) كان الشيخ الظواهري جريئاً في اقتراح انفضاضه على غير قرار لأنه لم يتكامل فيه تمثيل الأمم. فانفض. ثم كان رئيساً للوفد المصري في مؤتمر مكة (سنة ١٣٤٥هـ/١٩٣٥م) وقويت صلته بملك مصر في ذلك العهد، فعين شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٩ واستقال سنة ١٩٣٥، وفي عهده أصدر مجلة (نور الإسلام) وتحول الأزهر إلى جامعة على نظام حديث. توفي بالقاهرة عام ١٣٦٣هـ الموافق ١٩٤٤م. وكان خطيباً، فيه نزعة صوفية شاذلية. له كتاب (العلم والعلماء) في نظام التعليم، وضعه حين بدأ دعوته إلى إصلاح الأزهر، و (رسالة في الأخلاق)، وجمع ابنه فخر الدين الأحمدي بعض أخباره ومذكراته في كتاب سمه (السياسة والأزهر)» بتصرف من كتاب الأعلام: الزركلي/ج٦ /ص٢٦.

مع الإنجليز فكان ينادي بتبعية الأزهر للملك لا للأحزاب.. وكأن الملك لم يكن متعاوناً مع الإنجليز بل وتحت إمرة الإنجليز!!

شيخ الأزهر محمد الخضر حسين[1]

(١٩٥٢ـ ١٩٥٤)

وصف انقلاب يوليو ١٩٥٢ بأنه أعظم انقلاب اجتماعي مر بمصر منذ قرون!! لكن نحب أن نشير أن هذا الشيخ وغيره كانوا يأملون أن يحدث تغيير حقيقي على أيدي ضباط يوليو المجهولين لدى الناس في ذلك الوقت.

كما أنه ليس وحده الذي أثنى على انقلاب يوليو ١٩٥٢، لذلك فإنه سرعان ما قدم استقالته لخلافه مع عبد الناصر عندما ألغى المحاكم الشرعية،

[١] الشيخ الخضر حسين: هو «محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي؛ عالم إسلامي أديب باحث يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة وممن تولوا مشيخة الأزهر، ولد في (بلاد تونس) ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م وانتقل إلى تونس مع أبيه سنة ١٣٠٦هـ وتخرج بجامع الزيتونة ودرس فيه وأنشأ مجلة السعادة العظمى سنة ١٣٢١هـ إلى ١٣٢٣هـ وولي قضاء بنزرت ١٣٢٣هـ واستعفي وعاد إلى التدريس بالزيتونة سنة ١٣٢٤هـ وعمل في لجنة تنظيم المكتبتين العبدلية والزيتونة، وزار الجزائر ثلاث مرات، ويقال أصله منها. ورحل إلى دمشق سنة ١٣٣٠هـ ومنها إلى الآستانة وعاد إلى تونس عام ١٣٣٣هـ فكان من أعضاء لجنة التاريخ التونسي، وانتقل إلى المشرق فاستقر في دمشق مدرساً في المدرسة السلطانية قبل الحرب العالمية الأولى، وانتدبته الحكومة العثمانية في خلال تلك الحرب للسفر إلى برلين مع الشيخ عبد العزيز جاويش وآخرين. فنشر بعد عودته إلى دمشق سلسلة من أخبار رحلته في جريدة المقتبس الدمشقية. ولما احتل الفرنسيون سوريا انتقل إلى القاهرة في ١٩٢٢م وعمل مصححاً في دار الكتب خمس سنوات، وتقدم لامتحان العالمية الأزهرية فنال شهادتها، ودرس في الأزهر، وأنشأ جمعية الهداية الإسلامية وتولى رئاستها، وتحرير مجلتها، وترأس تحرير مجلة نور الإسلام الأزهرية ومجلة لواء الإسلام ثم كان من هيئة كبار العلماء، وعين شيخاً للأزهر أواخر ١٣٧١هـ واستقال في ١٣٧٣هـ وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨م ودفن بوصية منه في تربة صديقه أحمد تيمور باشا وكان هادئ الطبع وقوراً خص قسماً كبيراً من وقته لمقاومة الإستعمار، وانتخب رئيساً لجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا وله تآليف منها: حياة اللغة العربية/ الخيال في الشعر العربي/ مناهج الشرف/ الدعوة إلى الإصلاح/ طائفة القاديانية/ مدارك الشريعة الإسلامية/ الحرية في الإسلام (محاضرة)/ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم/ نقض كتاب في الشعر الجاهلي/ خواطر الحياة/ ديوان الشعراء/بلاغة القرآن/ محمد رسول الله/ السعادة العظمى/ تونس وجامع الزيتونة»الإعلام: الزركلي/ ج٦/ ص١١٣ وما بعدها.

لكن ينبغي على من تولى قيادة المسلمين وخاصة في مثل هذا المنصب العظيم شيخ الجامع الأزهر أن يتحرى الدقة في إصدار فتاويه وأحكامه المتعلقة بصفة خاصة بالنظم الحاكمة كي لايتخذها الحكام تكأة لتحقيق مآربهم غير المشروعة.

شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج

(١٩٥٤ ـ ١٩٥٨)

وهو أنموذج عملي لعالم الدين الذي يبيع آخرته بدنياه **!!** لقد استخدم عبد الناصر وبطانته، هذا الشيخ في حملة الدعاية والتشهير ضد خصوم النظام؛ فقد استخدمه عبد الناصر عقب خلافه مع اللواء محمد نجيب – وهو أول رئيس جمهورية لمصر عقب انقلاب يوليو١٩٥٢– **فأصدر فتوى بحق النظام بسحب الجنسية المصرية من محمد نجيب أو بالأحرى (سريان عقوبة التجريد من شرف المواطنة على الزعيم الذي يتعاون ضد بلاده) !!**

واستخدمه النظام الناصري أيضاً في حملته الرهيبة ضد جماعة الإخوان؛ فقد أصدر بياناً بعنوان «**(مؤامرة الإخوان) حرص خلاله على الهجوم على الجماعة من منطلق ديني على اعتبار أنهم يعملون على تشويه الدين** وحقائقه وأن الأزهر سوف يعمل من منطلق حمايته للإسلام على أن يرد هذه الجماعة إلى الصواب لتعود إلى الحق»[١].

[١] الحالة الدينية: مرجع سابق/ص٣٩.

شيخ الأزهر حسن مأمون

(١٩٦٤ ـ ١٩٦٩)

في عهده تم إعدام الشهيد سيد قطب[١]. نحسبه كذلك – في ٢٩ أغسطس ١٩٦٦؛ يصف (**جيلز كيبل**) رد فعل المؤسسة الدينية وردهم على كتاب (**معالم في الطريق**) قائلاً:«أما رد فعل المؤسسة الإسلامية المصرية العنيف والغاضب فقد بدأ في مجلة (منبر الإسلام)، وهي المجلة التي تصدرها وزارة الأوقاف، وفي العديد من الكتب التي صدرت أثناء محاكمة سيد قطب، وكانت وجهة النظر الأكثر رسمية، هي التي تجسدت في الوثيقة التي أعدها الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي، رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، بناء على طلب شيخ الأزهر وقتئذ حسن مأمون؛ فقد أشار الشيخ السبكي إلى أنه رغم أن النظرة الأولى لكتاب «معالم في الطريق» تظهر أنه كتاب يلبي نداء الإسلام، فإن المرء ينفر منه بعد ذلك من (أسلوبه الملتهب)، وتأثيره وخيم العواقب على النشأ وعلى القراء الذين يعانون من نقص ثقافتهم. وقد فند الشيخ الكتاب كلاً وجزءاً؛ حيث أوضح أنه من الكفر وصف أية فترة بالجاهلية باستثناء تلك الفترة التي سبقت البعثة المحمدية **وبناء على ذلك اتهم سيد قطب بأنه من الخوارج**. (مثله مثل الخوارج)، استخدم سيد قطب مقولة (الحاكمية لله) لكي يطلب من المسلمين أن يعارضوا أي حكم أرضي»(..) وهذا الكتاب (يسعى إلى إيهام بسطاء العقول وتحويلهم إلى متعصبين وقتلة عميان)»[٢]

---

[١] الأستاذ الشيخ الشهيد سيد قطب نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله تعالى:راجع ترجمته: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: الدكتور صلاح الخالدي ـ الدار الشامية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.١٩٩٩م .

[٢] التطرف الديني في مصر: جيلز كيبل ـ ترجمة أحمد خضر ـ مؤسسة دار الكتاب الحديث ـ

شيخ الأزهر د.محمد عبد الرحمن بيصار

(١٩٧٩_١٩٨٢)

أعطى مسوغاً للنظام الساداتي أن يتنصل من تطبيق الشريعة الإسلامية، لأنه كان يرى بتطبيق الشريعة الإسلامية تدريجياً ولم ير ضرورة لتغيير كافة القوانين. وبناء على هذه الفتاوى جمد النظام قوانين الشريعة الإسلامية التي كان قد أعدها من قبل شيخ الأزهر السابق الدكتور عبدالحليم محمود، واستخدمه النظام في استصدار بعض الفتاوى التي تنادي بعدم الخروج على الحاكم وكان يحذر علماء الأزهر بمخالفة النظام!!

شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق

(١٩٨٢_١٩٩٦)

يتهمه العلمانيون بأنه شيخ رجعي!! سلفي!! أصولي!! وهاجموه في وسائل الإعلام كثيراً لخلافه معهم على قضايا ختان النساء، واعتراضه على عائدات البنوك وشهادات الاستثمار..إلخ، لكنه كان أداة النظام في قراراته المصيرية؛ فقد أيد معاهدة السلام مع العدو الغاصب لفلسطين؛ عندما كان مفتياً؛ دافع عن النظام ونادى بعدم الخروج على الحاكم كما في رده على كتاب (الفريضة الغائبة) للمهندس محمد عبد السلام فرج رحمة الله عليه[١].

بيروت / ص٥٩ ، ٦٠.

[١] المهندس محمد عبد السلام فرج صاحب كتاب الفريضة الغائية حكمت عليه محكمة عسكرية

وفي عام ١٩٨٩ استخدمت الدولة شيخ الأزهر المذكور وبعض العلماء المشاهير، وهم الشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ الغزالي، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتورالطيب النجار؛ فأصدروا بيانهم الشهير الذي كرس دفاعه عن السلطة وممارستها، وبينوا أن تنفيذ الحدود من حق الحاكم وحده، وأن حكام مصر لايردون لله حكماً!!

وتحت عنوان (استغلال الدين لأغراض الحكام) يقول الشيخ صلاح أبو إسماعيل رحمه الله: «وكان اليأس قد غلبني في مجلس الشعب السابق من عدم جدوى المحاولات في تطبيق الشريعة الإسلامية مع زملاء أناديهم فيستجيبون ثم يعدلون، ومجلس الشعب بحكم الدستور يستطيع أن يفرض على الحكومة ما يشاء إلى أن كان يوم ١٨ ديسمبر ١٩٧٨ وكانت وسائل إعلامنا تحدث الجماهير عن لقاء مرتقب بين السادات وبيغن على قمة جبل موسى في سيناء، ثم فوجئنا بأن بيغن في صلافة وعنجهية وغطرسة تجاهل الموعد، ولم يحضر، ولم يعتذر، ويحتم الاتجاه إلى اصطناع غطاء لهذه الفضيحة فإذا رئيس مجلس الشعب يفاجئنا بأنه يقترح على المجلس الموقر أن يوافق على تكوين لجنة عامة لتقنين الشريعة الإسلامية، وأحسست وقتها أن هذه المفاجأة السارة لم تكن إلا غطاء للطعنة الصهيونية التي وجهت إلى رئيس مصر (السادات)»[١]

بالإعدام عقب اغتيال رئيس مصر الأسبق أنور السادات عام ١٩٨١م ونفذ الحكم عام ١٩٨٢م عليه وعلى أربعة آخرين: الضابطين؛ خالد الإسلامبولي ، وعبد الحميد عبد السلام، وضابط الاحتياط (سابق)؛ المهندس عطا طايل حميدة، والرقيب؛ حسن عباس تقبلهم الله.

[١] الشهادة: صلاح أبو إسماعيل ـ دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت / ٣١)..

شيخ الأزهر الحالي سيد طنطاوي[١]

(٢٧ مارس ١٩٩٦)

إذا كنا قد ضربنا بالشيخ عبد الرحمن تاج مثل العالم الذي يكون أداة في أيدي النظام.. فإن الشيخ تاج يعتبر قطرة في محيط فساد شيخ الأزهر الحالي.. فقد فاق أقرانه وأتى بفتاوى وأقاويل وأحكام ما لم يأت بها الأوائل!! فالدكتور طنطاوي لا يرد للنظام الحاكم في مصر يد لامس!! وفتاويه على حسب المقياس الرسمي للدولة!!

هذه عينة من هذه المواقف:

أفتى طنطاوي بجواز التحاق الفتيات إلى الكليات العسكرية والإلتحاق بالجيش!!

أفتى بجواز تحويل الرجل إلى أنثى بشرط الضرورة الطبية!![٢]

أفتى بأن تطبيق الشريعة الإسلامية يحتاج إلى وقت طويل يصل فيها الجميع إلى القناعة.

بارك توصيات مؤتمر المرأة في بكين وقال إن مطالب مؤتمر بكين الخاصة بالمساواة بين الرجل والمرأة لاتتعارض مع الشريعة الإسلامية!!

بعد حادثة أديس أبابا و نجاة رئيس الجمهورية حسني مبارك وصف من قاموا بالحادث بأنهم خارجون على الملة وأنه سجد شاكراً لله عندما علم

[١] كان الدكتور سيد طنطاوي شيخاً للأزهر وقت صدور الطبعة الأولى من الكتاب عام ٢٠٠٢

[٢] الحالة الدينية/مرجع سابق/ص٧٨.

بنجاة الرئيس مبارك من الحادث وصلى ركعتي شكر في الكعبة لأن الله حفظ مبارك من اعتداء الماكرين!!

استخدمته الدولة على نطاق واسع في حملته الشعواء ضد الجماعات الإسلامية.. وطاف محافظات وأقاليم مصر يندد بالجماعات الإسلامية ويتهماها بالإرهاب والجهل والخروج عن الملة الإسلامية!! **وأيد طنطاوي الدولة في إغلاق بيوت الله وخاصة الزوايا والمساجد الصغيرة التي كان يتردد عليها بعض أفراد الجماعات الإسلامية**.. كذلك أيد قرار رئيس الجمهورية بإحالة أعضاء الجماعات الإسلامية إلى المحاكم العسكرية!! ولم يطالب الدولة مرة ـ ذراً للرماد – أن تلغي قانون الطوارئ.. كما لم يطالب الدولة صراحة بتطبيق الشريعة الإسلامية وقت أن كان مفتياً إلى أن صار شيخاً للأزهر!!

في عام ١٩٩٥ عندما كان مفتياً قام بزيارة إلى أمريكا بمصاحبة القس (صموئيل حبيب) رئيس الطائفة الإنجيلية، وتم حصوله على الدكتوراه الفخرية من جامعة (وستمنستر) بولاية بنسلفانيا!! وقابل الفتي المدلل لليهود آل جور نائب الرئيس الأمريكي بيل كلنتون والذي لا يخفي تعصبه لصالحهم ضد العرب والمسلمين!!

أما أهم فتاويه فهي اباحته للربا وهي الخاصة بشهادات الإستثمار وصناديق التوفير حيث أفتى بأن المعاملات فيها جائزة شرعاً، ورد عليه كثير من علماء الإسلام وخاصة الدكتور علي السالوس في كتابه (حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار في الفقه الإسلامي)!!

وفي كارثة حرب الخليج ١٩٩٠ كان بوق النظام الرسمي مع شيخ

الأزهر جاد الحق، وقد كان في صف الكويت والسعودية حسب الدور المرسوم له من الدولة!! بل إنه ذهب بنفسه إلى السعودية لزيارة القوات المصرية في حفر الباطن!! وأيد الاستعانة بقوات أجنبية وقال بجواز ذلك شرعاً!!

مواقف ايجابية لبعض علماء المؤسسة الدينية

وفي المقابل كانت هناك مواقف تستحق الإشادة والذكر لعلماء المؤسسة الدينية الرسمية.. من أمثال:

شيخ الأزهر شمس الدين الإنبابي (١٨٨٢-١٨٨٢) ثم اختير (١٨٨٥-١٨٩٦)، أفتى بأن الخديوي توفيق لا يصلح أن يكون حاكماً لمصر بعد أن باعها للإنجليز.. وله مواقف طيبة أخرى.

شيخ الأزهر محمد أبوالفضل الجيزاوي (١٩١٧-١٩٢٧) عارض ترشيح الملك فؤاد[١] خليفة للمسلمين وقال للملك كلمته المشهورة: «**إن مصر لا تصلح دار خلافة لأنها تحت الإحتلال الإنجليزي**». وفي عهده أصدرت هيئة كبار العلماء حكماً بإخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء بسبب كتابه «**الإسلام وأصول الحكم**». كما أنه رفض طلب الإنجليز بغلق باب الجامع الأزهر أثناء ثورة ١٩١٩.

شيخ الأزهر عبد المجيد سليم (١٩٥٠-١٩٥١).. ثم أعيد مرة أخرى

[١] الملك فؤاد الأول ابن الخديو إسماعيل ابن القائد الشهير إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية: ولد سنة ١٨٦٨م وتولى عرش مصر عام ١٩١٧عقب وفاة أخية الملك حسين كامل الأول. راجع ترجمته: صفوة العصر: زكي فهمي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة طبعة ١٩٩٥. من ص٩إلىص١٦.

(١٩٥٢-١٥٤)، وهو صاحب العبارة الشهيرة (تقتير هنا وإسراف هناك)، عارض فساد الملك فاروق ورحلاته إلى كابري بإيطاليا.

شيخ الأزهر إبراهيم حمروش (١٩٥١-١٩٥٢) قدم استقالته بعد خلافه مع الملك فاروق حول شرعية اشتغال العالم الأزهري بالسياسة وكشف الفساد.

الشيخ محمد أبو زهرة: أحب أن أضيف قبل أن أنتقل إلى السبب الثالث موقف الشيخ محمد أبي زهرة[١] رغم أنه لم يكن شيخاً للأزهر لكن كانت له مواقف طيبة وخاصة قضية فلسطين حيث يقول عنه فاروق منصور: «لقد وقف مع الشعب الفلسطيني منذ البداية باعتبار أن القضية إسلامية وقد رأيته يكافح كفاحاً مستميتاً ليحصل على قرار لمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٦٨ بالقاهرة يؤكد أن الجهاد في فلسطين فريضة، وأن

[١] الشيخ الفقيه محمد أبو زهرة عمل أستاذاً بكلية أصول الدين بالأزهر وكلية حقوق القاهرة وكان وكيلاً لها ورئيساً لقسم الشريعة الإسلامية بها وعمل وكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية وكان من مؤسسيه وعمل أستاذا بالدراسات العليا بجامعة الأزهر وجامعة الإسكندرية وعين شمس وأستاذاً زائراً بجامعات السودان وسوريا وليبيا والجزائر والعراق واشترك في تأسيس وعضوية العديد من الجمعيات الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي.. كان شجاعاً ظل يدافع عن الشريعة الإسلامية حتى وفاته ولم يرضخ لإغراءات السلطة التي أرادت أن تسخر الدين حسب مزاج الحاكم لقد تصدى الشيخ محمد أبو زهرة لفتاوى ضد توجه السلطة القائمة حيث أفتى بحرمة التأمين على الحياة ورد على الشبهات التي قيلت ورد على حجة أن هذا التأمين يحقق العدالة والمعيشة السوية وقال (إن الأمن لايباع وعلى الدولة توفير الحياة الآمنة والمعيشة العادلة والمريحة للناس. وكانت له صولات وجولات ضد الشيوعية والأفكار المنحرفة. راجع: موسوعة هذا الرجل من مصر: لمعي المطيعي ـ من ص٤٨٥ إلى ص٤٩٠.

على المسلمين أن يعلنوا الجهاد المقدس. كان الوقت عصيباً على الأمة العربية والعالم الإسلامي، فالجيوش منهزمة أمام العدو الصهيوني، والأرض محتلة، والقوى قد تبعثرت، وكان رأي بعض الأعضاء اعلان الجهاد المقدس ومطالبة المسلمين بذلك، وقاد الدعوة لذلك للأمانة والتاريخ الشيخ محمد أبو زهرة، والمفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله، واللواء الركن محمود شيت خطاب أطال الله في عمره ولكن انتصر الرأي المنادي باعلان الجهاد، وكان المؤتمر قد خصص جانباً من دراساته ومناقشاته لموضوع الجهاد، ومنه كانت فتوى الشيخ محمد أبوزهرة التي ضمنها دراسته: (**إن العدو قد دخل ديارنا، وأخذ أرضاً مقدسة من أرضنا، وبذلك يكون القتال فرض عين، ولايكون فرض كفاية، فيجب على كل مسلم، في أي أرض اسلامية أن يتقدم للقتال، ويأخذ الأهبة لذلك.. وإن الذين احتلت أجزاء من ديارهم على المسلمين مجتمعين أن ينصروهم ولا يتركوهم**)، ولم يقف الرجل عند هذه الفتوى بل اهتم بأن يؤكد أن واجب تحرير فلسطين يقع على الحكومات والشعوب لا على الأفراد والجماعات، وأن الجهاد أنواع كثيرة وليس وقفاً على عم الجيوش (**ليس الجهاد بالعمل الجامع للجيوش المجيشة بل للجهاد ضروب أخرى غير الجيوش، فليذهب إلى الأرض المغتصبة في كل اقليم اسلامي طائفة مدرعة بالإيمان والسلاح والمال، تنطلق فتقض مضاجع أولئك المغتصبين، وتجعلها عليهم سماً زعافاً، بدل أن تكون لبناً وعسلاً كما يريدون**)»[١]

---

[١] راجع مواقف من حياة الشيخ محمد أبو زهرة بقلم فاروق منصور/نشر بمجلة الأمة/ العدد٥/١٤٠١هـ/ص١٧ وما بعدها بتصرف. راجع أيضا: موسوعة هذا الرجل من مصر: لمعي المطيعي ـ دار الشروق ـ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ـ من ص٤٨٥ إلى ص٤٩٠.

السبب الثالث

انتشار مذهب الإرجاء وشيوع التصوف في العالم العربي والإسلامي

إن من لوازم منهج الإرجاء التواكل وعدم الخروج على الحكام، وهذا المنهج التواكلي قديم نادى به بعض علماء السنة بعد واقعة دير الجماجم بين محمد بن عبد الرحمن بن الأشعث والحجاج بن يوسف؛ أي بعد فتنة القراء وهزيمتهم في دير الجماجم سنة ٨١هـ بدأ ينتشر رويداً حتى صار قاعدة عند أهل السنة . وهو ليس كذلك - بعدم الخروج على الحكام مع إلقاء شبهات في غير محلها.. ثم استمرأ بعض العلماء هذا المذهب؛ فتلقفته السلفية الحديثة. فألفت الكتب والأبحاث؛ بل إن الأنظمة الحاكمة ساعدت في طباعة ونشر هذه الأفكار لدرجة أن هذه الأفكار الإرجائية، صارت مسلمة عند عامة المسلمين وطلاب العلم الشرعي!! وقد خدم مذهب الإرجاء الحكام على مر العصور أيما خدمة..من تسكين الجماهير وتخديرهم.. فكانت النتيجة **(دع الملك للمالك)**[١]* وقد سرى هذا المذهب في جسد الأمة حتى صارت مرتعاً للحملات الصليبية وهجمات التتار.. وتسلط الحكام.. واتسع الخرق على الراقع.. واستفحل الداء..

يقول الجبرتي واصفاً حال الناس عقب علمهم بقدوم الفرنسيس:

«وقد كانت العلماء عند توجه مراد بك تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرأون البخاري وغيره من الدعوات، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية

[١] * لإلقاء المزيد على هذه القضية لنا بحث (حركة ابن الأشعث) تحت الطبع.

والبراهمة والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير، ويعملون لهم مجالس بالأزهر، وكذلك أطفال المكاتب، ويذكرون أطفال المكاتب، ويكررون الإسم اللطيف وغيره من الأسماء»[١]

ووصف الجبرتي أخلاط الناس وهم يصيحون عقب دخول الفرنسيس **القاهرة** ويعلق على ذلك: «ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم: يارب يا لطيف، ويا رجال الله ، ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم، فكان العقلاء من الناس يقولون لهم إن رسول والصحابة والمجاهدين إنما يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب، لا برفع الأصوات والصراخ والنباح، فلا يستمعون، ولا يرجعون عما هم فيه، ومن يقرأ ومن يسمع!»[٢]

«وقد ظل علماء الأزهر وشيوخه يحافظون على هذه البدعة كلما ألمت بالبلاد مصيبة، أو داهمتها كارثة، فبعد مرور ما يقارب من تسعين عاماً على مجيئ الفرنسيين إلى مصر، قام الأسطول الإنجليزي بقصف مدينة الإسكندرية وتمكن من احتلالها. يقول القاياتي وهو من شيوخ الأزهر: «وعندما انتشبت الحرب بين الإنكليز وأهل الوطن العزيز، اجتهدوا غاية الاجتهاد، في سبيل المدافعة والجهاد، بأخذ الأهبة والاستعداد.. وكان السادة العلماء الأعلام، ولا سيما أستاذنا شيخ الإسلام (يعني شيخ الأزهر) يقرءون كتاب البخاري الشريف، في الجامع الأزهر الأنور المنيف»[٣]

---

[١] عجائب الآثار: مرجع سابق/ج٤/ص٧٠.

[٢] الجبرتي: السابق. ج٤/ص٧٥.

[٣] الانحرافات العقدية: مرجع سابق/ص٣٧٤.

أقول: لا عجب أن يقوم نابليون بإحياء هذه البدع وحضور الموالد ويسير على دربه حكام اليوم الذين يريدون إسلاماً معيناً هو إسلام الدراويش وأصحاب الرايات والبيارق؛ الذين لا يألون جهداً في الدفاع عن الأنظمة التي تحمي خزعبلاتهم وخرافاتهم بل وتحمي أيضاً انحرافاتهم وملذاتهم المحرمة!!

السبب الرابع

وجود طابور خامس من العلماء يعملون لحساب النظام مع بث الفرقة ونشر الشائعات عن العلماء الذين لا يسيرون في فلك المنظومة السلطوية

فبعد أن صارت مرتبات العلماء وكادرهم الوظيفي بأيدي الحكومة؛ سهل على النظام اختراقهم، وتجنيد بعض النفوس الضعيفة من العلماء؛ فراحوا يكتبون التقارير السرية ضد توجهات زملائهم الفكرية والسياسية؛ بل إن الأمر معمول به في الجمعيات الخيرية الشرعية التابعة لوزارة الشؤون الإجتماعية فهناك بين أعضاء مجالس إدارة هذه المؤسسات الإسلامية من يعمل لصالح الأمن ويرسل عن نشاط زملائه المشايخ، مما سبب فصل بعض العلماء من قيادة هذه الجمعيات وسجنهم والتشهير بهم، وقد أدى هذه السلوك إلى التشكيك في بعضهم والقاء التهم جزافاً مما أحدث فرقة بين المشايخ، فلم يقوموا بالدور الدعوي المنشود، وكل ذلك يصب في خانة النظام ولصالحه.

السبب الخامس

تركيز وسائل الإعلام الحكومية على رسم صورة نمطية ساخرة لعالم الدين، مما أدى لاهتزاز صورة عالم الدين في قلوب وعقول الأجيال المتعاقبة

وتعتبر الماكينة الإعلامية للنظام الناصري هي أول من قامت بهذه الحملة الشرسة ضد علماء الدين؛ بغية نزع التدين من الأمة تدريجياً؛ لهذا الغرض جند النظام مجموعة من المتفسخين شخصياً والمنبوذين لدى المجتمع بالقيام بهذا الدور، وقد صاروا أحد أعمدة النظام في ترويج الشائعات والنيل من الإسلام وأهله بحجة الإبداع والفن والفكاهة وغير ذلك من السخافات!!، فقد طفحت أفلامهم ومسرحياتهم ومسلسلاتهم على كافة المناحي الحياتية؛ اقتحمت على الناس بيوتهم.. يشوهون ويسخرون من الدين وأهله؛ تارة السخرية من رجل الدين المتنطع والمتقعر!!، وتارات من الشباب النقي الطاهر!!.. ثم انكشف المخبوء فأفصحوا عما تخفي صدورهم؛ فبعد الغمز واللمز على الإسلام وأهله، صار الشتم الصراح على نبي الإسلام وعلى الذات العلية!!. والعياذ بالله!! . لن نطيل في هذا الموضوع كثيراً؛ فقد لوثوا الأجواء الفضائية بأفلامهم وأخبارهم وبرامجهم الهدامة!!

السبب السادس

الضغوط الدولية والمؤامرات العالمية بغية إضعاف روح التدين لدى الأمة المسلمة عبر برامج ومعونات منظمة ينفذها أذنابهم المتسلطون في المنطقة العربية والإسلامية

ألم يعترض الكيان اليهودي في فلسطين على حلقات الشيخ محمد متولي الشعراوي عام ١٩٨٠ عند تفسيره لسورة البقرة وكلامه عن مكر اليهود وخداعهم وقتلهم الأنبياء بغير حق! ثم استجابت الحكومة المصرية فمنعت حلقات الشعراوي فترة ثم أعادته بعد مقتل السادات!!

ألم يقم شيخ الأزهر الحالي(سيد طنطاوي) بالموافقة على إلغاء السنة الدراسية لطلاب الأزهر، والغاء بعض الفقرات الشرعية بحجة تحسين مستوى الطالب! فلمصلحة من؟ بالطبع للكيان الغاصب لفلسطين وأجهزة الاستخبارات الغربية والأمريكية..

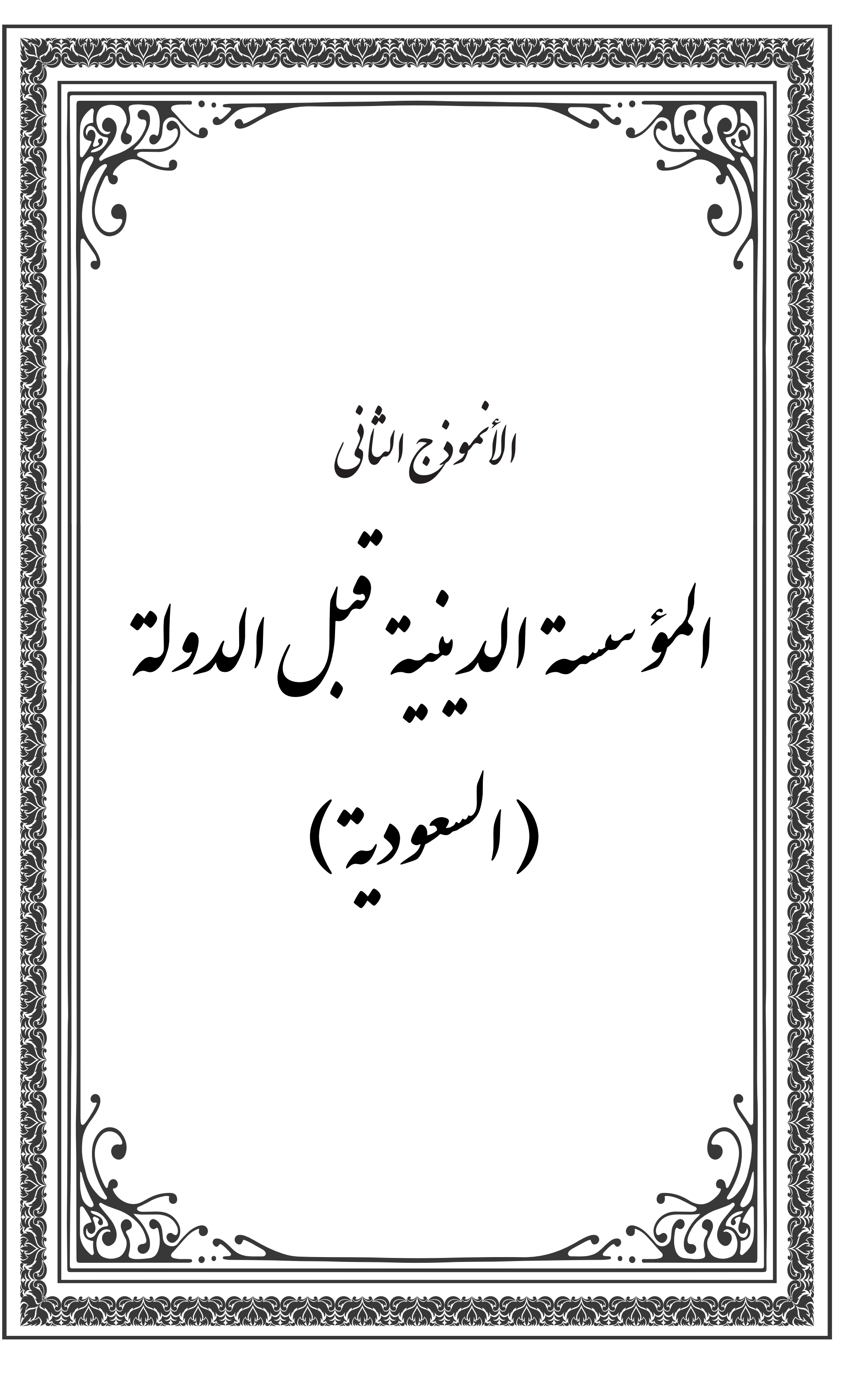
ألم يقم وزير التعليم المصري؛ حسين بهاء الدين بحذف بعض غزوات الرسول ﷺ المتعلقة بسيرة الرسول لتلاميذ المدارس بناء على طلب هيئة استشارية أمريكية باعتبار أن هذه المقررات والمناهج المدرسية تخدم التطرف وضد التطبيع مع الكيان الغاصب لفلسطين!! بالإضافة إلى فصله كل مدرس يشتبه في أنه من الملتزمين دينياً وإن كان شكلياً! وراجع إن شئت ملف محاكم القضاء الإداري التي يتظلم أمامها؛ المدرسون ضد وزير التعليم بسبب فصله إياهم أو نقلهم إلى وظائف إدارية بعيدة عن التعاليم التربوي

المباشر!!

ألم يقم وزير الإعلام المصري؛ صفوت الشريف؛ بتجفيف برامج إذاعة القرآن الكريم.. أكثر من أحد عشر برنامجاً دينياً تم شطبه وإلغاؤه.. لمصلحة من؟!! بالإضافة إلى فصل ونقل المذيعات اللائي ارتدين الحجاب!!

مقابلات شيخ الأزهر المشبوهة لحاخامات اليهود وحصوله على الدكتوراه الفخرية !! من أجل ماذا؟!! (هلا جلس أحدكم في بيت أبيه وبيت أمه) أو كما قال الرسول ﷺ لابن اللتبية.

لمصلحة من هذه المؤتمرات المتوسطية والإقليمية والكونية، وازدياد نغمة محاربة الأصولية والقضاء على الإرهاب!! لدرجة أن هذا الشعار الذي ابتكره النظام المصري (محاربة الإرهاب)! يستخدم اليوم بمباركة علماء المؤسسة الدينية الرسمية؛ في قتل وتشريد وتجويع المسلمين، واحتلال بلادهم بذريعة القضاء على الإرهاب!! لذلك لا ضير أن يردد رئيس روسيا اليوم لقتله مسلمي الشيشان؛ طالما أن هناك شعاراً ينطلي على البسطاء وبموافقة العلماء.. (نحن لا نحارب الإسلام بل نحارب الإرهاب!!) لا ضير أن تضرب أمريكا السودان وأفغانستان طالما أن هناك شعاراً اسمه (محاربة الإرهاب!!).. لا ضير أن تضرب فلسطين ويسحل شعبها ويدنس قدسها؛ طالما أن علماء المؤسسة الدينية لا يزالون يتفرجون!!. بل إنهم ينمقون بيانات التأييد لضرب العجائز والأرامل وطمس الحضارات ووأد المآذن!! كل ذلك تحت مسمى الشعار اللعين محاربة (الإرهاب!!).. (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال).



الأنموذج الثاني

المؤسسة الدينية قبل الدولة (السعودية)

الأنموذج الثاني

المؤسسة الدينية قبل الدولة(السعودية)

تقدمة:

يعتبر الأنموذج السعودي التجربة الفريدة في تاريخ الممالك الإسلامية؛ حيث استخدمت الأنظمة الحاكمة المتعاقبة ـ الدولة السعودية الأولى والثانية والحالية ـ الدين على نطاق واسع، وبصورة دقيقة ومدروسة.

في الأنموذج المصري نجد العلمنة واضحة من خلال قوانين النظام الحاكم، وعلمنته للمجتمع، وحربه على منابع التدين.

أما الحالة السعودية فالأمر مختلف؛ فالعلمنة خفية، والهدي الظاهر ـ لحية /نقاب/حجاب/ غلق بعض المحلات في أماكن معينة وقت الصلاة..إلخ ـ كل ذلك لا تحاربه الدولة علانية!.

وهناك حدود تقام خصاة على بعض الجنسيات الضعيفة لذر الرماد في العيون!، أي أن هناك جزءاً من الشريعة الإسلامية يعمل به في هذه الدولة. وهنا مكمن الخطورة. فالعلماء مع السلطة حيث ذهبت!! يدافعون ويذبون ويستدلون بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي تدعو إلى عدم الخروج على ولي الأمر!!؛ فإنزال هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على واقع خفي غير معلوم لعامة المسلمين؛ أدى بدون شك إلى بلبلة لدى الأوساط الإسلامية خاصة المنتسبين إلى الحركات الإسلامية.

لذلك كان العلماء بمثابة المخدر الذي يعطى للمريض الدواء في غير

محله!؛ ومن هنا كانت السلطة تجل العلماء وتغدق عليهم العطايا والهبات؛ لأنهم الدعامة الحقيقية لملكهم واستقرارهم.

من خلال هذه الطرح نلقي النور على طبيعة العلاقة بين المؤسستين الدينية والحاكمة، وكيف تم احتواء المؤسسة الدينية واستخدامها؛ حتى صارت بوقاً يضفي الشرعية على كل مخازي وجرائم النظام السعودي!، وكيف ظهر المخبوء وبانت سوأة المؤسسة الدينية في الأونة الأخيرة. هذا ما سنتناوله في الفصول القادمة.

الفصل الأول

الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ ـ ١٨١٨)

قبل أن نلج في الحديث حول هذه الحقبة، نلقي نبذة عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – (١١١٥– ١٢٠٦) واضع اللبنات الأولى للمؤسسة الدينية قبل قيام الدولة السعودية الأولى، الذي كان من ثمرة دعوته الدولة السعودية الثانية والثالثة.

التعريف بالشيخ محمد بن عبد الوهاب[١]

«الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ولد في بلدة العيينة إلى الشمال من الرياض بحوالي أربعين كيلومتراً عام ١١١٥ هجري ، وعاش في بيئة صالحة إذ كان أبوه عالماً، وعمل في القضاء في العيينة وحريملاء ، كما كان جده

[١] راجع ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأعلام/ للزركلي ج٦ ص٢٥٧.. وتاريخ ابن غنام.. وسيرة الشيخ لأحمد عبد الغفور عطار .

مفتي نجد، وإماماً في الفقه، وكذا كان عمه، فنشأ في بيت علم ودين، فكان شغوفاً لتحصيله، واهتم بكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقام برحلات في طلب العلم إذ سافر إلى الحجاز، والإحساء، والبصرة فالتقى بالعلماء، ورأى أوضاع المسلمين، فكتب الرسائل ودون الكتب. رحل والده إلى حريملاء عام ١١٥٣ هجري لخلاف بينه وبين أمير العيينة الجديد، فرحل ابنه معه، وأراد أن يعمل بالدعوة فمنعه والده فانصرف إلى التأليف. ولكن لم يلبث والده أن توفي في ذلك العام، فأعلن الشيخ عن رأيه، وبدأ يدعو الناس إلى ترك ماهم عليه من بدع، والتمسك بالإسلام، ووجد أن جو «حريملاء» لا يناسب الدعوة، فقرر العودة إلى العيينة، وساعده عثمان بن معمر أميرها في نشر دعوته، وبدأ في التطبيق إذ قطعت الشجرة التي يتبرك بها الناس، وهدمت القبة التي فوق ضريح زيد بن الخطاب رضي الله عنه، ورجمت الزانية. وتوفي الشيخ عام ١٢٠٦ هجري «[١]

فبعد أن أقام الشيخ حد الرجم على المرأة الزانية ثارت بعض قبائل العرب وأهل البدع متهمة إياه بالخروج على الشرع ورموه بالتكفير «فشكوه إلى شيخهم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والأحساء، فأغروه به، وصاحوا عنده وقالوا: إن هذا يريد أن يخرجكم من ملككم، ويسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور، ويبطل العشور والمكوس. فلما خوفوه بذلك كتب إلى عثمان بن معمر يأمره بقتله أو إجلائه عن بلده، وهدده بأنه إذا لم يفعل ذلك قطع عنه خراجه الذي عنده في الأحساء . وكان خراجاً

[١] التاريخ الإسلامي: محمود شاكر/المكتب الإسلامي/بيروت/ج٨/٢٥٧،٢٥٦.

كثيراً – وأوعده باستباحة جميع أمواله لديه. فلما ورد على عثمان كتاب سليمان استعظم الأمر، فآثر الدنيا على الدين، وأمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالخروج من العيينة»[١]

أقول: هكذا تخلى أمير العيينة عثمان بن معمر عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بعد أن اتبعه وناصره، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا لأمر الشيخ.

لكن لما لم يحقق مأربه وعلم جدية تهديد الأمير سليمان له؛ خذل الشيخ بل قام بحرب الشيخ فيما بعد.

وهذا ما يؤكد أن هذا الأمير كان يطمع في مناصرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب له عن طريق أتباعه المخلصين والمحبين للشيخ، ومن ثم يستطيع أن يفرض سطوته على القبائل باستقوائه بوجود الشيخ ومناصرته له.

ولكن تاتي الرياح بما لا تشتهيه السفن!! فسرعان ما جاءت الرسالة القاصمة لهذا الأمير المستغل.

ثم خرج الشيخ من العيينة إلى الدرعية «فلما سمع الأمير محمد بن سعود، قام من فوره مسرعاً إليه فسلم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده. فبسط الأمير محمد يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده.

وقد بقي الشيخ رحمه الله سنتين قي الدرعية: يناصح الناس ويهديهم إلى

[١] تاريخ نجد: للشيخ حسين غنام/مطابع الشرق الأوسط/ج١/ص٨٠

سبيل الحق. فلما علم عثمان بن معمر بكل ذلك ندم على ما فعل من إخراج الشيخ، وعدم مناصرته، وخاف منه أموراً.

فركب في عدة رجال من أهل العيينة ورؤسائها، وقدم على الشيخ في الدرعية، وأراده على الرجوع معه، ووعده النصر والمنعة.

فقال الشيخ: هذا ليس إلي، إنما هو إلى محمد بن سعود، فإن أراد أن أذهب معك ذهبت، فأتى عثمان إلى محمد بن سعود، فأبى عليه، ولم يجد إلى ما أتى إليه سبيلاً، فرجع إلى بلده مضمراً العداوة والشر والغدر، وإن كان يبدي مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد. إلى أن تكرر منه المكر، وظهر نفاقه، وانكشف أمره، فقام بقتل جماعة من أهل التوحيد، بعد أن انقضت صلاة الجمعة في مصلاه بمسجده بالعيينة»[١] .

أقول: هكذا صفا الجو للأمير محمد بن سعود؛ فباسم الدين الذي يمثله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه قوي مركز الأمير محمد بن سعود، خاصة أن معظم جنده من أتباع الشيخ وهم شباب متدينون يحبون الجهاد في سبيل الله. فماذا عسى ابن سعود أن يفعل إلا أن يكون أداة طيعة في يد الشيخ.

لذلك «قد بقي الشيخ بيده الحل والعقد، والأخذ والإعطاء، والتقديم والتأخير، ولا يركب جيش ولا يصدر رأي من محمد بن سعود، ولا من ابنه عبد العزيز إلا من قوله ورأيه»[٢] .

[١] تاريخ نجد: ج١/ص٨٢
[٢] تاريخ نجد/ج١/ص٨٤

هكذا صارت مقاليد السلطة بيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لكن ماذا فعل الشيخ بعد أن صارت الأمور في يده؟

«فلما فتح الله الرياض، واتسعت ناحية الإسلام، وأمنت السبل، وانقاد كل صعب من باد وحاضر، جعل الشيخ الأمر بيد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه، وانسلخ منها، ولزم العبادة»[١]

أقول: للأسف الشديد فوت الشيخ الفرصة على المسلمين لكي ينعموا بشريعة إسلامية يعمل بها حقاً، وبأيدي متوضئة طاهرة تحرس هذه الشريعة السمحاء؛ لكن الشيخ رحمه الله أحسن الظن بمن لا يستحق، وكان قدر الله أمراً مقدوراً!!.

«وقد استمرت الحروب الدينية بين القبائل العربية بسبب الدعاية الوهابية زهاء ستين عاماً ازداد في خلالها أنصار ابن عبد الوهاب وأصبحوا جنداً عديدين حمل بهم على أطراف جزيرة العرب.. وفي هذه السنة ـ ١٨٠٣ – دخل الأمير سعود المدينة المنورة، وأخذ في نشر سيادته على بلاد العرب حتى بلغت حدود مملكته في سنة ١٨٠٩ شمالاً صحراء سوريا وجنوباً بحر العرب وشرقاً الخليج الفارسي وغرباً البحر الأحمر. فهنا وبعد أن استفحل الخطر الوهابي السعودي وبلغ إلى هذا الحد رأى السلطان محمود الثاني[٢]

---

[١] تاريخ نجد/ج١/ص٨٤

[٢] يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه (زعماء الإصلاح في العصر الحديث) عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن دعوته وعن الأسباب التي أدت إلى نجاحها وتخوف الدولة العثمانية منها: «لقد بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يدعو دعوته في لين ورفق بين قومه. ثم أخذ يرسل الدعوة لأمراء الحجاز والعلماء في الأقطار الأخرى حاثاً لهم على استنهاض الهمم في مكافحة البدع والرجوع إلى الإسلام الصحيح. كم من المصلحين دعوا مثل هذه الدعوة، ولكنها مرّت بسلام، وإن شابها شئ

أن يستعين بمحمد علي والي مصر على صد هذا الخطر فلبى الأمر وبدأ بتنفيذه»[١] .

فسجن الداعي أو التشهير به، ورميه بالكفر أو الزندقة، ثم ينتهي الأمر ويعود الناس سيرتهم الأولى؛ بل نرى من قام بمثل هذه الدعوة ـ فعلاً ـ في المغرب كالشيخ أبي العباس التيجاني، فقد أمر بترك البدع ونهى عن زيارة القبور، وكثرت أتباعه حتى بلغت مئات الألوف، ولكن لم يلفت الناس والحكام أمره كما لفتهم محمد بن عبد الوهاب؛ وكذلك الشيخ محمد عبده دعا مثل هذه الدعوة فأجابه بعضهم، وأنكر عليهم بعضهم، ثم أسدل الستار. فما السبب في نجاح الدعوة الوهابية دون الأخرى؟ السبب في هذا ما أحاط بالدعوة الوهابية من ظروف لم تتهيأ لغيرها. فقد اضطهد في بلده العيينة، واضطر أن يخرج منها إلى الدرعية مقرّ آل سعود، وهناك عرض دعوته على أميرها محمد بن سعود فقبلها، وتعاهدا على الدفاع عن الدين الصحيح ومحاربة البدع، ونشر الدعوة في جميع جزيرة العرب باللسان عند من يقبلها، وبالسيف عند من لم يقبلها؛ وإذ ذاك دخلت الدعوة في دور خطير، وهو اجتماع السيف واللسان، وزاد الأمر خطورة نجاح الدعوة شيئاً فشيئاً، ودخول الناس أفواجاً فيها، واخضاع بعض الأمراء بالقوة لحكمها، وكلما دخلوا بلدة أزالوا البدع وأقاموا تعاليمهم، حتى هددت الحركة كل جزيرة العرب. ولما مات الأمير ومات الشيخ تعاقد أبناء الأمير وأبناء الشيخ على أن يسيروا سيرة أبويهم في نصرة الدعوة مكتانفين، وظلوا يعملون حتى غلبوا على مكة والمدينة» ويواصل الأستاذ أحمد أمين حيثه قائلاً: «وشعرت الدولة العثمانية بالخطر يهددها بخروج الحجاز من يدها، وهو موطن الحرمين الشريفين اللذين يجعلان لها مركزاً إسلامياً ممتازاً، تفقد الكثير منه إذا فقدتهما. فأرسل السلطان محمود إلى محمد علي باشا في مصر أن يسيّر جيوشه لمقاتلة الوهابيين؛ وكما أرسلت الجيوش لمقاتلتهم أرسلت الدعاية من جميع الأقطار الإسلامية للنيل من هذه الدعوة وتكفير مبتدعيها. وحمل علماء المسلمين عليها حملات منكرة، وألّفت الكتب الكثيرة في التخويف منها والتشنيع عليها.

وهكذا حدثت الحرب بالسيف والحرب بالكلام، كل هذا خدم الدعوة الوهابية بلفت الأنظار إليها، ودورانها على كل لسان. وزاد في شأنها أن الوهابيين انتصروا على حملة محمد علي باشا الأولى بقيادة الأمير طوسون. ثم أعد محمد علي باشا العدة القوية الكبيرة، وسار بنفسه وحاربهم بخير سلاحه، فانتصر عليهم، وأتم النصر ابنه إبراهيم باشا، وانهزمت قوة الوهابيين. ولكن بقيت الدعوة « ويقول أحمد أمين : إن الدعاية التي أحكمت ضدها ـ أي الدعوة الوهابية ـ وتعلق الناس بالدولة العثمانية، وميلهم الشديد أن تظل بلادها وحدة لا ينفصل عنها جزء، جعلت عامة المسلمين في أقطار العالم الإسلامي يفرحون بهزيمة الوهابية، ولو لم يفهموا جوهر دعوتها. وشئ آخر كان كبير الأثر في تنفير عامة المسلمين من هذه الحركة، وهو أنها حيث استولت على بلد نفذت تعاليمها بالقوة ولم تنتظر حتى يؤمن الناس بدعوتها؛ فلما دخلوا مكة هدموا كثيراً من القباب الأثرية، كقبة السيدة خديجة، وقبة مولد النبي ﷺ، ومولد أبي بكر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ ؛ ولما دخلوا المدينة رفعوا بعض الحلي والزينات التي كانت على قبر الرسول ﷺ؛ فهذه كلها أثارت غضب كثير من الناس وجرحت عواطفهم. فمنهم من حزن على ضياع معالم التاريخ. ومنهم من حزن على الفن الإسلامي. ومنهم من حزن لأن مقبرة الرسول ﷺ وفخامتها مظهر للعاطفة الإسلامية وقوة الدولة؛ وهكذا اختلفت الأسباب واشتركوا في الغضب. والوهابيون لم يعبئوا إلا بإزالة البدع والرجوع بالدين إلى أصله» راجع كتاب (زعماء الإصلاح في العصر الحديث/أحمد أمين/مكتبة النهضة المصرية/ بتصرف/ص١٨ وما بعدها

[١] تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل/ جورج يانج/تعريب: علي أحمد شكري/ مكتبة مدبولي /القاهرة/ ص١٠٩ ، ١١٠.

وفي أول مارس ١٨١١ أرسل محمد علي جيشاً تحت قيادة ولده طوسون باشا إلى الجزيرة العربية لمحاربة أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبعد حروب عدة استخلص طوسون المدينة المنورة، بعد أن نسف أسوارها بالألغام ودخلها عنوة. وبعد عودة طوسون إلى القاهرة أرسل محمد علي ابنه الأكبر إبراهيم باشا إلى استئصال الوهابيين، فاحتل الرس وعنيزة وغيرها «وفي ٢٩ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ الموافق ٦ إبريل ١٨١٨وصل أمام مدينة الدرعية وكان بها عبد الله بن سعود ومعظم جنوده.

ولما كانت هذه المدينة متسعة الأرجاء ولا يمكن لإبراهيم باشا محاصرتها بكيفية تضطرها إلى التسليم أشار عليه أحد أركان حربه من الفرنساويين المدعو المسيو «فسيير» بحصار القرى الأربع المحيطة بالمدينة الواحدة بعد الأخرى، حتى إذا احتلها أمكنه محاصرة المدينة الأصلية بكل سهولة فاتبع ابراهيم باشا هذا الرأي لما فيه من المطابقة على أصول الحرب ومع ذلك استمر الحصار عدة أشهر، لكن لما رأى عبدالله بن سعود أن المصريين قد احتلوا ثلاث قرى من ضواحي المدينة مال إلى التسليم، وطلب من إبراهيم باشا في ٧ ذي القعدة ١٢٣٣ الموافق ٩ سبتمبر ١٨١٨ إيقاف القتال للمفاوضة في الصلح فأوقفه وبعد محادثات طويلة قبل الوهابي تسليم مدينة الدرعية، ثم سافر عبد الله بن سعود إلى الآستانة من طريق مصر»[١] .

وفي التاريخ الإسلامي «واضطر عبد الله بن سعود[٢] لتسليم نفسه حيث

---

[١] تاريخ الدولة العلية/محمد فريد بك المحامي/دارالجليل/بيروت/ص٢٠٥،٢٠٤

[٢] الأمير ابن سعود توفي سنة ١٢٣٤هـ الموافق ١٨١٨م:
«عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد: من أمراء نجد. وليها بعد وفاة أبيه سنة ١٢٢٩هـ ونازعه أخوه فيصل بن سعود، فضعفت شوكته، فحاربته جيوش العثمانيين القادمة من مصر، وتغلب عليه

أرسل إلى مصر، ومنها إلى استنبول حيث أعدم هناك. وأمر إبراهيم باشا[١] أسرتي آل سعود وآل الشيخ بالرحيل إلى مصر إلا من اختفى منهم أو هرب، ثم هدم الدرعية، وقطع نخيلها، وعاد إلى القاهرة فوصل إليها في صفرعام ١٢٣٥هـ وهكذا انتهت الدولة السعودية التي عرفت فيما بعد بالدولة السعودية الأولى»[٢]

أقول: هكذا قضى محمد علي باشا على الدولة السعودية الأولى، وقتل المئات من الجنود، والدعاة المخلصين بل إنه قضى على الكوادر النقية من أتباع الشيخ الذين حملوا عبء الدعوة وأقاموا هذه الدولة الأولى.

لقد تعامل محمد علي بكل قسوة، ووحشية بغية القضاء على هذه الدعوة المتمثلة في الدولة الجديدة التي ولدت في ظروف صعبة جداً حيث كان العالم الإسلامي يموج بالبدع والخزعبلات تحت حماية السلاطين والولاة؛ ناهيك عن علماء المؤسسات الدينية الذين كانوا يوالون سلطة ذلك العصر؛ حيث اتهموا الوهابيين بالخروج عن الشرع ووصموهم بالجهل، ورموهم بأنهم خوارج. وتعصب العلماء والفقهاء ضدهم لصالح الأنظمة.

لذلك لم يدافع عنهم معظم علماء وفقهاء ذلك الزمان! لقد بلغ الأمر

قائدها إبراهيم باشا فطلب الصلح، وأجابه إليه إبراهيم. واجتمعا فلاطفه إبراهيم وطلب منه أن يتهيأ للسفر، فرجع إلى معسكره وتجهز في بضعة أيام، وأرسله إبراهيم إلى مصر فأكرمه واليها محمد علي باشا، وواعدوه بالتوسط له عند حكومة الآستانة فقال المقدور يكون.. وحمل إلى الآستانة ومعه اثنان من رجاله وهما (سري وعبد العزيز بن سليمان) فطيف بهم في شوارعها ثلاثة أيام متتابعة وأعدموا في ميدان مسجد آيا صوفيا وقطعت رؤسهم وظلت جسومهم معروضة بضعة أيام وكان عبد الله شجاعاً تقياً في رأيه ضعف»الأعلام للزركلي/ج٤/ ص٨٩ وما بعدها بتصرف يسير.

[١] راجع ترجمته في: ذكرى البطل إبراهيم باشا ١٨٤٨ ـ ١٩٤٨: الجمعية الملكية للدراسات والأبحاث التاريخية ـ مكتبة مدبلوي ـ القاهرة ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨.

[٢] التاريخ الإسلامي/ج٨/ص٢٦٣

سوءاً أنّ أسرى الوهابيين بيعوا كالعبيد في أسواق مصر!! وقد سطر لنا الجبرتي كشاهد عيان بكل أسى وحزن هذه المأساة؛ إذ يقول «**وفيه وصل جماعة من عسكر المغاربة، والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز، وصحبتهم أسرى من الوهابية نساء وبنات**، وغلماناً نزلوا عند «الهمايل» . مكان – وطفقوا على من يشتريهم مع أنهم مسلمون و أحرار»[١] .

[١] تاريخ عجائب الآثار: الجبرتي/دار الجيل/بيروت/ج٣/ص٦٠٦.

الفصل الثاني

الدولة السعودية الثانية (١٨٢٤ ـ ١٨٩٧)

بعد رحيل إبراهيم باشا عن الدرعية عادت حياة الفوضى إليها مرة أخرى، وانشطرت الدولة إلى إمارات صغيرة مثل: الرياض، والخرج، وحريملاء، وبريدة..وانقسم البيت السعودي.. وتقاتل الإخوة وأبناء العمومة، وانقض على الدرعية قادماً من العيينة محمد بن مشاري بن معمر، وأخذ البيعة من كثير من البلدان عند الرياض وحريملاء والخرج ثم تآمر على مشاري بن مسعود الذي هرب من قافلة الأسرى المتجهة إلى مصر وسلمه إلى العثمانيين فقتلوه، ثم عاد ابن معمر إلى حكم الدرعية. وكان تركي بن عبدالله بن محمود بن سعود قد لاذ بالفرار إلى الخرج واعتصم فيها عندما سقطت الدرعية بيد إبراهيم باشا، ثم حكم الرياض أيام تسلم ابن عمه مشاري حكم الدرعية، فلما عاد ابن معمر إلى الدرعية سار تركي إليه وقتله عام ١٢٣٦ إلا أن القوات العثمانية قد جاءت إلى الرياض وأجبرته على مغادرتها عام ١٢٣٧، وتمكن بعد مدة أن يعود إليها ثانية، وأن يهزم القوات العثمانية، وأن يخرجها منها عام ١٢٤٠، وعندها جاءت إليه وفود نجد تعلن له الطاعة، وجاءه أهل عمان أيضاً عام ١٢٤٤، وانتصر على بني خالد؛ فجاء أهل الإحساء، وبايعوه وهكذا عادت الدولة السعودية من جديد، وعرفت باسم الدولة السعودية الثانية، وأصبحت قاعدتها الرياض بدلاً من الدرعية، كما أن الحكم انتقل من أسرة عبد العزيز بن محمد إلى

أسرة عبدالله بن محمد»[١]

وفي هذه الفترة تشجع الأسرى المحبوسون في مصر وفرحوا بالخبر وتمكن مشاري بن عبدالرحمن وفيصل بن تركي بن عبدالله، ثم استطاع فيصل بن تركي أن يخضع الإحساء والقطيف عام ١٢٦٠، ثم توفي فيصل عام ١٢٨٢م وترك أربعة أولاد هم: عبد الله، ومحمد، وسعود ، وعبد الرحمن، ثم تسلم الولد الأكبر لفيصل وهو عبد الله الحكم بعد أبيه، ثم ثارت منازعات حول الحكم بين الإخوة مرة أخرى.

وبعد أن توفي سعود بن فيصل عام ١٢٩١ اختار أهل الرياض حاكماً عليهم أخاه الصغير عبدالرحمن بن فيصل؛ لكنه اختلف مع أبناء أخيه سعود، واستطاعوا الاستيلاء على الرياض، بعد أن حكم عمهم الرياض مدة سنتين، ثم «اتفق أبناء فيصل فيما بينهم، وولوا عليهم أكبرهم عبد الله، واستطاعوا دخول الرياض، وإخراج أبناء أخيهم سعود، واستمر الأمر حتى عام ١٣٠٢»[٢].

لكن أبناء سعود لموا شعثهم واستجمعوا قوتهم فاستطاعوا العودة إلى الرياض والقاء القبض على عمهم عبدالله، وعينوا كبيرهم محمد بن سعود[٣]

[١] التاريخ الإسلامي: /ج٨/ص٢٦٥،٢٦٤.

[٢] التاريخ الإسلامي: مرجع سابق. ج٨/ص٢٦٨

[٣] الأمير محمد بن سعود: «محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان من بني مانع المنسوب إلى مرة بن ذهل بن شيبان، من عدنان. أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد. كان مقامه بالدرعية، وولي الإمارة بعد وفاة أبيه بسنتين أو بأربع سنين سنة ١١٣٩هـ وحسنت سيرته وقويت شوكته، وكان يساعده أخوه (ثنيان) وانفرد بعد وفاته بالحكم سنة ١١٦٠هـ وفي أيامه سنة ١١٥٧هـ وفد على الدرعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية المعروفة باسمه، فتعاهدا على أن يكون ابن سعود حارساً للدين وناصراً للسنة، وأن يستمر ابن عبد الوهاب على الجهر بدعوته، واتسعت الإمارة فشملت أكثر نجد ولم يبق خارجاً عن حكمه منه غير الرياض والحسا والقصيم، وكان شجاعاً حازماً توفي بالدرعية سنة ١١٧٩هـ الموافق ١٧٦٥م» الإعلام للزكلي/ج٦/ص١٣٨.

حاكماً على الرياض عام ١٣٠٢هـ.

وبسبب هذه الفوضى والصراع على الحكم بين الإخوة الأعداء، وانعدام الأمن وضجر السكان من هذا الصراع العقيم حول الحكم .. دخل آل رشيد - العدو التقليدي لآل سعود - الرياض لكنه ترك الحكم لمحمد بن سعود على أن يكون تحت إشرافه.. وسمح لابني فيصل (عبد الله وعبد الرحمن).. ثم توفي عبدالله بعد وصوله بيومين عام ١٣٠٧هـ، واختير عبدالرحمن بن فيصل حاكماً للرياض من قبل سكانها، وسحب محمد بن عبدالله بن رشيد قواته.

ثم «عاد ابن رشيد فأرسل حملة جديدة إلى الرياض فلما وصلت إلى القصيم، وانتصرت على أهله فاضطر عبدالرحمن بن فيصل أن يغادر الرياض إلى الإحساء فالقطيف فالكويت، ثم رجع إلى قطر فالبحرين، ثم سمح له أمير الكويت بالإقامة عنده، فارتحل إليه عام ١٣٠٩. ودخلت قوات آل رشيد الرياض التي غدت تتبع لهم. وهكذا زالت الدولة السعودية الثانية»[١]

[١] التاريخ الإسلامي: ج٨/ص٢٦٨

الفصل الثالث

الدولة السعودية الثالثة

لقد لاحظنا غياب دور العلماء بصورة ظاهرة في الدولة السعودية الثانية، عكس دورهم القوي في قيام وتأسيس الدولة السعودية الأولى. وهذا يؤكد أن العلماء والدعاة المخلصين قد قتلوا خلال معاركهم مع محمد علي باشا والمعارك الأخرى التي خاضوها أثناء دعوتهم وتثبيت حكمهم. فالدولة السعودية الثانية لم تخل بالكلية من العلماء، لكن صراع الإخوة الأعداء وصراعهم على الحكم، لم يظهر الجانب الآخر - المؤسسة الدينية - الذي يعتمد عليه الحكام غالباً، في مثل هذه الظروف.

لكن هذا الدور برز بصورة كبيرة وراسخة مع ظهور نجم الدولة السعودية الثالثة، وهي الحقبة التي برز فيها دور المؤسسة الدينية، وشكلت ثنائية تزاوجية للتعايش بين المؤسستين - الحاكمة والدينية - كانت في نهاية التطواف لصالح المؤسسة الحاكمة على حساب المؤسسة الدينية. وهذا ما سنحاول أن ندندن حوله.

لقد حكم آل رشيد «نجد» ما يقرب من اثنتي عشرة سنة، كان خلالها عبدالرحمن بن فيصل في الكويت - لم تكن دولة بهذا الاسم المتعارف عليه حاليا - وفي هذه الفترة اختلف أمراء الكويت على الحكم، وثاروا على عمهم الشيخ مبارك؛ لكنهم فشلوا في تمردهم فلجأوا إلى العراق يطلبون المساعدة من العثمانيين ضد عمهم؛ لكن الشيخ مبارك تحالف مع الإنجليز ضدهم،

ولما كان عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل[١] لاجئاً عند الشيخ مبارك اقترح عليه أن يسير بقوة إلى الرياض ويأخذها من آل رشيد، فتضعف قوتهم، وسار على رأس قوة وصلت إلى الرياض؛ لكنه اضطر إلى الانسحاب بعد هزيمة الشيخ مبارك أمام آل رشيد؛ لكن عبد العزيز بن عبدالرحمن عاد مرة ثانية واستطاع دخول الرياض.. و»بعد أن استولى عبد العزيز على الرياض؛ بدأ يتوسع فاستولى على (الوشم) و(سدير) عام ١٣٢١، وفي العام التالي ضم (بريدة) و(عنيزة)، وتنازل ابنه متعب عن القصيم بعد الصلح الذي جرى بينه وبين أمير الرياض عبد العزيز بن عبدالرحمن. عاد القتال بين أمير حائل الجديد سلطان بن حمود آل عبيد الذي قتل ابن عمه متعب عبد العزيز بن عبدالرحمن، واستسلام آل رشيد وقد فتكت بهم الخلافات أكثر

[١] الملك عبد العزيز: «عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من آل مقرن من ربيعة بن مانع من ذهل بن شيبان ملك المملكة السعودية الأول ومنشأها وأحد رجالات الدهر، ولد في الرياض بنجد سنة ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م، ودولة آبائه في ضعف وانحلال. وصحب أباه في رحلة إلى البادية يطارده عدوه ابن رشيد (محمد بن عبد الله) واستقر مع أبيه في (الكويت) سنة ١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩١م وشب فيها وشن الغارات على آل رشيد وأنصارهم وفاجأ عامل ابن رشيد في الرياض بوثبة ليس هنا مجال وصفها. فاستولى عليها وجدد فيها إمارة آل سعود سنة ١٣١٩هـ الموافق ١٩٠٢م وضم إلى الرياض ما هو قريب منها: الخرج والمحمل والشعيب والوشم والحوطة والأفلاج ووادي البواسر، واستولى على بلاد القصيم سنة ١٣٢٤هـ بعد معارك مع جبار آل رشيد (عبد العزيز بن متعب) وجيوش من الترك العثمانيين واستولى على الإحساء والقطيف سنة ١٣٣٠ هـ وأخرج منها آخر من بقي من عمال العثمانيين وعساكرهم في تلك الأصقاع. وكان لآل عائض إمارة أبها من بلاد عسير في الجنوب تمردت عليه فأزالها ثم ضم عسيراً كلها إلى ملكه. وأزال إمارة آل رشيد في الشمال. وكانت بينه وبين الملك حسين بن علي الهاشمي وابنه علي بن الحسين أحداث انتهت بالقضاء على دولة الهاشميين في الحجاز سنة ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٥م وأصبحت مكة عاصمة آل سعود ونودي به ملكاً على الحجاز ونجد وكان من قبل الأمير والسلطان والإمام وثار عليه بعض كبار قواده (فيصل الدويش وآخرون) سنة ١٣٤٧هـ إلى ١٣٤٨هـ فبطش بهم ومحا آثارهم وبرزت فتنة بان رفادة في الشمال ١٣٥١هـ فوجه إليه قوات سحقته ومن معه في معركة واحدة، وأعلن في هذه السنة سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م توحيد الأقطار الخاضعة له، وتسميتها المملكة العربية السعودية ولم يشغله خوض المعارك وتجهيز الجيوش وقمع الفتن عن تنظيم بلاده، وسن ما يلائمها من النظم وانشاء العلاقات السياسية والإقتصادية مع الدول العربية والأجنبية. توفي بالطائف، ودفن بالرياض سنة ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م»الأعلام للزركلي/ ج٤/ ص١٩ وما بعدها بتصرف.

مما يفتك بهم الخصم، وضمت حائل إلى إمارة نجد عام ١٣٤٠. واستولى عبد العزيز بن عبد الرحمن على الإحساء عام١٣٤١ عندما ضعفت الدولة العثمانية بسبب حروب البلقان وانشغالها بتلك الحروب. وضم إليه عسير عام ١٣٤١، والحجاز عام ١٣٤٤، وتهامة عام ١٣٤٥، وأطلق اسم المملكة العربية السعودية على هذه الأجزاء مجتمعة»[١].

هكذا صار عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن فيصل الملقب بابن سعود (١٨٧٩ – ١٩٥٣) ملكاً للدولة السعودية الثالثة بحدودها الجغرافية الحالية.

لكن هذا النصر تم بمساعدة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي سرت في بعض القبائل، وبقيت في صدور بعض أبنائه وأتباعه؛ وهم العلماء ومشايخ القبائل والدعاة الذين استغلهم عبد العزيز في حروبه تحت راية الجهاد في سبيل الله!! ورغم اشادة بعض المؤرخين والكتاب بشجاعة وبسالة وعبقرية رجل الصحراء، وأسد البادية؛ ابن سعود، فإنهم قد أغفلوا الدور الرئيسي لجيش الإخوان الذي بدأت نواته في عام ١٩١٠ ـ عام ١٩١١. وقد ساعد هذا الجيش العقائدي أن يجمع القبائل المتناحرة حول ابن سعود.

لقد «خاض جيش الإخوان من ١٩١٢ – ١٩٢٨، الحروب والمعارك التالية:

- ساهم جيش الإخوان في فتح «الإحساء» عام ١٩٢٣م، وإخضاع بعض القبائل في «المنطقة الشرقية» ما بين ١٩١٤ - ١٩١٥م .
- ساهم جيش الإخوان في معركة «جراب» الشهيرة عام ١٩١٥م ، بين «ابن سعود» وعدوه التقليدي «ابن رشيد» ثم المعارك التي تلتها.

[١] التاريخ الإسلامي: ج٨/ص٢٧٠.

- في عام ١٩١٩م، احتل القائد الوهابي الشهير «سلطان بن بجاد» موقع التربة، بعد أن سحق جبش الأمير عبدالله بن الشريف حسين سحقاً كاملاً.
- في ١٩٢٢م، دخل جيش الإخوان مدينة الطائف، وأعمل السيف في أهلها.
- ساهم جيش الإخوان في تطويق مدينة حائل، عاصمة «ابن رشيد» حتى سقوطها عام ١٩٢١م .
- دخل جيش الإخوان مدينة مكة في أواخر عام ١٩٢٤م، ثم ساهم في حصار جدة عام ١٩٢٥م .
- شكل جيش الأخوان كابوساً مرعباً لسكان المدن والقرى الحدودية العراق، الكويت، الأردن، اليمن، عمان التي تعرضت إلى سلسلة من الغارات والغزوات العنيفة والخاطفة دون توقف من ١٩٢٢م إلى ١٩٢٨م وبفعل هذه الغزوات اكتسب هذا الجيش «أسطوريته» وبه تباهى الملك «ابن سعود» أن «سيفه الطويل» يصل إلى أي نقطة يريدها. ولكن هذا الجيش «البدوي – العقائدي» سرعان ما أعلن تمرده الشهير على «إمامه»، عندما أحس قادته بأن مهمتهم الدينية – التاريخية «الجهاد» انتهت مع رسم الحدود التي تم الاتفاق عليها بين بريطانيا والملك ابن سعود»[١] .

وكان لبريطانيا دور مباشر فيما يجري في الجزيرة العربية؛ ومن ثم أرسلت الكابتن شكسبير لتقديم المشورة لعبد العزيز، بالإضافة إلى تدريب القوات

[١] العلماء والعرش: الدكتور أنور عبد الملك/مؤسسة الرافد/لندن/ص٣٦ ، ٣٧.

السعودية على فنون القتال المدفعي، لكنه سقط صريعاً في معركة «جراب» عام ١٩١٥م خاصة عندما علم الناس أن هناك كافراً يقاتل في صفوف (الموحدين).

«هذه الحادثة خلقت مأزقاً حقيقياً لابن سعود ولبريطانيا، فطالب الأول الثاني، بعدم ارسال أو دخول خبراء أجانب إلى منطقة نجد، معقل الوهابيين، وتفهمت بريطانيا وضعية الملك وضروة عدم احراجه أمام رجال الدين وجيش الإخوان الوهابي. ولأهمية (ابن سعود) ضمن استراتيجيتها العسكرية والسياسية في تلك الفترة، أرسلت بريطانيا (خبيراً عسكرياً سياسياً) ألا وهو (جون فلبي) ليلازم الملك الوهابي، وليكون (عينها) اليقظة داخل القلعة الوهابية، ولكن فلبي ظل معزولاً عن المجتمع تقريباً، سنين طويلة، حتى اضطر، إلى اشهار «إسلامه» الظاهري في أوائل الثلاثينات. وهناك مسافة طويلة بين عام ١٩١٦-١٩٣٢م. لهذا أسرعت بريطانيا بتغيير تكتيكها، وذلك بالاعتماد على شخصيات عربية سياسية، موثوقاً بها ومنتقاة بواسطة المخلب البريطاني، لتكون بجانب الملك الوهابي كمستشارين، وفي الوقت نفسه (يشكلون) همزة وصل بينها وبين الملك ابن سعود الذي كان يعاني من ضغط وهابي كبير»[١].

بالطبع لم تساعد بريطانيا الملك عبد العزيز لوجه الله!! فلم ترسل إليه الشيخ المصري حافظ وهبه بك في ١٩٢٢م كمستشار للملك عبد العزيز في العلاقات الخارجية من أجل الدفاع عن حياض الإسلام!! فحافظ وهبه هو الذي قام بإلقاء خطبة عن تاريخ الدعوة الوهابية في عقر الديار

[١] العلماء والعرش: ص٤١

الإنكليزية في ٥ يولية ١٩٢٩م بدار الجمعية الأسيوية في لندن؛ حيث كان الاجتماع برئاسة اللورد (اللنبي).. كما لم ترسل إليه السوري (يوسف ياسين) لتعليم الوهابيين الانضباط الأمني!!؛ فيوسف ياسين هو الذي أنشأ أول جهاز أمني أخذ يبث الجواسيس، والعيون في صفوف القبائل، ويثير البلابل والإشاعات، وينشر الشكوك والأكاذيب.

وفي نهاية التطواف نجح في مشروعه التدميري؛ مما سهل على الملك عبد العزيز فيما بعد بتوجيه ضربة قاصمة، وبكل قسوة لجيش الإخوان في نهاية عام ١٩٢٩م.

فبريطانيا تريد من الملك عبد العزيز خادمها الذي كان يتقاضى راتباً شهريا وبشكل منتظم منذ ١٩١٤م وحتى عام ١٩٢٤ . طبقاً لشهادة فلبي نفسه – من الإنكليز عبر مستر فلبي؛ تريد منه أن يمحوا من أذهان بل ومن صدور جيش الإخوان كلمة «الجهاد في سبيل الله» فمستعمراتهم لم تزل قائمة على ساحل الخليج العربي.

إذن فالقضاء على جيش الإخوان، وتقليص نفوذهم كقوة عسكرية عقائدية، كان مطلباً ملحاً لدى الإنكليز؛ ناهيك عن استخدام الملك عبد العزيز في قتاله ضد الأتراك لصالح الإنكليز.

وهكذا حسم الصراع لصالح الملك عبد العزيز، واستطاع التغلب على جيش الإخوان في عام ١٩٢٩؛ بل إنه قضى عليهم قضاءً مبرماً، واستخدم أيضاً علماء ومشايخ ودعاة للتشهير بجيش الإخوان بغية إضفاء الشرعية على فعلته النكراء!.

ومن هنا ضعفت المؤسسة الدينية، وتضعضعت مرة أخرى.

وأنشأ ابن سعود وأولاده مؤسسة دينية على حسب المزاج السلطوي الجديد، ورضيت هذه المؤسسة بما رسم لها!، فكانت شريكاً في تثبيت ملك آل سعود، ولا نكون مبالغين إذا قلنا كانت المؤسسة الدينية فاعلاً أصلياً في استقرار ملك آل سعود، وفرض هيمنتهم على أرض الجزيرة العربية.

نستطيع أن نتصور دور المؤسسة الدينية من خلال الوظائف الشرعية لأكبر مرجع ديني وشرعي للمؤسسة الدينية منذ تأسيس الدولة السعودية الثالثة إلى وقتنا الحاضر:

الأول: الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، (١٩٠٢م-١٩٢١م)

الثاني: الشيخ محمد بن عبداللطيف، (١٩٢١م-١٩٣٢م)

الثالث: الشيخ محمد بن إبراهيم، (١٩٣٣م-١٩٦٩م)

الرابع: الشيخ عبد العزيز بن باز (١٩٧٠م-١٩٩٩م)

الخامس: الشيخ عبد العزيز آل الشيخ (١٩٩٩م- حتى الآن)

وعلى خط متواز أصدر الملك فيصل بن عبد العزيز المرسوم الملكي رقم ١٨٣/١٩٧٠م بإنشاء هيئة كبار العلماء وتعيين ١٧ شيخاً كأعضاء يشكلون هذه المؤسسة الجديدة..

وقد استخدمت السلطة السعودية هذه الهيئة في صراعاتها مع بعض الحكومات العربية من خلال فتاوى شرعية تستعمل للتهويش أو التخويف السياسي.. فصارت هذه الهيئة.. عصا غليظة في أيدي السلطة تجمد وتطرد العالم الذي لا يسير على النهج المرسوم لها من قبل السلطة كما فعلوا مع الشيخ عبد الله بن قعود..

فعندما هاجم القذافي الملك خالد بن عبد العزيز لسماحه لاستخدام

الأمريكان لطائرات (الأواكس) لأغراض تجسسية.. قامت هيئة كبار العلماء بالدور المنط بها فأصدرت فتوى تكفير القذافي؛ وإن كانت صحيحة من الناحية الشرعية؛ لكنها غير مبرأة من الناحية الساسية؛ فقد جاءت عقب نقد القذافي لسياسة المملكة!.

فلماذا لم تصدر من قبل؟! فهل اكتشفوا فجأة أن القذافي كافر وضال ومضل كما جاء في الفتوى؟! والفتوى نشرتها جريد اليوم بتاريخ ١١/٥/١٤٠٢هـ.. وهاك مقتطف منها: «...**القذافي كافر وملحد وضال ومضل. وفضلاً عن ظلمه وطغيانه وإجرامه بتجريحه عباد الله ورميه إياهم زوراً وبهتاناً بالصفات الذميمة، مما لا يصدر عن عاقل يحترم نفسه وعقله وإنسانيته. ومع ذلك تجريح دعاة الإسلام وعلمائه الذين قاموا بنصرة هذا الدين والدعوة إليه وبذل نفوسهم وأموالهم في سبيل إعلاء كلمة الله».»يقصدون أسرة آل سعود.**»[١]

ونظراً لدعاء بعض الدعاة والخطباء على اليهود والنصارى والسيخ والهندوس..إلخ التي تحتل أراضي الملسمين وتقتل الشباب وتغتصب الحرائر وتعتدي على المقدسات.. ضاق الحكم السعودي حامي الحرمين ذرعاً بدعاء الخطباء بالهلاك على الكفار. فكان لا بد من استخدام العصا الشرعية؛ قامت وزارة الحج والأوقاف بإصدار تعليمات في صورة فتوى شرعية تحت رقم ٣٧١٩ بتاريخ ١٢ / ٥ / ١٤٠٩ جاء فيها: «**وحيث لوحظ أن بعض الخطباء يضمنون خطبهم الدعاء بالهلاك وما شابه ذلك على اليهود والنصارى وطوائف دينية أخرى مع تسمية الدول بأسمائها**

[١] المرجع السابق: ص٤٧٥ بتصرف.

وليس هذا مما أرشدنا إليه القرآن الكريم حيث لم ترد في الكتاب الكريم أسماء دول بعينها وإنما كان القصص القرآني يحطي عن تلك الأمم بصورة عامة، كما أن لنا في رسولنا محمد ﷺ خير قدوة فقد أثر عنه في معرض حديثه عن الناس قوله «ما بال أقوام» معرضاً عن التسمية والتصريح ، ولا شك أن هذا يجنب البلاد الإحراجات مع الدول الأخرى! إذ ليس هناك من مصلحة في هذا التجريح الصريح. لذا نأمل الإطلاع وافهام الخطباء بذلك بصورة لبقة ومناسبة. وفقنا الله جميعاً للخير وييسره لنا إنه سميع مجيب. وزير الحج والأوقاف: عبد الوهاب بن أحمد عبد الواسع»[١] .

انظر إلى المخالفة الصريحة لعقيدة الولاء والبراء التي تخالف النصوص القرآنية الصريحة. كما أنها تتعارض والفتاوى التي نشرها مشايخ المؤسسة الدينية أنفسهم في كتبهم ورسائلهم من قبل!! ناهيك عن استدلال (ما بال أقوام) في غير محله!!. فالعبارة لا تخفى على طالب علم مبتدئ.. أنها موجهة لطائفة المؤمنين.. وقيلت لهم!! لكن إذا كانت رغبة الدولة استصدار فتوى، فلن تعدم من ينمقها ويقعدها ويؤصلها مشفوعة بالأدلة الشرعية!

ألم تجيش الحكومة السعودية الوعاظ والدعاة والعلماء والفقهاء في **فتنة حادث الحرم ١٤٠٠هجري:** «من المعلوم أن الحكومة استعانت في تحقيقاتها مع هذه الطائفة بعدد لا بأس به من وعاظ السلاطين، وكانت أسئلتهم تتركز على بعض المسائل الفقهية والأصولية التي كان يقول بها

[١] الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية: مرشد بن عبدالعزيز بن سليمان النجدي/لندن/ ص٢٣١، ٢٣٠

الإخوان، وأهم من ذلك كله، سؤالهم حول البيعة لهذه الحكومة هل هي صحيحة ؟.. وهل القرشية شرط تبطل بانتفائه هذه البيعة.. أم لا..؟ وكانوا يحاولون مسخ ماتبقى من هذه الفئة وترويضها لحكومتهم بتحقيقاتهم تلك.. إذ كانت الإجابات هي التي تحدد عدد السنوات التي سيقضيها (الأخ) في زنازين آل سعود، هذا لمن اعتقل منهم خارج الحرم.. قبيل الحادث أو بعده.. وشاء الله تعالى أن يفضح بهذا الحادث طائفة كبيرة من علماء السوء، وأهل الأهواء.. فبرز من كانت بينه وبين الجماعة من قبل ثارات وجولات ومناظرات، ليشنع عليهم ويتشفى بسقطتهم هذه.. فبعضهم يقول: خوارج وبغاة.. وبعضهم: تكفير وهجرة.. والبعض يراهم أشد وأخطر على الإسلام من اليهود والنصارى.. وقائمة الأسماء تطول وتبرز بينها أسماء (شيبة الحمد) و(حماد الأنصاري) و(أبو بكر الجزائري) و (عطية سالم) و (عبد الرحمن عبد الخالق).. ونحوهم، وقد كذبوا عليهم.. فهم يعرفون جيداً أن الإخوان من أبعد الناس عن عقيدة الخوارج.»[١].

أقول: أود أن أؤكد «أننا لا ندافع عن خطأ جهيمان والفتنة التي تسبب بها في الحرم، وما ترتب عن ذلك من سفك دماء كثير من الأبرياء ـ من قتل من الحجاج والمصلين خطأ فقط وليس رجال أمن آل سعود – وتعطيل الصلاة في البيت الحرام مدة؛ بل نبرأ إلى الله من ذلك ونسأله سبحانه أن يغفر له في جانب ما قدم من نصرة لدين الله ودعوة إليه من قبل. ولكن الحق الذي يجب أن يقال، والذي لم يقله علماء السوء وأبواق آل سعود في ذلك الوقت ـ هو ما قرره وأكده سيد قطب ـ رحمه الله ـ في ظلال هذه

[١] الكواشف الجلية: المرجع السابق ص٢٥٤.

الآية. إن القتال في الشهر الحرام أو في البيت الحرام كبيرة.. نعم، و لكن.. (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة آية ٢١٧.

هذا حكم الله العادل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إن الكبيرة مهما بلغت، فلا يجوز بحال من الأحوال مساواتها بالكفر، فضلاً عن جعلها أعظم وأكبر منه.. إن جريمة جهيمان كانت حمل السلاح في الحرم بالذات، وما ترتب على ذلك من سفك دماء الأبرياء وهي حقاً جريمة عظيمة.. نسأل الله أن يغفرها له لتأوله، ولكنها لا شئ في جانب جرائم الحكومة السعودية الكثيرة وأهمها مما ورد في هذه الآيات: صد عن سبيل الله/ وكفر به/ والمسجد الحرام وإخراج أهله. وأخيراً وليس آخراً (الفتنة)، فتنة المسلمين عن دينهم»[١].

ونأتي إلى المستنقع الذي وقع فيه علماء المؤسسة الدينية ألا وهو:

[١] الكواشف الجلية/ص٢٤٨.

حرب الخليج الثانية

ونستعرض الآن **بعض الفتاوى التي صدرت من بعض من علماء السلطة:**

بتاريخ ١٣/٨/١٩٩٠م بعد اجتياح القوات العراقية أرض الكويت أصدرت هيئة كبار العلماء بياناً يؤيد الاستعانة بقوات أجنبية غير مسلمة:

«**لذا فإن مجلس هيئة كبار العلماء يؤيد ما اتخذه ولي الأمر وفقه الله من استخدام قوات مؤهلة بأجهزة قادرة على إخافة وإرهاب من أراد العدوان على هذه البلاد وهو أمر واجب عليه تمليه الضرورة الحاضرة، ويحتمه الواقع المؤلم وقواعد الشريعة وأدلتها، توجب على ولي أمر المسلمين أن يستعين بمن تتوفر فيه القدرة وحصول المقصود**»[١].

أقول: نشم من رائحة هذه الفتوى، منشوراً أمنياً صادراً من وزارة الداخلية !! .

ونلاحظ خلو البيان السابق من أدلة شرعية مقبولة لدى الناس؛ لذلك أردفها الشيخ عبد العزيز بن باز بفتوى بغية سد الثغرات الشرعية في البيان المذكور: «**إن حزب البعث العراقي، حزب قومي وليس حزباً إسلامياً، وحتى لو كانوا مسلمين، إذا تعدوا وجب ردعهم لو بالاستعانة ببعض الكفرة. والرسول ﷺ استعان بصفوان بن أمية يوم حنين لحرب أهل الطائف**»[٢].

---

[١] العلماء والعرش/ص٣٩٢.

[٢] العلماء والعرش/ص٣٩٢.

وأفتى الشيخ محمد بن سبيل الرئيس العام للحرمين الشريفين قائلاً:

«**بأن الإستعانة بجيوش إسلامية وغير إسلامية أمر يحتمه الواقع وتقره الشريعة الإسلامية أسوة بفعل المصطفى ﷺ، فقد استعان «النبي» بعبدالله بن أريقط عندما تكالبت قريش وأرادت أن تفتك به، وقد كان عبد الله بن أريقط في ذلك الحين**»[١].

أقول: هكذا تصدرت فتاوى كبار علماء المؤسسة وسائل الإعلام المحلية والعالمية؛ بالإضافة إلى دعوة العلماء من سائر العالم الإسلامي إلى المؤتمرات المتكررة خلال تلك الفترة الحاسمة بحق في تاريخ أمتنا؛ وذلك لحشد أكبر قدر مكن من علماء المؤسسات الدينية لإضفاء الشرعية على قرارات الحكومة السعودية ومن دار في فلكها.

إن لم تكن حرب الخليج حرباً صليبية ؟ فماذا عساناً أن نطلق عليها إذن؟! لقد حقق الأمريكان حلمهم بفضل هؤلاء العلماء الذين قدموا أرض الحرمين لقمة سائغة يبتلعها الأمريكان، بكل بساطة وبهذه السهولة، فصارت الصحراء مرتعاً للخنازير!! وهربت الإبل من مرابضها!! أما أصحاب الفضيلة! فحسابهم أمام الله عسيرلاقترافهم هذه الجريمة النكراء التي لم تحدث من قبل في تاريخ الإسلام والمسلمين !!.

«إن خسارة الأمة في علمائها لهي أفدح الخسائر لأن الأرض. وإن طال الزمن. سوف ترجع لأصحابها. والثروات عرض زائل يمكن استعادته أو تعويضه. ولكن خسارة الأمة لعلمائها. قدوتها وورثة أنبيائها، لهي الخسارة الفعلية.. فإنا لله وإنا إليه راجعون. فمن إذن يقود أمة محمد ﷺ في هذا

[١] العلماء والعرش/ص٣٩٥.

الخطب المدلهم؟! ومن يملأ هذا الفراغ الضخم الذي يستعصى على غير العلماء أن يملأه ؟!. إن دخول العلماء في المتاهة التي جرهم إليها الحكام. قد أضل الأمة جميعاً وأضاع منها الطريق الوحيد الصحيح لمواجهة الكارثة وهو إعلان الجهاد المسلح لجميع شعوب الأمة ضد اليهود والصليبيين والمرتدين الذين ضربوا جزيرة العرب عن قوس واحدة. ﴿**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**﴾.. ونلفت نظر علمائنا الأفاضل إلى أنه للمرة الأولى في تاريخ المسلمين يتأخر رد فعلهم تجاه حملة صليبية بل الجدل حول قضية بعيدة تماماً عما تطرحه ساحة الأحداث.. ويضيع الوقت في ما إذا كانت الاستعانة تجوز شرعاً أو لا تجوز. ولم يحدث ذلك في أكثر عهود المسلمين انحطاطاً وتخلفاً. كما لم يحدث في تاريخهم المعاصر. ويكفي المثل الذي ضربه الشعب الأفغاني في مواجهته الجهادية البطولية لجيوش الإلحاد الأحمر على ضخامتها ووحشيتها وجسامة التضحيات التي تحملها الأفغان بصدر رحب دفاعاً عن الإسلام العظيم. بينما عرب الجزيرة يكتفون ازاء الاحتلال الصليبي لأراضي الحرمين ببحث قضية كلامية من صنع خيال أنظمة مجلس التعاون الخليجي»[١].

أقول: ما ضر هؤلاء العلماء لو أنهم حرضوا الأمة على الجهاد المقدس!! كما يحدث الآن في في جهاد الشعب الفلسطيني وجهاد الشعب الشيشاني!! وجهاد المستضعفين في أفغانستان وفي كل مكان.

ما ضرهم لو أنهم كانوا في الطليعة المقاتلة التي تقود أمتهم وتحريرها من

[١] وعد كسينجر والأهداف الأمريكية في الخليج/الشيخ سفر الحوالي/مؤسسة الكتاب الإسلامي/دلس/أمريكا/ص١٥٥ وما بعدها.

نير الحكام المرتدين الذين جلبوا العار والشنار وأحلوا قومهم دار البوار!!

لماذا يرضون بالدنية؟! ويشاركون حكامهم في تخدير الأمة وتضليلها ويقومون بأكبر خيانة جماعية في تاريخ الإسلام؟!

كيف يرضون بهذا الهوان وبدنيا زائلة! ويوقعون على أول حملة صليبية يهودية ممولة من ثروات وخيرات المسلمين التي استولى عليها الحكام الخونة !! لماذا.. ثم لماذا.. يا ملح البلد ؟!! فمن يفسد الملح إذا ما الملح فسد !!

الفصل الرابع

أسباب تدهور المؤسسة الدينية السعودية

أستطيع أن أخلص إلى النتائج التالية:

أولاً: إن انتصار إبراهيم باشا على الجيوش الوهابية العقائدية وقتل كوادرها، وعلمائها المخلصين سنة ١٢٣٣هـ - ١٨١٨م، أدى إلى فراغ شرعي وضعف مدد جهادي قوي أثر في مجريات الأحداث في الجزيرة العربية. مما لا شك فيه أن هزيمة الوهابيين قد قضى على أماني دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في تطبيق منهج السلف الصالح ومحاولة إعادة الخلافة الإسلامية الخالية من شوائب البدع، وتكوين دولة شرعية قوية تطبق فيها حاكمية الله لا حاكمية البشر.

والجدير بالذكر هنا عن نسبة الدولة السعودية إلى الوهابية؛ فالشيخ محمد بن عبد الوهاب منه براء؛ لأنه لم يعلم أنهم سيغيرون ويبدلون حتى جلودهم! فالمشايخ والعلماء الذين ناصروا آل سعود وتكوين جيش الإخوان الذي ساعد الملك عبد العزيز للوصول إلى سدة الحكم؛. كان من ثمرات الدعوة السلفية الوهابية المباركة؛ لكن استخدام السلطة الدسائس والمؤامرات وبث الفرقة وإشاعة الفوضى والاستعانة بانجلترا؛ أدى إلى هزيمة جيش الإخوان؛ تلك النبتة التي لو كتب الله لها الاستمرار؛ لربما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال. لكن لله في خلقه شؤون !!

ثانياً: لقد كان تفويض الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود؛ خطأ سياسياً، وهذه مشكلة يقع فيها العلماء تاريخياً

ألا وهي عدم الثقة في أنفسهم، أو الزهد غير المبرر!، في مثل هذه الظروف الحالكة، تماماً مثلما فعل العلماء في مصر مع محمد علي باشا، فبكل المقاييس، لا يصلح هذا الشاب الجاهل المغرور محمد علي باشا أن يكون حاكماً؛ لكن فرقة العلماء وعدم ثقتهم في أنفسهم وتفرقهم، أوصلنا إلى الحالة التي نحن بصددها!!.

أما في حالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ فالأمر يختلف كثيراً إذ أن مقاليد الأمور كانت في يد الشيخ ابن عبد الوهاب، ورغم ذلك فوض أمر الحكم للأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود.

مع التنبيه على نقطة هامة ألا وهي أنه لا وجه للمقارنة بين محمد علي باشا حاكم مصر، وبين الأمير عبد العزيز؛ فعلماء مصر اختاروا محمد علي باشا؛ رغم جهله، وغروره، ومن هنا فإنهم يستحقون اللوم الشديد لاختيارهم محمد علي والياً عليهم.

أما الأمير عبد العزيز فالأمر مختلف إلى حد كبير؛ فالأمير عبد العزيز في تلك الفترة كان ظاهره الصلاح، والشغف بالعلم، ومحاربة البدع، وملازمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعدم مخالفته في تطبيق الشريعة الإسلامية.

فكل هذه العوامل جعلت الشيخ يفوض أمر الحكم للأمير عبد العزيز!! لكننا كنا نتمنى أن يكون الأمر بيد الشيخ نفسه أو بيد أحد من أتباعه حتى لا تصل الأمور إلى ما وصلت إليه فيما بعد من تهميش دور العلماء سياسياً واجتماعياً؛ اللهم إلا إبراز دورهم فيما يوافق هوى السلطة الحاكمة وتثبيت عروشهم فقط!!

ثالثاً: نلاحظ استخدام كافة الأمراء والقبائل المتناحرة لعنصر الدين في

حروبهم الشخصية، وقد استخدم الملك عبد العزيز علماء السلطة في حروبه ضد الإخوان، لأنه يعلم جيداً أن جيش الإخوان عبارة عن مجموعة من الدعاة والفقهاء والمشايخ، لذلك استخدم سلاح العلماء أيضاً لتبرير فعلته في القضاء عليهم وسفك دمائهم!!

رابعاً: لقد تستر النمط السعودي وراء الدين زمناً طويلاً؛ حتى جاءت حرب الخليج الثانية.. فكشفت وفضحت.. علماء السلطة الذين لطالما نمقوا البيانات، وسطروا الصحائف والكتب والمجلات؛ بفتاواهم المنظمة التي تصب دائماً في خانة السلطة السعوديةٍ.

لذلك لما حظر السلف من الدخول على السلاطين، والجلوس معهم؛ لم يكن هذا الحظر وهذه التنبيهات النورانية؛ عبثاً!! فما بالك بحكام ليس لهم من الإسلام إلا اسمه فقط؟!! ورغم علم هؤلاء بأقوال علماء السلف وترديدهم إياها إلا إنهم رضوا بالقعود معهم فخاضوا فيما خاضوا فيه، ونزلوا في الوحل مثل حكامهم؛ بل إنهم زينوا لحكامهم؛ بيع البلاد والعباد، فباسم الدين دخلت القوات الصليبية أرض الحرمين الشريفين! وباسم الدين يسجن الدعاة والعلماء! وباسم الدين تحاك المؤامرات لفلسطين وبيعها بثمن بخس! وباسم الدين يحاكم ويقتل كل من يعارض المؤسسة الحاكمة!؛ كل ذلك بفضل وبركة صكوك المؤسسة الدينية!.. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

صفوة القول

قد استبان لنا بعد هذا التطواف؛ احتواء الأنظمة الحاكمة للمؤسسات الدينية في كلا التجربتين؛ المصرية والسعودية؛ ففي الحالة المصرية نجد أن الدولة لم تتدخل في عصري المماليك والعثمانيين في شأن تعيين شيخ الأزهر، وتركت الأمر للعلماء ينتخبون من يرونه جديراً بهذا المنصب سواء في الحكم المملوكي، أو في الحقبة العثمانية، ثم جاء محمد علي باشا وبنوه الذين بثوا الفرقة بين العلماء؛ فقد استفادوا من التجربة البونابارتية في مصر؛ حيث كان نابليون أول من استخدم منبر المؤسسة الدينية للترويج لأفكاره ولتبرير احتلاله بلاد المسلمين في مصر والشام؛ وهو أول من بث الفرقة بين العلماء وقرب إليه بعضهم؛ كالشيخ المهدي والشيخ البكري وآخرين؛ الذين كانوا يبررون أفعال نابليون وحملته العدوانية الإجرامية على أرض مصر!؛ ويجدون له المسوغات الشرعية الباطلة طبعاً!! وصار دور الأزهر ينحسر شيئاً فشيئاً من الناحية الحياتية اللهم إلا في المناسبات الدينية الشهيرة كمولد النبي ﷺ، ومولد الحسين ـ رضي الله عنه ـ، ومولد السيد البدوي!، وحفلات الصوفية والدراويش! التي لا علاقة لها بالسلف الصالح.

بالإضافة إلى الاهتمام بهلال رمضان، وطلعة رجب، وليلة النصف من شعبان!. ولا بأس أن يتصدى الأزهر لفتاوى الزواج والطلاق وأحكام المواريث، المهم أن يبتعد عن دائرة الحكم!!.

يريدون «أزهر» بمواصفات خاصة حسب مزاج الحاكم!! ورغم هذا

الحصار الخانق لدور الأزهر في الحياة السياسية إلا أنه وجد في هذه الحقب من العلماء الأفاضل؛ من رفض هذا الوضع المهين وحاولوا إعادة الاعتبار، لدور المؤسسة الدينية؛ لكن تيار التغريب كان جارفاً والعالم الإسلامي معظمه كان ممزقاً ومحتلاً من قبل أعداء الأمة.

فبعد الحملة الفرنسية وحكم محمد علي باشا، وسلالته؛ كانت ثالثة الأثافي بانقلاب ضباط يوليو١٩٥٢ بمصر؛ الذين انقلبوا على كل شئ حتى الدين، ومؤسساته، وتم القضاء على المؤسسات الدينية، وإنشاء مؤسسات دينية جديدة!؛ لتنافس الأزهر في قراراته لتصب في مصلحة السلطة القائمة؛ مثل لجنة الفتوى، ومجمع الشؤون الإسلامية؛ رغم أن جمال عبد الناصر نفسه؛ استخدم منبر الأزهر في حرب العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦، وانطلق من الأزهر؛ يستعين بالعلماء ويحرض الجماهير من ساحة مسجد الأزهر ثم بعد أن استتب له الأمر، واستقر له الحكم تأميم الأزهر وقضى عليه سياسياً واجتماعياً!!.

ما أصدق وصف الشاعر هاشم الرفاعي المتوفى عام ١٩٥٩م ـ رحمه الله ـ وهو يبكي حال الأزهر:

قف في ربوع المجد وابك الأزهــرا ** واندبــه روضــاً للمكــارم أقفــرا
واكتب رثاءَكَ فيــهِ نفثةُ موجَعٍ ** واجعل مدادَكَ دمعَك المتحــدرا
المعهد الفــرد الذي بجهـــاده ** بلغـت بلاد الضاد أعراف الذُّرَى
ســـار الجميع إلى الأمـام وإنــه ** في موكب العلياء ســـار القهقرَى
لهفى علــى صـرحٍ تهاوى ركنـه ** قد كـــان نبعــاً بالفخار تفجَّرا
من كان بهجةَ كـل طرفٍ ناظرٍ ** عـادت بـه الأطماع أشعث أغْبَرَا

ما أبقت الأيدي التي عبت به ** من مجدِه عرضاً له أو جوهرا

لله ما أروي له في الشرق من ** مجد على الأيام واراه الثَّرَى

كم موكبٍ في مصر سار إلى العلا ** قد كان قائد ركبه المتصدِّرَا

عجباً أيدركه الأفول لدى الضحى ** من بعد ما نشر العلوم مبكرا

سل مهبط الثورات عنها إنه ** قد كان ناديها وكان المنيرا

المشعلون لنارها أبناؤه ** تَخِذوا به جنداً هناك وعسكرا

والمضرمون أوارها بلغاؤه ** في نشر روح البذل فاضوا أنهرا

من كل ذي حجرٍ لخير بلاده ** رسم المكيدة للدخيل ودبَّرَا

لا ينثني عن بعثها دمويةً ** أو يدرك النصر المبين مظفرا

سل موئل الأفذاذ من أشياخه ** عن معشرٍ كانوا به أسد الشَّرَى

العاملين لرفعة الإسلام ما ** منهم كهامٌ قد ونى أو قصَّرا

والمبتغين رضتا الإله وما ابتغوا ** من حاكمٍ عرض الحياة محقرا

كانوا المنار إذا الدياجي أسدلت ** ثوب الظلام هدى الأنام ونورا

كانوا لمن ظلموا حصون عدالةٍ ** كانوا الشكيم لمن طغى وتجبَّرا

ردُّوا غواة الحاكمين، وغيرهم ** لتملق الأهواء كان مسخرا

لرضائها يبدي الحرام محللاً ** ويدك معروفاً ويبني منكرا

في وجهها وقفوا وهم عزّلٌ وما ** لبسوا سوى ثوب الهداية مغفرا

وإذا رأى منهم همام ريبةً ** ناداه داعي دينه أن يزأرا

ما قامروا بالدين في سبل الهوى ** كلا ولا تَخِذوا الشريعة متجرا

عاشوا أئمة دينهم وحماته ** لا يسمحون بأن يباع ويشترى

ثم انطت تلك الشموس وإنها ** لأشد إيماناً وأطهر مئزرا

ولقد مضى دهرٌ ونحـــن مكاننا ** لا نبتغــي في العلـــم حظاً أكبرا

إن كان مجد الأمس لم نلحـــق بـه ** أفلا نـــود غـــداً نصيباً أوفـــرا

هذي العلوم وحشوها لغو به ** من كل جيـــل لا يزال مسطرا

علـــم نعالجه بفكـــر جدودنــــا ** يبـــدو بـــــه الهذر القديم مكـــررا

إنا نريد مـــن التقـــدم قسطنـــا ** ونريـــد للإســـــلام أن يتحـــررا

ونريد أن نسقـــي الفنـــــون رفيعـــةً ** تجـــدي وليســـت طلسماً متحجرا

ما العلم إلاّ مـــا تـــراه لديك في ** لُجَجِ الحيـــاة إذا مضت بك مثمرا

أنى لمن ألفت نواظـــره الدجـــى ** عنـــد الخروج إلى السنا أن يبصـرا

قد كـــان تنقيح العلـــوم وفحصهـــا ** بالبحـــث مـــن فرض العمامة أجدرا

للمخـــبر انتبهــــوا ولا يعنيكـــم ** من بعــــد هذا أن نبدل مظهـــرا

أنكـــون في دنيـــا الرقـــي نعامة ** نخفي الوجـــوه وقـــد عرانا ما عـــرا

مـا ضرني إذ نحن نخدع نفسنـتا ** لـو قلت ما أدري وفهت بما أرى

ليس التعصـــب للأبوة مانعـــي ** مـــن أن أقـــول الحق فيه وأجهرا

أترى تعـــــود إلى المريـــض سلامةٌ ** أم تـــرعِ الأسقام مـــن قد عُمِّرا؟!

أما في الأنموذج السعودي:

فالأمر يختلف حيث السلطة قائمة على ركن ركين؛ وهو المؤسسة الدينية؛ ومن ثم خدع الناس كثيراً في الحالة السعودية نظراً لتطبيق بعض الحدود علانية وانتشار الهدي الظاهر كاللحية والنقاب.

فكانت الدولة تستخدم تطبيق بعض الأحكام الشرعية لذر الرماد

في العيون!!؛ والحقيقة غير ذلك فكل أنواع المخالفات الشرعية كان الأمراء والحكام يمارسونها، والإعلام لا ينشر فضائحهم ومخازيهم في الغرب، وفي بعض البلاد العربية، وحتى في عقر الأراضي المقدسة، وكثير من علماء المؤسسة الدينية، شركاء لهذه السلطة الحاكمة من أسرة آل سعود في تضليل الأمة، وتخديرها وتغييبها عن واقعها المرير الذي تعيشه.

في الحالة المصرية الفصل بين المؤسستين كان واضحاً؛ سلطة علمانية حاكمة تحكم بقوانين من صنع أدمغة البشر، ومؤسسة دينية تحت طلب الحاكم يستخدمها؛ في رؤية هلال رمضان، والمناسبات الدينية الأخرى؛ كالعيدين وبعض الموالد وإذا لزم الأمر فإن هذه المؤسسة الدينية الرسمية تكون بوق السلطة الشرعي في حالة سن قوانين جديدة يريد الحاكم تخدير الشعب بها وتطبيقها دون معارضة سياسية أو اجتماعية أو حزبية!!

أما الحالة السعودية فالأمر متقارب بين السلطة الحاكمة والمؤسسة الدينية الرسمية؛ فالدولة ترفع شعار الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية، وتختفي خلف هذا الستار، ومن ثم يقبلها الناس، ويحسنون بها الظن في الوقت التي تتعامل هذه الدولة مع أعداء الأمة متناسية عقيدة الولاء والبراء؛ بل وتتآمر على شعبها، وأمتها ورائحة خيانتهم زكمت الأنوف!!، وعلماء المؤسسة الدينية يسيرون معها حيث دارت، ويجهلون كل من يعارض أو يعترض فهو خارجي تكفيري صاحب فتنة!!

أقول: لزام على هؤلاء العلماء جميعاً أن يكونوا أهلاً للأمانة وأن

يكونوا كعلماء سلف الأمة ـ رحمهم الله ـ ونود أن يكونوا في طليعة العلماء المجاهدين العاملين الذين يقولون ويفعلون.

لزام على هؤلاء العلماء ألا يسكتوا على هذه المنكرات، وهذا الهوان الذي تعيشه الأمة، وهم يعيشون في كنف حكومات محاربة لثوابت الأمة وموالية لأعداء الإسلام.

لزام عليهم أن يستقلوا مالياً، وأن تعود الأوقاف كما كانت دون تدخل السلطة الحاكمة. نتمنى أن نرى مواقف جماعية من هؤلاء العلماء ليهبوا هبة رجل واحد وليقولوا للحاكم لا وألف لا.. ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه الآيتان ٧٢، ٧٣.

لزام أن يكون تشكيل هيئة كبار العلماء من أنفسهم، وليس من اختيار الحاكم وعملائه!. تتمنى أمتنا الإسلامية الكثير والكثير ونحن في الانتظار. والله أسأل الفرج القريب.

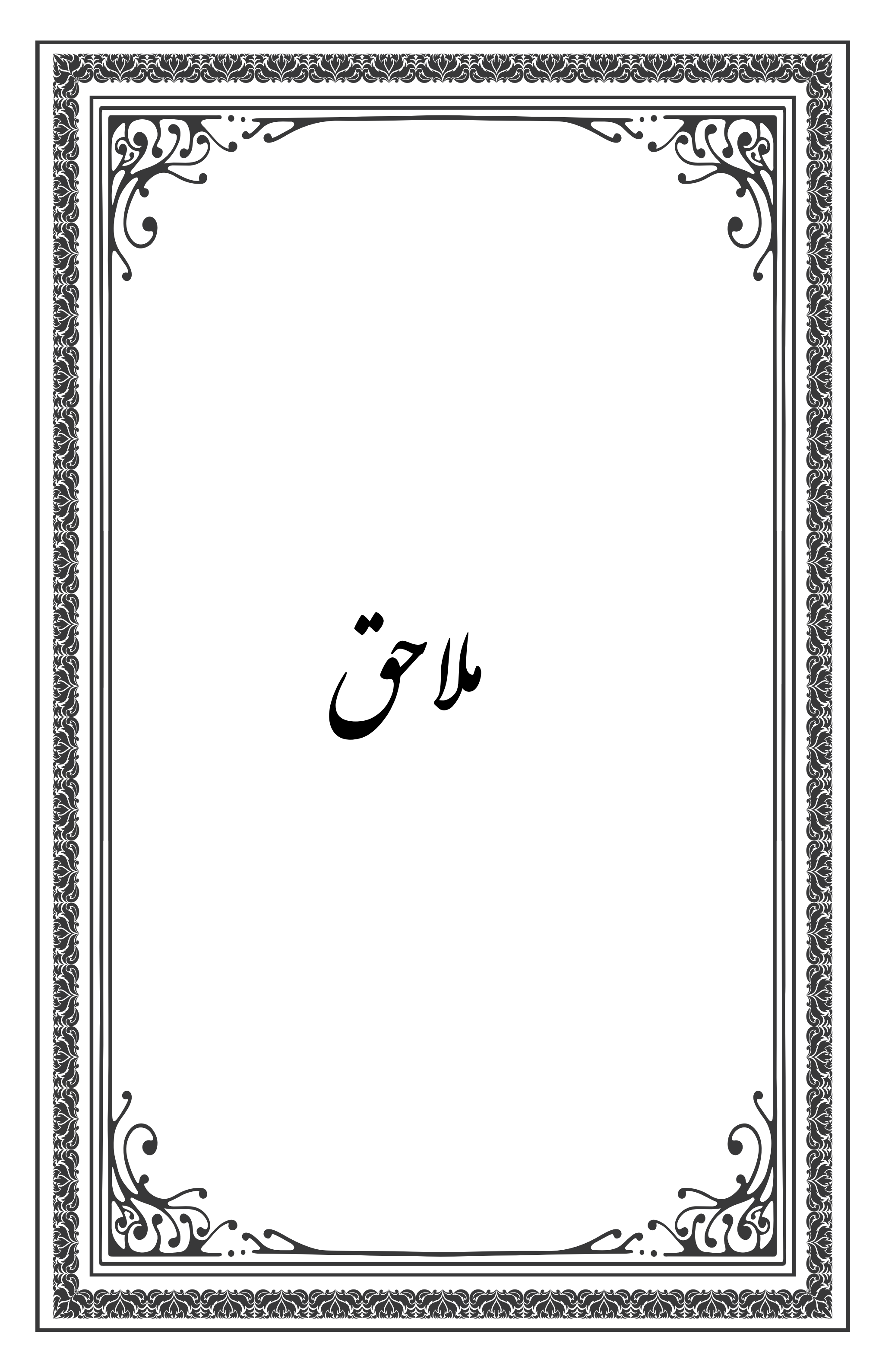
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

لندن في ٩ من ربيع الأول ١٤٢٣ هـ



ملاحق

القرضاوي ينتقد موقف شيخ الازهر
من استهداف المدنيين إمام المسجد الحرام:
الاسلام يحرم الاعتداء علي أهل العهد والذمة

أكد إمام وخطيب المسجد الحرام في مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل ان الاسلام حرم شرعاً الاعتداء علي اهل العهد والذمة، ودعا المسلمين الي المحافظة عليهم. في غضون ذلك رد الشيخ يوسف القرضاوي امس علي تصريحات لشيخ الازهر سيد محمد طنطاوي واعتبر انها تخذل المجاهدين ضد مغتصبي الارض . وكان شيخ الازهر دان العدوان علي المدنيين الابرياء من اي جهة او طائفة او دولة كرد علي العمليات التي اوقعت ٠٣ قتيلاً في القدس وحيفا بيومي السبت والاحد الماضيين. وقال الشيخ السبيل في تصريح لـ وكالة الانباء السعودية : ان ما يحدثه بعضهم من الافساد في الارض بالاعتداء علي الابرياء وازهاق النفوس وافساد الممتلكات أمر محرم ولايجوز شرعاً ولا عقلاً وان الله تعالي حذر من ذلك . وأضاف: ان الاسلام يعامل أهل الذمة بالوفاء بالعهود والعقود ويحفظ حق المعاهدين اذا التزموا بالشروط التي يضعها عليهم المسلمون وعندئذ يجب علي المسلمين المحافظة علي اهل العهد وعلي أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وقد حرم الاسلام الاعتداء عليهم بشيء . وأوضح ان الاعتداء علي اهل العهد والذمة محرم شرعاً، لأن الله تعالي قد حرمه

وتوعد رسول الله صلي الله عليه وسلم فاعله بأعظم العقوبات وهو حرمانه من الجنة واذا حصلت المعاهدة مع الكفار وجب حفظ نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وذرياتهم وأهلهم سواء كانوا مقيمين بين اظهر المسلمين أو كانوا في بلادهم فلا يجوز الاعتداء عليهم في شيء من حقوقهم ما داموا ملتزمين بشروط المسلمين عليهم . ورأي انه اذا ظهر من الكفار المعاهدين امارات الخيانة للمسلمين وعدم الالتزام بالوفاء بالشروط او عدم الالتزام بالصلح الذي بيننا وبينهم فإنه لا يجوز لنا ان نتعرض لهم بسوء الا بعد نبذ العهد الذي بيننا وبينهم واخبارهم بذلك . وأكد ان من يتعرض لأذية الكفار غير المحاربين يجهل الشريعة الاسلامية (...) وظالم لهم وظالم لنفسه ومرتكب اثماً عظيماً .

من جهة اخري كان الشيخ طنطاوي قال خلال لقائه مراسلين اجانب في القاهرة اول من امس ان شريعة الاسلام تصون النفس الانسانية وتعتبر من يعتدي عليها بقتلها ظلماً وعدواناً كأنه قتل الناس جميعاً ، واضاف في رد علي سؤال عن موقفه من العمليات التي اعلنت حركة حماس مسؤوليتها عنها: باسم الشريعة نرفض وندين العدوان علي الابرياء من المدنيين، سواء كان العدوان من اي جهة من الجهات او طائفة من الطوائف او دولة من الدول مشيراً الي ان الشريعة تحارب الارهاب الذي تنبذه جميع الاديان السماوية والعقول الانسانية السليمة . وتساءل الشيخ القرضاوي (اف ب) في تصريحات صحافية: كيف يحرم شيخ الازهر قتل هؤلاء المعتدين؟ وكيف يعتبرهم مدنيين ابرياء عزل؟ ، مكرراً ان الاسرائيليين غاصبون جاؤوا الي

فلسطين واغتصبوها وقتلوا اهلها وشردوها . واضاف ان هذه الفتوي غفلة عن الواقع وتخذل المجاهدين ضد مغتصبي الأرض الذين قدموا من شتي بقاع العالم وطردوا شعباً من أرضه ، مشيراً الي الاسرائيليين استخدموا كل صنوف الإرهاب وبدعم من القوي العالمية التي مكنت لهم ليذبحوا ويخربوا ويقتلوا . وتساءل هل مقاومة هذا الاستعمار تعتبر امراً مجرماً او ارهاباً في نظر بعض المشايخ؟ .[١]

شيخ الأزهر :
أسامة بن لادن لا يعبر إلا عن نفسه

لا يجوز للدول الإسلامية دخول تحالف إلا لنصرة المظلوم

حدد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي معني الجهاد في سبيل الله لإعلاء راية الدين الإسلامي، مؤكداً أن اسامة بن لادن لا يمثل نموذجاً للمسلمين ، وأن ما يطرحه من آراء خصوصاً في شأن مسألة الجهاد لا يعبر إلا عن وجهة نظره .

وكان طنطاوي يتحدث في القاهرة أمس في مؤتمر صحافي مع المراسلين الأجانب، هو الثاني خلال أقل من اسبوع، دان فيه مجدداً الاعتداء في الولايات المتحدة، وقال: كل من يعتدي علي غيره يكون اعتداؤه عدواناً وظلماً وبغياً، أما الجهاد في سبيل الله فيعني الدفاع عن الأرض والمقدسات والكرامة الإنسانية . وسئل طنطاوي عن التحالف الدولي من أجل مكافحة

[١] جهة المصدر: الحياة العدد: ١٤١٤٣

الارهاب، والذي تدعو إليه اميركا فأجاب: لا يجوز شرعاً لأي دولة إسلامية أن تدخل في تحالف إلا لنصرة المظلوم أو الدفاع عن الحقوق.

وأشاد بموقف الرئيس حسني مبارك لرفضه التحالف، وأضاف: اذا كان الأمر سيأتي في إطار الشرعية الدولية وتحت مظلة الأمم المتحدة، كما دعا الي ذلك الرئيس مبارك، فإن ذلك يمكن أن يردع الإرهاب . وتابع أن مصر حذرت منذ اكثر من ٥١ سنة من خطورة الارهاب، وتجاهلت دول دعوتها وظلت تؤوي الارهابيين علي رغم صدور احكام قضائية ضدهم .

وأشار الي أن الادارة الاميركية لها الحق في أن تشتبه في شخص أو جهة، أو أن توجه الاتهامات الي من تريد، ومن حق أي شخص أن يوجه الاتهام الي من ظلمه، ولكن ليس من حق أي دولة أن توقع العقوبة لمجرد الشبهات أو الاتهام. واستغرب الإقدام علي الانتقام من دون أدلة قاطعة تعتمد من جهات قضائية مختصة، وقال: نقدر الظروف التي يعيشها الشعب الاميركي بعد الاعتداءات. ورفض الخوض في التبريرات التي يطرحها ابن لادن لمعاداته اميركا، وزاد: ما يطرحه من الجهاد يعبر عن وجهة نظره ولا ينسحب علي باقي المسلمين، والاسلام دين سلام وأمان ولا يجيز الاعتداء علي الآخرين، والجهاد لا يكون إلا من أجل الحق . وشدد علي ضرورة التفريق بين الارهاب سوبين مقاومة الشعب الفلسطيني الاحتلال الاسرائيلي.[١]

[١] الحياة العدد: ١٤٠٧١

شيخ الأزهر يندد بالدول التي تؤوي ارهابيين

القاهرة، الرباط، صور (لبنان)، لندن - الحياة ، أ ف ب، رويترز - أكد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي أن الاسلام ضد الارهاب بكل صوره وألوانه وأشكاله وشدد علي ان الاسلام يحمي النفس الانسانية أياً تكن عقيدتها أو جنسيتها . ونـدد، في مؤتمر صحافي عقده في القاهرة أمس، بالدول التي تؤوي ارهابيين، رافضاً إلصاق تهمة الارهاب بالفلسطينيين، ومحذراً من التسرع في إلقاء المسؤولية علي اشخاص بعينهم. وعن دور الازهر في نصرة المظلوم الي جانب الفقراء والمعتدي عليهم، قال شيخ الأزهر: ان الاعتداء علي الآمنين كما حدث في مركز التجارة العالمية في نيويورك هو الارهاب والظلم والغدر بعينه .

ورداً علي سؤال عن هجوم محتمل علي افغانستان قال: من حق كل دولة ان تدافع في وجه من يعتدي عليها ، موضحاً ان الاسلام مع المظلوم ويقف ضد العدوان والظلم والارهاب، فاذا وقع العدوان علي اي دولة نقف نحن المسلمين الي جانب من وقع عليه العدوان، بصرف النظر عن كونه اميركا او غيرها .

ونبه الي وجود فرق كبير بين الارهاب وبين من يدافع عن الارض ، مشدداً علي أنه من الكذب والظلم وقلب الحقائق ان تلصق صفة الارهاب باخواننا الفلسطينيين الذين يدافعون عن ارضهم وأنفسهم وعرضهم . واستدرك: أما الذين يقتلون الآمنين من الرجال والنساء والاطفال، فهؤلاء هم الارهابيون .

وشدد علي أن مرتكب الاعمال الارهابية والقتل يجب ان يحاسب بعد ثبوت جرمه بالدليل القاطع .

في مدينة صور دان الشيخ محمد رشيد البجيرمي (فلسطيني) الهجمات في واشنطن ونيويورك، داعياً الولايات المتحدة الي مراجعة مواقفها المؤيدة لـ الارهاب الاسرائيلي . ونظمت تظاهرات للفلسطينيين في المخيمات لاحياء الذكري التاسعة عشرة لمجزرة صبرا وشاتيلا.

الي ذلك دان الدكتور محمد الهواري مدير المركز الاسلامي في آخن (المانيا) الهجمات التي استهدفت واشنطن ونيويورك، مشيراً، في اتصال هاتفي مع الحياة ، الي ان المركز أصدر بياناً ندد بالهجمات واعتبرها مناقضة لمبادئ الاسلام السمحة ومخالفة لكل الشرائع الانسانية .

ودانت الشبيبة الاسلامية المغربية في بيان أصدرته أمس الأعمال الارهابية ، واستنكرت في الوقت نفسه المحاولات الآثمة لإلصاق هذه الأعمال بالدين الاسلامي . وأعربت الكونفيديرالية الديموقراطية للعمل المغربية عن أسفها لـ الأحداث المؤلمة في نيويورك وواشنطن ، معبرة عن قلقها من حملة التصعيد المزاجية التي تعد لها الحكومة الاميركية.

وفي عمان دعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الدول العربية الي عدم المشاركة في التحالف الدولي ضد الارهاب الذي تسعي الولايات المتحدة الي اقامته. ورأت في بيان ان المفهوم الاميركي لمقاومة الارهاب لا يفصل بين الارهاب وبين نضال الشعوب المقهورة لأجل حريتها[١]

---

[١] الحياة العدد: ١٤٠٦٥

نص فتوى مشاركة العسكريين المسلمين في الجيش الأمريكي في المهمات القتالية

السلام عليكم ،

السؤال:

السيد جابلن محمد عبد الرشيد، أقدم المرشدين الدينيين المسلمين في الجيش الأمريكي، يسأل حول مدى جواز مشاركة العسكريين المسلمين في الجيش الأمريكي في المهمّات القتالية، وسائر ما تتطلّبه في أفغانستان وغيرها من بلاد المسلمين.

ويحدّد في سؤاله أهداف هذه العمليّات بما يلي:

١- الانتقام من الذين «يظن أنهم شاركوا» في تدبير وتمويل العمليات الانتحارية التي نُفّذت في الحادي عشر من سبتمبر ضدّ أهداف مدنية وعسكرية في كلّ من نيويورك وواشنطن (وشرح ما اشتملت عليه هذه العلميات).

٢- القضاء على العناصر التي لجأت إلى الأراضي الأفغانية وغيرها، وإخافة سائر الحكومات التي تتساهل في إيواء أمثال هؤلاء، وتمكّنهم، أو تعطيهم

فرص التمكن، من التدريب على فنون القتال، والانطلاق نحو أهدافها في العالم.

٣- إعادة الهيبة والاحترام للولايات المتحدة باعتبارها قطباً عالمياً منفرداً.

ويختتم استفتاءه بقوله: إنّ العسكريين المسلمين في الجيش الأمريكي بفروعه الثلاثة لا يقلّون عن خمسة عشر ألفاً، وإنّهم قد لا يُتاح لهم، إذا لم يقبلوا المشاركة في العمليات القتالية المذكور، إلاّ الاستقالة وفيها ما فيها في الظروف الراهنة، ويسأل أخيراً: هل يجوز لمن يستطيع منهم أن يطلب تحويله إلى الخدمات الأخرى غير القتال المباشر

الجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فقد اطلعت على فتوى الدكتور محمد سليم العوّا التي ذكر فيها أنّ الدكتور يوسف القرضاوي والمستشار طارق البشري والدكتور محمد هيثم الخياط والأستاذ فهمي هويدي، توافقوا عليها. واطلعت على شرح الدكتور القرضاوي لسر موافقته على هذه الفتوى. كما اطلعت على فتوى الدكتور أحمد الريسوني أستاذ الشريعة في المغرب، وعلى فتوى الدكتور علي جمعة الأستاذ بجامعة الأزهر. وكنت قد أجبت على مثل هذا السؤال في (فتاوى مباشرة) على صفحة (إسلام أون لاين). وقد ازددت اقتناعاً بتلك الفتوى

بعد اطلاعي على آراء الإخوة الكرام، وبناءً على طلب (قسم الفتاوى) أقدّم هذا التأصيل لتلك الفتوى في ضوء السؤال المفصّل الذي لم أكن قد اطلعت عليه، فأقول:

أولاً: الجندي الأمريكي المسلم له صفتان:

* فهو مواطن أمريكي، وعليه بالتالي أن يلتزم بالقوانين الأمريكية، وبالدفاع عن وطنه حين يتعرّض لعدوان خارجي.

* وهو إنسان مسلم، عليه أن يلتزم بالأحكام الشرعية طاعة لله ولرسوله. والولايات المتحدة الأمريكية تخوض الآن معركة شرسة ضدّ الإرهاب، وقد تكون معركة حاسمة بالنسبة لاستمرارها في قيادة النظام العالمي الجديد.

ثانياً: فما هي الأحكام الشرعية المتعلّقة بهذه الحالة بالنسبة للجندي الأمريكي المسلم؟

١ – هل يجوز للمسلم من حيث الأصل أن يكون جندياً في جيش غير إسلامي؟ والجواب: إنّ هذا الأمر متعلّق بكونه مواطناً في بلد غير إسلامي. فإذا أُبيحت هذه المواطنة، تكون التزاماتها مباحة بالتبعية. ومن حيث الواقع فإنّ ثلث المسلمين اليوم يعيشون أقلّيات في بلاد غير إسلامية، وأكثرهم من أهل البلاد الأصليين. بالإضافة إلى أنّ أكثر بلاد المسلمين لا تلتزم بتطبيق الأحكام الشرعية، وليس فيها أيّ بلد يستقبل المسلمين من بلد آخر إذا أرادوا الهجرة إليه، كما أنّ بقاء المسلمين في أوطانهم الأصلية يجعلهم أقدر

على إيصال الدعوة إلى أبناء وطنهم، وقد اختار الله تعالى جميع رسله من أبناء قومهم لهذا السبب. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ..}. لذلك توافق أكثر العلماء المعاصرين على جواز (أن يكون المسلم مواطناً في بلد غير إسلامي). وبالتالي أصبح وجوده في جيش ذلك البلد نتيجة طبيعية.

٢ - لقد حرصت الدعوة الإسلامية المعاصرة على الدعوة إلى اندماج المسلمين – حين يكونون أقلّية – في المجتمعات التي يعيشون فيها، باعتبار أنّ المسلم إيجابي بطبعه في أيّ مجتمع يعيش فيه، وأنّ المسلمين باندماجهم الإيجابي مع مجتمعاتهم يكونون أكثر قدرة على نشر دعوتهم، طالما أنّ المجتمعات المعاصرة تتيح حرّية نشر الدعوة الإسلامية من حيث الأصل باعتبار ذلك يتعلّق بحرّية العقيدة، التي تُعتبر في جميع بلاد العالم المعاصر من حقوق الإنسان الأساسية، وتنصّ دساتير أكثر الدول على حمايتها.

ولا يمكن لهذا الاندماج أن يحقّق نتيجته في نشر الدعوة، إلاّ إذا حافظ المسلم على شخصيّته الإسلامية المتميّزة في المعالم الأساسية، عقيدة وفكراً وسلوكاً، ثمّ يحاول ذلك في المسائل الفرعية. ومن رحمة الله بالمسلم أنّه لا يكلّفه ما لا يستطيع، وهذا موضع اتفاق بين جميع العلماء والمذاهب لقوله تعالى: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا..} {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ..} وغيرها من الآيات والأحاديث الكثيرة.

٣ – ومن الأحكام الشرعية الأساسية التي لا يجوز للمسلم أن يتجاوزها، أنّه يجوز له القتال مع جيشه الوطني حين يكون مدافعاً عن أرضه وحقوقه. وأكثر الجيوش اليوم تنحصر مهمّتها في الدفاع عن أوطانها. والمسلم يدافع عن الحقّ وينافح عن المظلوم ولو كان من غير دينه أو جنسه، ومن باب أولى أن يدافع عن حقوق وطنه الذي يعيش فيه، ومواطنيه الذين يعيش معهم. وفي سيرة رسول الله (ص) في مكّة، وفي سيرته مع اليهود في المدينة أوضح دليل على ذلك.

أمّا إذا خرج الجيش من نطاق الدفاع عن الوطن وحقوق أهله، إلى نطاق الاعتداء على أوطان الآخرين وحقوقهم. فإنّ المسلم لا يجوز له أن يشارك في هذا الاعتداء. وهذا يشمل ما لو كان المعتدى عليه مسلماً أو غير مسلم. قال تعالى: {.. وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..}. وسياق الآية يُفهم منه التعاون مع غير المسلمين على ما يُعتبر في ديننا من البرّ والتقوى، ويقبله غير المسلمين لاعتبارات أخرى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان الذي يُعتبر كذلك في ديننا، إذا قبل غير المسلمين هذا الاعتبار.

ثالثاً: توصيف الأوضاع الحالية لقتال الجيش الأمريكي في أفغانستان وبيان الرأي الشرعي:

لقد لخّص السؤال أهداف عمليّات الجيش الأمريكي في أفغانستان وهي:

– الانتقام من الذين «يظن أنهم شاركوا» في أحداث ١١ أيلول.

- القضاء على العناصر التي لجأت إلى أفغانستان، وتخويف سائر الحكومات من إيوائهم وإقامة معسكرات التدريب لهم، ومساعدتهم على الانطلاق نحو أهدافهم في العالم.
- إعادة هيبة الولايات المتحدة باعتبارها القطب العالمي المنفرد.

وبناءً على هذه التوضيحات نقول:

١ - إنّ قتال الجيش الأمريكي في أفغانستان ليس دفاعاً عن الوطن الأمريكي ولكنّه اعتداء على وطن آخر هو أفغانستان. إنّ الدفاع لا يكون إلاّ ضدّ المعتدين. والشعب الأفغاني ليس معتدياً، ولم يثبت حتّى عند الإدارة الأمريكية من هو المعتدي حتّى يُعاقب. نحن نعتقد أنّ التفجيرات في نيويورك اعتداء على الأبرياء، ومن الواجب معاقبة الفاعلين. لكن هجوم الجيش الأمريكي على أفغانستان هو أيضاً اعتداء على الأبرياء ولا يجوز المشاركة فيه. إنّ حجّة ضرب قواعد الإرهابيين ومن يساعدهم لا تبرّر ضرب الأبرياء، كما أنّ حجّة انحياز أمريكا وظلمها ومشاركتها في الاعتداء لا تبرّر ضرب المدنيين في نيويورك. فالعدوان مرفوض بغضّ النظر عن الشخص المعتدي. والمسلم في الجيش الأمريكي لا يجوزله أن يشارك في العدوان ولو على غير المسلمين. ولو هاجم الجيش الأمريكي الصين أو اليابان أو أوروبا لكان من واجب الجندي المسلم الأمريكي أن لا يشارك في هذا العدوان. فالقضية ليست دينية بالمعنى الطائفي، إنّما هي قضية

أنّ الجندي المسلم يقاتل دفاعاً عن الحقوق ولا يعتدي على أيّ إنسان مهما كان دينه لقوله تعالى: {..وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

٢ – ويتأكّد عدم جواز مشاركة المسلم مع جيش بلاده فيما إذا كان اعتداء هذا الجيش على بلد مسلم، فقد وردت كثير من النصوص الصريحة التي يرتجف لها قلب المسلم مثل: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قالوا: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنّه كان حريصاً على قتل صاحبه). ومن الواضح أنّ هذا التهديد يشمل المسلم في جميع أحواله. وبالتالي نقول بكلّ وضوح: إنّ قتال الجندي المسلم تحت لواء الجيش الأمريكي ضدّ إخوانه المسلمين في أفغانستان، وهم معتدى عليهم، لا يجوز شرعاً.

٣ – قد يكون من الصعب على الجندي المسلم الالتزام بهذا الواجب الشرعي. لكن من الضروري أن يكون واضحاً عنده، وأن يجري توضيحه أمام المجتمع الأمريكي والحكومة الأمريكية. لقد قامت مظاهرات أمام البيت الأبيض تستنكر الحرب في أفغانستان، وارتفعت أصوات مهمّة ضدّ هذه العمليّات باعتبار أنّها تطال الأبرياء، ولا تقضي على الإرهاب، بل قد تزيده بسبب الأحقاد الناتجة عن الحرب. وليس صعباً على المسلمين في أمريكا وقد أدانوا جميعهم تفيجرات ١١ أيلول، أن لا يوافقوا على غزو أفغانستان. والظاهر من السؤال أنّ الجندي المسلم إذا لم يقبل المشاركة في القتال في أفغانستان فسيكون مضطرّاً للاستقالة. إذا كانت هذه هي النتيجة، فإنّي

أقول: يجب على الجندي المسلم الأمريكي أن يستقيل ولا يجوز له المشاركة في قتال ظالم ضدّ إخوانه المسلمين في أفغانستان.

أمّا إذا ترتّب على هذا الموقف نتائج أخرى ضارّة لا يمكن تحمّلها، بالنسبة له شخصياً، أو للجالية الإسلامية ككلّ، فإنّ الضرورات تبيح المحظورات وعليه الموازنة بين الأمرين، واختيار أقلّهما ضرراً، وهو وحده الذي يتحمّل مسؤولية اختياره.

٤ – ولاء المسلم لدينه والتزامه بأحكام شريعته هو الأساس. وليس معنى ذلك أنّ ولاءه لوطنه في الدرجة الثانية، بل هو جزء من ولائه لدينه. لكن ليس معنى الولاء للوطن موالاة الحكومة في كلّ ما تفعل. وإلاّ اتهمت المعارضة السياسية بعدم الولاء للوطن. وهذا يتنافى مع التعدّدية السياسية ومع مبادئ الديمقراطية نفسها. من أجل ذلك يُسمح للجندي الأمريكي إذا استشعر الحرج من القتال أن لا يقاتل، ولا يُعتبر هذا جرحاً لولائه الوطني. والقضية المطروحة اليوم ليست استنكار تفجيرات الحادي عشر من أيلول، لكنّها تتعلّق بكيفية مواجهة الإرهاب، وهذه مسألة قد تختلف فيها الرؤى، ومن حقّ المسلمين أن يعبّروا عن رؤيتهم في أنّ الإرهاب لا يُحارَب إلاّ بإقرار العدالة في العالم، والاعتراف بالتعدّدية في الحضارات والثقافات، والانتهاء عن كلّ أنواع الظلم والتسلّط.

إنّ ولاء المسلم لوطنه الإسلامي نفسه لا يبيح له تنفيذ أمر الحاكم إذا كان معصية، بل يوجب عليه مخالفته لأنّه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وعندما تقع من المسلم مثل هذه المخالفة لا تقدح في ولائه لوطنه الإسلامي.

إنّ الإسلام يسعى إلى سيادة القيم الأخلاقية والإنسانية التي شرعها الله في جميع المجتمعات، ويجعل كلّ مسلم حارساً لهذه القيم سواء كان يعيش في مجتمع إسلامي أو في مجتمع آخر، ويفرض عليه أن يخالف الحاكم ـ ولو كان مسلماً ـ حين يتجاوز هذه القيم.

السائل:السيد جابلن محمد عبد الرشيد، أقدم المرشدين الدينيين المسلمين في الجيش الأمريكي[1]

عن الفتوى الأمريكانية!

بقلم جمال الشرقاوي

ليس من شك في أن العبث بالفتوى الشرعية يمثل خطراً فادحاً يرقى إلى مستوى «الجريمة» في حق الدين والأمة معاً، هذا مبدأ عام، ولطالما عانت

---

[١] http://www.mawlawi.net/

الصحوة الإسلامية في العقد الأخير خاصة من مثل هذا العبث بالفتوى، إما بالاستهتار في الإجابة وإما بتجاوز النصوص والتعامل معها بخفة وإما بإقحام من ليس من أهل الفتوى في التصدي لها، بل للجسيم منها، وهكذا، وقد زاد من فوضى الفتوى ما أصيبت به الأمة مؤخراً من فقد الكثير من أركان العلم، وأهل الفتوى الذين كانوا يمثلون مرجعيات تتلقاها الأمة بالقبول، أمثال العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، والعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين والعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وغيرهم من أهل العلم، الأمر الذي أحدث اضطراباً واسعاً في «ساحة الفتوى»، وهكذا وصلنا إلى اليوم الذي يطلب فيه إخواننا المسلمون في الجيش الأمريكي فتوى شرعية في موضوع على قدر كبير من الخطر والجسامة، فيتم توجيه الفتوى إلى جهة إفتاء ممثلة في صحفي ومحامي وموظف في مصلحة الصحة!، وكان طبيعياً أن تخرج الفتوى «الأمريكانية» لتقول بأن فقدان الوظيفة المرموقة في الجيش الأمريكي أو تعرض مواطنة المسلم الأمريكي للنقد هو من الضرر الأعظم الذي لا بد من تجنبه بتحمل الضرر الأصغر وهو قتل المدنيين الأبرياء من المسلمين، حسب نص الفتوى!

القصة بدأت من رسالة وجهها السيد جابلن محمد عبد الرشيد، أقدم المرشدين الدينيين المسلمين في القوات المسلحة الأمريكية إلى الدكتور طه جابر العلواني وهو متعاقد مع الجيش الأمريكي لتقديم خدمات تعليمية وتثقيفية، وقد أحالها العلواني بدوره إلى الدكتور محمد سليم العوا وطلب منه أن يستشير فيها أحد القضاة المعروفين، وهنا كان أول خيط ما نعتبره «جريمة « شرعية، إذ أن الفتوى الشرعية لها مرجعياتها في العالم الإسلامي،

من مؤسسات وهيئات وشخصيات، فلماذا تجاوز الرجل كل هذه الخطوط لكي يبعث بالفتوى إلى المحامي الدكتور العوا، وهو - مع احترامنا له وتقديرنا لشخصه - لا صلة له بالفتوى الشرعية، ولا يعرف عنه خبرة في الفتوى أو تصدر لها، وهناك انتقادات كثيرة توجه له داخل الصحوة الإسلامية فيما يتعلق بموقفه من السنة ومن قضايا عقدية وقيمية، فلماذا إحراج الرجل في توجيه الفتوى «الخطيرة» إليه، ثم يأتي العجب الثاني، وهو طلب مشورة أحد القضاة، وهو رجل فاضل وصاحب خلق وأمانة، ولكنه لا يتصل بالفتوى من قريب أو بعيد، وعندما كانت تعرض عليه قضية تحتاج إلى الفتوى الشرعية كان يحيلها هو نفسه إلى هيئات الفتوى في الأزهر أو غيره، فلماذا إحراج الرجل بإحالة هذا الأمر الجليل إليه، هل هذه أمانة؟، ثم نصل إلى مسؤولية الدكتور العوا، الذي وصلته رسالة العلواني، فكانت الأمانة تقتضي منه أن يحيل الأمر إلى جهة فتوى شرعية تتلقاها الأمة بالقبول، ولكن الذي حدث أن الرجل أحالها إلى الصحفي الأستاذ فهمي هويدي! ولو لم نعرف تفاصيل المسألة من ما نشر بالفعل لاعتبرنا هذه الواقعة من قبيل «النكتة» أو المزاح الثقيل، ولكن مع الأسف هذا ما حدث، الصحفي الأستاذ فهمي هويدي أصبح مرجعية الفتوى في الأمور الجسام، ومرة أخرى لا ينبغي أن يفهم من كلامنا هنا التقليل من شأن الأستاذ هويدي، بل نحن نكن لجهده الصحفي في الدفاع عن مواقف إسلامية عديدة كل احترام وتقدير، ولكن نقدنا متجه إلى «الموقف» وليس الشخص، نقدنا متجه إلى هذه الفضيحة التي وضع فيها بعض المستهترين الأستاذ فهمي كمرجعية للفتوى في أمر شديد الخطر والجسامة، إن الأستاذ

هويدي لو طلب منه الفتوى في المسح على الخفين في الوضوء لاعتذر لأنه ليس من أهل الفتوى، فهل هذا يطلب منه فتوى في حكم المسلم العامل في الجيش الأمريكي عندما يؤمر بمهاجمة مسلمين وقتلهم بمن فيهم المدنيين الأبرياء؟ بيد أن احترامنا وتقديرنا له ولغيره ممن شاركوا في الفتوى لا يعفيهم من المسؤولية الأخلاقية عن رضائهم بإقحام أنفسهم في شأن هم يعلمون أنهم لا دخل لهم به أصلاً، ودخولهم فيه يمثل افتئاتاً على شرع الله، بل عدوان على الفقه الإسلامي، وحتى تكتمل اللوحة الهزلية فقد اختار الدكتور سليم العوا للفتوى أيضا الدكتور هيثم الخياط وهو موظف في مصلحة الصحة، وقد قدمه العوا في نص الفتوى بأنه العلامة محمد هيثم الخياط(١)، وهو تعبير مزري بكل المقاييس، ولا نقول غير ذلك تأدباً، وأخيراً أتت الكارثة من توقيع فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي(٢) على الفتوى، وعندما بلغه ردود فعل سلبية للغاية عن الفتوى التي شارك فيها حاول الاعتذار عن موقفه قال أن صاحب الصياغة هو الدكتور العوا، وهذا لا يعفيه من المسؤولية لأنه قرأ الصيغة واعتمدها ووقع عليها باسمه، فهو وكاتبها سواء، كما أن بيانه الذي أخرجه هو إعادة طبق الأصل للفتوى الأساسية، أي أنه -كما يقولون - فسر الماء بعد الجهد بالماء، وهذه كارثة إضافية، إنه لا يضير العالم أن يعود عن فتوى له تبين خطأها، ولكن يضره كثيراً أن يعاند ويكابر في ما هو خطأ فاضح صراح، لكي لا يقول الناس أخطأ فلان.

السؤال حسب النص المتضمن في الفتوى «حول مدى مشاركة العسكريين المسلمين في الجيش الأمريكي في المهمات القتالية وسائر ما تتطلبه في

أفغانستان وغيرها من بلاد المسلمين «، وأرجو أن يلاحظ القارئ عبارة «وسائر ما تتطلبه» وأيضا عبارة «وغيرها من بلاد المسلمين»، لكي يدرك حجم الكارثة التي تأتي في الجواب، لأن إباحة هذا العمل يقتضي كل ما يستدعيه العدوان العسكري من قتل وتدمير وإبادة وتنكيل «وسائر ما تتطلبه»، كما أن العبارة الأخرى تقتضي أن الفتوى المبيحة لا تتوقف على أفغانستان، بل تتعداها إلى أي موقع أو بلد إسلامي آخر «وغيرها من بلاد المسلمين»، وهذا ما يسمونه «شيكاً على بياض»، وهو ما يعني منح الشرعية لإطلاق الصواريخ الأمريكية حتى على رؤوس من وقعوا على هذه الفتوى أنفسهم، بل هذا ما شرحته الفتوى بالتفصيل كما سيأتي.

خلاصة الفتوى حسب النص الحرفي لها تقول : «والخلاصة أنه لا بأس إن شاء الله على العسكريين المسلمين من المشاركة في القتال في المعارك المتوقعة ضد من تقرر دولتهم أنهم يمارسون الإرهاب ضدها أو يؤون الممارسين له أو يتيحون لهم فرص التدريب..»، وأعود فأطلب من القارئ الكريم أن يتأمل عبارة «من تقرر دولتهم»، أي أن الفتوى أيضاً منحت تفويضاً كاملاً للإدارة الأمريكية بمشروعية ضربها أي دولة أو شخص «تقرر هي» أنه عدو لها أوإرهابي أو يؤوي أو يتيح.. إلى آخره، هل وجدتم كارثة أعظم من ذلك؟ وبطبيعة الحال فأمريكا وضعت قائمة بستين شعب مسلم بالفعل، وبدأت بأفغانستان، ولا حاجة لإخواننا المسلمين الأمريكان لوجع الضمير كل حين بطلب الفتوى، فأمامهم الآن نص شامل مستقبلي للمساهمة في «سائر العمليات العسكرية» ضد أي دولة أو جماعة مسلمة «تقرر أمريكا « أنها دولة إرهابية أو جماعة إرهابية، الفتوى إمعاناً في المجاملة – فيما

يبدو – نصت على أن مشاركة المسلمين في الهجمات العسكرية ضد هؤلاء الإرهابيين «الذين تقرر دولتهم أنهم كذلك» هو من باب التعاون على البر والتقوى، أو حسب النص الحرفي «من واجب المسلمين المشاركة فيه بكل سبيل ممكنة تحقيقا لقول الله تعالى﴿وتعاونوا على البر والتقوى ﴾!، وجاءت الترجمة العملية للبر والتقوى في قتل آلاف المدنيين الأبرياء وإبادة قرى بكاملها وحرق الناس أحياء وحرق المساجد وتدميرها، وهذا كله من أعمال البر والتقوى حسب نص الفتوى، والتي حرصت على التأكيد على أن هذه النتائج المتوقعة ضد الأبرياء مرفوع الحرج فيها عمن شارك فيها ومغفور له فعله، لأنه لا حيلة له في تمييز المدنيين من العسكريين!، الفتوى أوضحت أنها أصلت رأيها على أساس قاعدة «إذا اجتمع ضرران ارتكب أخفهما» ثم شرحت الفتوى أن الضرر الأخف هو قتل المسلمين في أفغانستان» أو غيرها من بلاد المسلمين « أما الضرر الأعظم – حسب نص الفتوى – فهو تهديد المسلم الأمريكي في مستقبله الوظيفي، أو تعرض وطنيته للتشكيك! هل رأى المسلمون في تاريخهم كله عجباً أفحش من هذا؟ الوظيفة الأمريكاني أكثر قدسية في ميزان الإسلام من حياة مسلم، والجنسية الأمريكية أعظم من حرمة دماء المسلمين، هل هناك من العقلاء، دع عنك المفتين، من يقول بهذا الإفك والبهتان؟

ودعونا من الحديث عن الصحفي والمحامي والطبيب، ونحن نسأل الشيخ يوسف القرضاوي الذي عاد وأكد على نفس الفتوى ولم يتراجع عنها، بل دافع عنها بجرأة لا يحسد عليها بل نشفق عليه منها: يا فضيلة الشيخ هل الوظيفة في جيش أمريكا أو غيره والمحافظة عليها تبيح للمسلم أن يقتل

أخاه المسلم ويدمر ممتلكاته ويستبيح حرماته ويهلك نسله وحرثه ويكون ذلك من الحرج المرفوع شرعاً أو المغتفر حسب كلامك؟ وهل الجنسية الأمريكية والحفاظ عليها مقدم شرعاً على الحفاظ على دماء المسلمين وأعراضهم وديارهم وكرامتهم، هل حرمة الجنسية الأمريكية تكون أغلى عند الله وأقدس من حرمة دم المسلم، بحيث تسوغ عملية الرغبة في الحفاظ عليها أو عدم التشكيك في جديتها إقدام المسلم على قتل إخوانه بمن فيهم الأبرياء بنص الفتوى مع التأكيد أنه مغفور له قتله إخوانه ولا حرج عليه «إن شاء الله « حسب قول الشيخ القرضاوي؟، ثم هل يمكن أن نسمي الأعمال العسكرية التي تقوم بها الولايات المتحدة الآن في أفغانستان بأنها من باب «البر والتقوى» الذي أمرت به شريعة الإسلام كما زعمت فتواك، وإذا صح ذلك فهل تمثل هذه الفتوى دعوة للمسلمين في كل مكان لكي يشاركوا أمريكا في الهجوم على أفغانستان وتدميرها – حتى لو أصاب القتل والتدمير أبرياء ومدنيين بنص الفتوى – باعتبار أن المسلم بطبيعة الحال حريص على المشاركة في «البر والتقوى» وبالتالي فهو مدعو للمشاركة في الحملة الأمريكية على أفغانستان. الفتوى نصحت المسلم العامل في الجيش الأمريكي بأنه – حرفيا – «لا يملك إلا أن يلتزم بطاعة الأوامر الصادرة إليه وإلا كان ولاؤه لأمريكا موضع شك»، وهذه عبارة لو لم نصرح بمن قالها لتصور القارئ أنها صدرت عن جنرالات الجيش الأمريكي، إذ لا يتصور مسلم أن تصدر عن «رموز دينية إسلامية»، والفتوى أيضاً حرصت على التأكيد على أن المواطن المسلم الأمريكي لا بد من أن يؤدي التزاماته المترتبة على حقوق المواطنة، أي أن السادة المفتين، لم يكتفوا بما سبق، بل راحوا

يحرضون المسلمين في أمريكا ويشجعونهم على قتل إخوانهم المسلمين في أفغانستان «وغيرها من بلاد المسلمين» وينذرونهم بالعواقب الوخيمة في حالة تخلفهم عن « طاعة الإدارة الأمريكية «.

إن آلاف المواطنين الأمريكيين ممن لا دين لهم ولا عقيدة، رفضوا أن يشاركوا في الحرب التي «قررت أمريكا» شنها على فيتنام لاعتبارات رأوها أخلاقية، وتحمل بعضهم محنة السجن والفصل من الوظيفة احتراماً لضميره الإنساني، بل إن رئيس أمريكا السابق بل كلينتون نفسه رفض المشاركة في الحرب ضد فيتنام، ثم نأتي نحن المسلمين لكي نسمع فتاوى العار، التي تعلن أن العدو هو ما «قررت» أمريكا، والطاعة لما «قررت» أمريكا، والمصلحة ما «ترتضي» أمريكا، والفتوى ما « تشتهي أمريكا ».

أيها السادة، إن ما أسميتموه «فتوى» إنما هو «تصريح بالقتل» لا شبهة فيه ولا التواء، وإن كل قطرة دم مسلمة تراق في أفغانستان «أو غيرها من بلاد المسلمين» سوف تعلق بأثوابكم يوم القيامة، وكل نفس مسلمة بريئة تزهق هناك ستأتي ممسكة برقابكم يوم القيامة، وكل مسجد يهدم وكل طفل ييتم وكل امرأة ترمل وكل أم تثكل ستظل دعاوى أكفهم الممدودة إلى السماء تمطر عليكم ما لا يقدر على احتماله مسلم ولا غيره، إلا أن تعلنوا توبة صريحة من هذا «التصريح بالقتل» الذي منحتموه بكل برود أعصاب وطيب نفس

الهوامش:

(١)الدكتور محمد هيثم الخياط خبير في منظمة الصحة العالمية وهو طبيب ومن أسرة دمشقية فاضلة، والده الدكتور حمدي الخياط رحمه الله معروف

بعلمه وفضله، وكما قال الأستاذ جمال كان من المفترض أن لا يزج بنفسه في مسألة خطيرة ليست من اختصاصه ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه. [المحرر]

(٢)وقف الشيخ القرضاوي من هذه الفتنة موقفاً طيباً أشرنا إليه بالتقدير والإعجاب أكثر من مرة، وما كنا نريد له المشاركة والتوقيع على مثل هذه الفتوى، ونصيحتنا إليه أن يحذر من مثل هذه الأسماء التي تستدرجه إلى مثل هذه المواقف المؤسفة. [المحرر][١]

إلي الدكتور يوسف القرضاوي

يا مجدد الدين : إلفظها.. فإنها مسمومة..!!

بقلم/ د. محمد عباس

***

الدكتور يوسف القرضاوي، ولا أزكيه علي الله – عزيز علي قلبي، وقد بلغ من إعجابي بمنهجه أن ناشدته أن يعلن إعادة الخلافة كي ينقذ العالم الإسلامي من الهاوية التي ينحدر إليها، ورجوته أن يمدد يده كي نبايعه، أو أن يبايع من يراه نبايعه خلفه. ولقد لقيت كثيرا من العنت ممن لا يوافقون علي منهج الشيخ الجليل والعالم الموسوعي، وكنت أشعر أن الحجة معي دائما، حتى الأسابيع الأخيرة حين سقطت مني الحجة.

[١] جريدة الشعب elshaab.com

***

عزيز عليّ أن أعاتب الشيخ الجليل ولكن الحق أعز..

و إنني أذكر النداء الذي وجهته إليه عندما جرؤت طغمة الحثالة الفاسقة المسيطرة على مقاليد الثقافة في بلادنا ونشرت رواية فاسقة كافرة تجترئ علي الذات الإلهية، حيث جاء في مقالتي (الشعب ٢٠٠٠/٤/٢٨) هذا النداء له، والذي يظهر مكانة الشيخ الجليل في قلبي:

« يا شيخ يوسف القرضاوى.. إن الأمة الإسلامية تضعك – شئت أم أبيت – على رأس العلماء المجاهدين المجددين على مستوى العالم الإسلامي بأسره، وترى فيك – شئت أم أبيت – واحدا ممن يبعثهم الله لتجديد شباب هذا الدين.. يرون ذلك فيك.. رغم أن سلطات بلدك نفسها أنكرتك.. بل واعتبرتك إرهابيا.. فالإسلام بالنسبة لهم هو الإرهاب.. والقرآن هو المستهدف.. والذين أنكروك هم الذين ينشرون أن القرآن خراء.. وأنت تعلم أن الأزهر قد اخْتُرِق.. وأن المقاومة فيه إما محاصرة وإما مقموعة وإما مفصولة.. أصبحنا بلا دفاع.. والأمة ترى فيك بديلا.. الأمة ترى فيك ذلك فلا تخذلها.. وهذه معركة مفروضة عليك .. ولعل القتال يكتب فيها عليك وهو كره لك.. ولعلنا مثلك.. كنا نتمنى أن نموت قبل أن تفرض علينا هذه المعركة.. أما وقد فرضت فنحن نتمنى أن نموت فيها.. فلا تخذل الأمة.. دافع عن القرآن بما أنت له أهل.. إن الأمة تنتظر فتواك في كل مسئول عن نشر هذا الكتاب في بلد الأزهر.. كل مسئول.. من الخفير.. إلى الوزير.. إلى الأمير..

لا ..

ليس فتواك فقط..

بل إن الأمة تنتظر منك حملة شاملة على مستوى الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي كله..

أصرخ فيك..

أنت بعيد عن مصر بعد أن أنكروك.. أنكروك فاحتضنك العالم الإسلامي قرة عين ومهجة قلب وفلذة كبد وومضة عقل.. لكنك بعيد عن مصر.. ولعلك تظن أنها مازالت بخير..

أهتف فيك: مصر لم تعد بخير.. مصر لم تعد بخير.. مصر لم تعد بخير..

فالنجدة النجدة والغوث الغوث..

فإنه القرآن..»

***

وفي ١٥-١١-١٩٩٩ كتبت:

« طاردوا واحدا -لا أزكيه على الله- من أفضل وأعلم علماء المسلمين ألا وهو الشيخ يوسف القرضاوى الذي يقف فارسا مغوارا على ثغور المسلمين يذب عن عقيدتهم ويرتق ذاكرتهم الممزقة ويعيد إليهم وعيهم المفقود..

أطلقوا عليه من تونس على الهواء مباشرة كلب مسعور وذئب عقور وخنزير حاول إلقاء الروث عليه..

وذلك مخطط يا قراء.. يدرُسونه ويدرّسونه في أجهزة الأمن وأوكار المباحث.. إذ يظنون أنهم بذلك يفقدون مثل هذا الشيخ الكبير بعض مهابة.. يظنون أن التجريح الشخصي يمكن أن يمنع مثله من المواجهة..

فإن لم ينجحوا في ذلك فإنهم يأملون عن طريق كسر الهيبة أن يقللوا تأثيره على الناس..»..

***

وثمة واقعة أخري أراني فيها الله سبحانه وتعالي آية من آياته ودليلا باهرا علي مكانة الشيخ عند ربه إن شاء الله..

كان ذلك منذ أربعة أعوام، وكنت قد كتبت مقالا حادا في صحيفة الشعب يوم الجمعة، وفي المساء، اتصل بي رئيس تحرير إحدى الصحف، ليخبرني أنه علم باتصالاته أن كواليس السلطة غاضبة جدا من مقالي، و أن إجراء ما سيتخذ ضدي هذه الليلة. وقلت له : لقد تأخروا كثيرا.. فأنا أنتظرهم منذ عشرة أعوام.

قبيل منتصف الليل جاءتني المكالمة المتوقعة:

– ليتك تشرفنا الآن خمس دقائق علي فنجان من القهوة.

وكان المتحدث ضابطا بمباحث أمن الدولة.

ولأسباب ليس هذا مجال ذكرها وجدت نفسي ميالا إلي السخرية فأجبت الرجل بما لا يتوقع حين قلت:

– لكنني لم أتعود علي شرب القهوة ليلا، ثم أن الوقت الآن لا يناسبني، لذلك أعتذر عن تلبية دعوتك!!.

دهش الرجل، وارتبك لإجابتي التي لم يتوقعها، ودار حوار، واتفقنا علي موعد في الصباح، فأدركت أن الأمر لن يصل إلي اعتقال، وفي اللقاء حرصت كما أحرص كلما أتيحت لي الفرصة أن تصل وجهة نظري للمسئولين،

طلبت منه أن ينقل للوزير أن ثمة اختراق هائل في العالم العربي كله بما فيه مصر ، و أن أجهزة الأمن تبدو كما لو كانت تنفذ مخططا غربيا لهدم الأمة، ولسلب روحها، وكان الضابط يسمع حديثي علي مضض شديد، وتطرق الحديث إلي موقف أجهزة الأمن الشاذ من فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، وبدا كما لو أنه أراد أن يثأر مني، فانطلق بسباب قبيح لفضيلة الشيخ، وغضبت بشدة، ودافعت عن الشيخ الجليل، لكنني كنت عاجزا عن استعمال نفس ألفاظ السباب التي استعملها الضابط.

وأثناء انصرافي كان صدري يتأجج بالغضب، وعلي باب الشعبة وقفت لحظة، وتوجهت إلي السماء:

اللهم لقد اعتدي علي ولي من أوليائك فرد عنه.. اللهم لقد أغاظني فأغظه..!!

...

بعد أسبوع واحد، كان الضابط يفصل من مباحث أمن الدولة في وقائع صارخة.. وينقل إلي فرق الأمن في مكان قريب من حلايب..!!

...

وبعد ستة شهور قابلته مصادفة فلم أعرفه، كان وزنه قد انخفض من مائة كيلوجرام إلي خمسين كيلوجراما، وكان الله قد رد غيبة ولي من أوليائه.. وكان قد أذله..

...

و أضيفت هذه الواقعة إلي رصيد هائل للشيخ في قلبي..

***

بالطبع كنت أختلف أحيانا مع بعض ما يقول، لكنه كان اختلافا في الفروع يتسع لصوابين إلي أن جاءت هذه الكارثة الأخيرة، في فتواه التي لا أشك لحظة أنهم لحنوا له في القول فدلسوا عليه.

والحكاية باختصار شديد تتعلق بفتوى وقع عليها الشيخ، فتوى تبيح للجنود المسلمين في الجيش الأمريكي أن يقاتلوا إخوانهم المسلمين في أفغانستان وحجتها الشرعية في ذلك أن فقدان الوظيفة المرموقة في الجيش الأمريكي أو تعرض ولاء المسلم الأمريكي لوطنه – أمريكا – للنقد أو الشبهة هو من الضرر الأعظم الذي لا بد من تجنبه بتحمل الضرر الأصغر وهو قتل المدنيين الأبرياء من المسلمين، حسب نص الفتوى الذي يقول:

«والخلاصة أنه لا بأس إن شاء الله على العسكريين المسلمين من المشاركة في القتال في المعارك المتوقعة ضد من تقرر دولتهم أنهم يمارسون الإرهاب ضدها أو يؤوون الممارسين له أو يتيحون لهم فرص التدريب..»

الفتوى هي في الواقع تصريح مجاني بالقتل، يتم بموجبه توكيل الإدارة الإجرامية في أمريكا لتحديد من هم الإرهابيون ، وتمنحها صكا بعقابهم كيف تشاء ، ولنلاحظ عبارة «من تقرر دولتهم» أي أمريكا، وهي التي قررت أن الإرهاب يقبع في ستين دولة(إسلامية بالطبع) ولم تشترط الفتوى أي ضوابط شرعية لتنفيذ العقاب، بل تركت الأمر فضفاضا ومائعا، فالعقاب ليس موجها لشخص مرتكب الجريمة، بل إن أمريكا هي التي تقرر، ولنعد إلي نص الفتوى التي تبيح للمسلم الأمريكي: « القتال في المعارك المتوقعة ضد من تقرر دولتهم أنهم يمارسون الإرهاب ضدها أو يؤوون الممارسين له أو يتيحون لهم فرص التدريب..»

تعرض الشيخ الجليل لانتقادات حادة، فلم يتراجع عن الفتوى، لكنه في نوع من التبرير أقر بأن صياغة الفتوى كانت بيد المحامي الشهير الدكتور محمد سليم العوا..

وهنا بدأت سلسلة من الكوارث تتضح بأثر رجعي، تكمل كل حلقة منها جزءا ناقصا في السلسلة الجهنمية ، فالفتوى تمت بطلب أمريكي!! أقر به أحد أفراد الحلقة في برنامج حي علي قناة الجزيرة.

ولنبدأ السلسلة منذ بدايتها باختصار شديد ، حيث أن تفاصيل كثيرة تتناولها في هذا العدد من الشعب، وفي العدد السابق أيضا:

١- وزير الدفاع الأمريكي يطلب من السيد جابلن محمد عبد الرشيد، أقدم المرشدين الدينيين المسلمين في القوات المسلحة الأمريكية، فتوى تجيز للمجندين المسلمين في الجيش الأمريكي الاشتراك في ضرب أفغانستان.

٢- السيد جابلن يحول الطلب إلي الدكتور طه جابر العلواني وهو متعاقد مع الجيش الأمريكي لتقديم خدمات تعليمية وتثقيفية للجنود المسلمين في الجيش الأمريكي .

٣- في لقاء مفتوح في قناة الجزيرة أقر الدكتور علواني بالأمر، مع اعتراض علي كلمة فتوى فقد كان الأمر كما قال: لم يكن طلب فتوى، بل كان سؤالا من وزارة الدفاع الأمريكية: هل يجوز للمجند المسلم في الجيش الأمريكي الاشتراك في الهجوم علي أفغانستان!! ..

٤- بدلا من أن يحيل الدكتور علواني طلب الفتوى (أو السؤال) إلي جهة مختصة بالإفتاء ، حوله إلي صديقه المحامي الشهير والمفكر الإسلامي الدكتور محمد سليم العوا، وهو كما يعبر أحد كبار الكتاب الإسلاميين:

«، وهو (أي الدكتور العوا) – مع احترامنا له وتقديرنا لشخصه – لا صلة له بالفتوى الشرعية، ولا يعرف عنه خبرة في الفتوى أو تصدر لها، وهناك انتقادات كثيرة توجه له داخل الصحوة الإسلامية فيما يتعلق بموقفه من السنة ومن قضايا عقدية وقيمية».

٥– ومرة أخري أحال الدكتور العوا طلب الفتوى بعد أن كتب الصياغة بنفسه (والله أعلم !) ليس إلي جهة إفتاء شرعية، بل إلي المستشار طارق البشري وهو من أعظم و أنزه رجال القضاء في مصر، لا تكاد تشوبه شائبة، لكنه ليس مختصا بالإفتاء. واستعان الدكتور العوا بالكاتب الصحفي الإسلامي الشهير الأستاذ فهمي هويدي، لكن المستشار البشري اشترط إجازة الفتوى شرعيا من الدكتور يوسف القرضاوي.

٦– وقع الدكتور يوسف القرضاوي.. بالتأكيد دون أن يعلم أنه يوقع علي فتوى طلبها وزير الدفاع الأمريكي.. ويقال أن الدكتور العوا هو الذي كتب الصياغة.. والله أعلم!!.

***

المسلمون في أمريكا – كما في شتي أرجاء العالم الإسلامي – رفضوا الفتوى. وصدرت عشرات الفتاوى الشرعية تدينها.

وأكد المستشار الشيخ «فيصل مولوي» نائب رئيس المجلس الأوربي للإفتاء أنّه لا يجوز شرعاً للجندي المسلم الأمريكي أن يقاتل تحت لواء الجيش الأمريكي ضدّ إخوانه المسلمين في أفغانستان.

وأشار الشيخ إلى أن المسلم في الجيش الأمريكي لا يجوز له أن يشارك في العدوان ولو على غير المسلمين، وقال: لو هاجم الجيش الأمريكي مثلا

الصين أو اليابان أو أوروبا لكان من واجب الجندي المسلم الأمريكي ألا يشارك في هذا العدوان، فالقضية ليست دينية بالمعنى الطائفي، إنّما هي قضية أنّ الجندي المسلم يقاتل دفاعاً عن الحقوق ولا يعتدي على أيّ إنسان مهما كان دينه لقوله تعالى: {...وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

***

إنني أعرف بالطبع الاختلاف بين منهج الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ومنهج المجاهد أسامة بن لادن، وكنت ظاهريا أقف علي الحياد، لكنني في الواقع كنت مع كل واحد منهما بمجامع قلبي وعقلي..!!..

وكنت أري أن من حقهما الاختلاف، و أن الإسلام الرحب يتسع لذلك، و أنهما كالنجوم، بأيها اقتديتم اهتديتم.

كان من حقهما الاختلاف حتى وقعت الأحداث الأخيرة.. بعدها لم يعد الاختلاف جائزا.. فقد كشرت وحوش الغرب المفترسة عن أنيابها و أصبح الإسلام نفسه هو المستهدف.

وودت أن ينسي فضيلة الشيخ الاختلاف ليدعم المجاهد أسامة بن لادن..

وتداعت إلي ذاكرتي واقعة من تاريخنا العطر، تظهر كيف كان أسلافنا العظماء ينسون أي خلاف واختلاف عندما يكون الإسلام هو المستهدف.

ففي سنة ٥٥ هجرية كان عقبة بن نافع قد أسس مدينة القيروان وبدأ يعد العدة للخروج إلى الغزو الواسع الكبير ليدين المغرب كله للراية العربية الإسلامية. لكن معاوية عزله وولى مكانه المهاجر بن أبى دينار وهو أحد موالى والى مصر حينذاك، وكان والي مصر قد أمره أن يهين عقبة حتى أنه

حبسه وقيده بالحديد، وواصل المهاجر بن دينار فتوحاته في أفريقيا بنجاح واستطاع استمالة أعداد هائلة من البربر حيث أسلم أميرهم كسيلة الذي أصبح من المقربين من المهاجر بن أبى دينار وأسلم معظم قومه وشاركوا المسلمين في حرب الروم. وفى سنة ٦٠ هجرية أعيد عقبة بن نافع إلى موقعة بعد عزلوا غريمه و أوعزوا له أن يقتص مما فعله أبو المهاجر به، و أسرف عقبة في الانتقام حيث أمر بتكبيل أبي المهاجر بالحديد و أن يكون برفقته على الدوام، واصطحبه معه وهو في هذه الحالة، راسفا في أغلاله، يؤلمه القيد مع كل حركة. وهنا تتبدى العظمة السابغة، فإن المكبل بالحديد أخذ ينصح عقبة بن نافع فيما فيه صالح الإسلام والمسلمين، أخذ ينصحه بأن يتألف قلب كسيلة حرصا على تحالفه، لكن عقبة لم يسمع له و أخذ يسئ معاملة كسيلة، ونسى أبو المهاجر ما هو فيه، ونسى صداقته لكسيلة، تذكر فقط صالح الإسلام والمسلمين، فتوسل إلى عقبة أن يحبس صديقه كسيلة لأنه يرى نيته على الغدر بعد أن أسيئت معاملته، ومرة أخرى لم يسمع عقبة، وصدقت ظنون أبى المهاجر فهرب كسيلة وارتد عن الإسلام، وواصل عقبة بن نافع انتصاراته الباهرة حتى وصل إلى شاطئ المحيط ووقف بعد أن خاض فرسه في الماء قائلا: يا رب، لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك، وفى أثناء عودته، أمر أصحابه أن يسبقوه بمعظم الجيش ثقة منه بما نال من العدو و أنه لم يبق أحد يخشاه.وفى الطريق، وكان معه خمسة آلاف من بقية جنده، وكان أبو المهاجر ما يزال في صحبته موثقا بالحديد، وقع الجميع في كمين من كسيلة وقومه حيث جمع جيشا من خمسين ألف مقاتل .و طلب أبو المهاجر فك وثاقه كي يقاتل دفاعا

عن الإسلام والمسلمين، و أمر عقبة بفك وثاقه، وهنا دارت أغرب مجادلة يمكن أن تحدث خلال التاريخ كله، فقد راح العدوان اللدودان يتنافسان لا على من ينجو بل على من يستشهد، أمره عقبة أن يلحق بالجيش و أن يتولى قيادته و أن يتركه هو ليواجه كسيلة وقومه حتى يغتنم الشهادة، لكن المهاجر أبى، قال له أنه (أي عقبة) هو القائد وأن الجيش بدونه يمكن أن يتفتت، طلب منه هو أن يلحق بالجيش على أن يبقى هو في فريق من الجند يبايعون على الاستشهاد كي يعطلوا كسيلة عن تعقب عقبة بن نافع، أصر على أن يستشهد هو دونه، ورفض عقبة مكررا أنه منذ خرج في سبيل الله كان يطلب الشهادة وقد حان أوانها، و أصر كل من الرجلين على موقفه، دعنا من الخطأ في الموقف من ناحية المنطق والخطط العسكرية، لكننا نرصد هنا النبل حتى أقصاه، لقد أصر كل من الرجلين على موقفه، وفى النهاية قررا خوض المعركة جنبا إلى جنب، وخاضاها مع من معهما من الجيش فاستشهدا واستشهد الجيش كله.. لم ينج إلا واحد ...!!

***

استشهد القائدان العظيمان في ملحمة شكلت لتابعيهم إلهاما باهرا جعلهم يستردون كل المواقع التي خسروها ليستقر فيها الإسلام إلي الآن و إلي ما شاء الله.

***

وددت يا دكتور يوسف القرضاوي لو أنك فعلت مثل ذلك..

وربما هو فرط تواضع منك أنك لا تعطي لنفسك قدرها.. لأنك لو ذهبت إلي أفغانستان و أعلنت الجهاد من هناك لكان الموقف غير الموقف

والدنيا غير الدنيا.

***

لكنك لم تفعل ذلك.. واستدرجت – عفا الله عنك وغفر لك – إلي هذه الفتوى المشئومة التي استدرجك إليها مأجور بلا ضمير يعلمه الله.

لقد ارتعدت – والله – و أنا أقرأ خاتمة مقال الأستاذ جمال الشرقاوي في العدد الماضي من الشعب إذ يقول:

« أيها السادة، إن ما أسميتموه «فتوى» إنما هو «تصريح بالقتل» لا شبهة فيه ولا التواء، وإن كل قطرة دم مسلمة تراق في أفغانستان «أو غيرها من بلاد المسلمين» سوف تعلق بأثوابكم يوم القيامة، وكل نفس مسلمة بريئة تزهق هناك ستأتي ممسكة برقابكم يوم القيامة، وكل مسجد يهدم وكل طفل ييتم وكل امرأة ترمل وكل أم تثكل ستظل دعاوى أكفهم الممدودة إلى السماء تمطر عليكم ما لا يقدر على احتماله مسلم ولا غيره، إلا أن تعلنوا توبة صريحة من هذا «التصريح بالقتل» الذي منحتموه بكل برود أعصاب وطيب نفس».

***

لقد كان السؤال الموجه لاستصدار الفتوى خبيثا، ولقد تجاهلت الفتوى ظروف الواقع، وحتى لو كانت الفتوى صحيحة، وهي بالقطع غير صحيحة، فإنها قد تجاهلت كل خبراتنا السابقة، تلك الخبرات التي تظهر بما لا يدع مجالا للشك، أننا نواجه عدوا مجرما خسيسا شرسا من أشرس ما حفل به التاريخ، والأمثلة مئات و ألوف، لكننا لن نذهب بعيدا، سوف نضرب الأمثال مما حدث في العراق، فهؤلاء الهمج الهامج يعتبرون العرب والمسلمين

خرافا أو حشرات.

لقد كتب جون بالزار من صحيفة لوس أنجيلوس تايمز يصف ما حدث في حرب الخليج فيقول أن العراقيين كانوا : « مثل قطيع من الغنم أُخرج من حظيرته، كانوا مصعوقين ومرتعبين، استيقظوا فزعين فارين من خنادق النار، كانوا يُذبحون واحدا بعد الآخر على أيدي مهاجمين لا يستطيعون رؤيتهم أو فهمهم . ومزقت بعضهم انفجارات قذائف مدفعية عيار ثلاثين ملم. وسقط جندي وتلوى على الأرض وحاول النهوض، ولكن انفجارا آخر مزقه إربا « .. ويقول الطيار الأمريكي ريتشارد وايت عن الغارات الجوية على العراق أنها كانت «.... تكاد تشبه إضاءة المصباح في المطبخ ليلا فتنطلق الصراصير مسرعة فتقتلها ...»

الطيار الأمريكي المجرم رون بالاك يفخر: « عندما عدت جلست على جناح الطائرة ورحت أضحك، ربما كنت أسخر من نفسي، أتسلل إلى هناك و أضرب هنا و أضرب هناك، اقترب رجل مني وربت كل منا على ظهر الآخر ... ثم قال : يا إلهي، ظننت أننا قصفنا مزرعة، بدا و كأن أحدا قد فتح بوابة حظيرة الخراف» أما القرصان الضابط براين ووكر فقد كان يتطلع إلى المزيد من نفس النوع من القتل : « لا يوجد ما يمكن أن يُخرجهم من أماكنهم مثل الآباتشى(طائرة هجومية)، سيكون الأمر مثل صيد البط» ...

« أحدث العرض الشامل للأسلحة المتطورة مجزرة جماعية لعدو لا حول له ولا قوة...(...) استعملت الجيوش الأمريكية والبريطانية قاذفة صواريخ من طراز (MLRS) وكل عربة من هذا النوع تستطيع إطلاق اثنى عشر

صاروخا لمسافة تزيد على عشرين ميلا، ويطلق كل صاروخ من هذا النوع ثمانية آلاف قنبلة مضادة للأفراد..(...) في المراحل الأخيرة من الحرب أطلق الجيش الأمريكي عشرة آلاف قذيفة (MLRS) في حين أطلقت القوات البريطانية ٢٥٠٠ قذيفة أخرى...»

« ... قنابل روك آى العنقودية تحتوى الواحدة منها على ٢٤٧ قنبلة يدوية ضد الأفراد تنفجر إلى ألفى شظية عالية السرعة كالموسى تمزق الأشخاص...»

***

لقد حدث هذا مع العراق.. ومثله الآن يحدث في أفغانستان.. ولنقرأ هذا التقرير الصحفي:

شهود عيان قليلون يمكنهم وصف ماذا حدث لقرية خورم بجنوب أفغانستان مساء الأربعاء الماضي.. لا يوجد أحياء كثيرون. ولكن المشهد واضح.. أكواخ من الطين وحظائر الماشية علي مسافة نحو ٦٠ كيلومترا من جلال أباد دمرتها عاصفة نارية. قال مسؤولون في حركة طالبان الحاكمة أن القرية سويت بالأرض في الغارة الجوية الأمريكية التي قتلت حوالي ٢٠٠ قروي. قال حسين خان الذي سقط أولاده الأربعة قتلي في القصف الجوي ونجا بفضل فراره عند سماع صوت طائرة أطالب أمريكا ألا تقتلنا . ويقول مسؤولون انه تم انتشال ١٦٠ جثة من تحت الأنقاض وأن قرويين من نجوع مجاورة لا يزالون يبحثون عن مزيد من الجثث حتى

الأحد عندما قام صحفيون جاءوا من باكستان بجولة في المنطقة. ولم يصدر تعليق من واشنطن علي التقرير بيد أن مسؤولين في وزارة الدفاع (البنتاغون) قالوا أنه منذ بدء الحملة للقبض علي أسامة بن لادن المشتبه به الرئيسي في الهجمات المدمرة علي أمريكا في الشهر الماضي قنبلة واحدة فقط أخطأت الهدف وأن ذلك كان بالقرب من كابول.

قال ضابط علي متن الحاملة كارل فينسون التي تقلع منها طائرات لقصف أفغانستان أن القنبلة التي أخطأت الهدف ووزنها ٩٠٠ كيلوغرام يمكن أن تسبب رد فعل حاد لأي متواجد في دائرة قطرها اكثر من كيلومتر مربع. وقال قرويون أن ٢٠ إلى ٢٥ قنبلة أو صاروخا انهالت علي المنطقة في موجتين من الهجوم. قال الفلاح طوراي وهو مذهول وقد نجا لأنه كان خارج البيت فقدت بناتي الأربع وبني وزوجتي في هذا الهجوم.

وكان يمسك بشطية مكتوب عليها (قنبلة مجنحة موجهة).

وكانت رائحة الموت تلف القرية. وبين أنقاض أحد البيوت برزت ذراع وفي مكان آخر ظهرت ساق بالقرب من وسادة ملطخة بالدماء. وانتشرت في الحقول المجاورة جثث ماشية نفقت في الهجوم تحوم فوقها أسراب من الذباب. وهناك أسئلة تحتاج إلى أجوبة.. شاهد الصحافيون نحو عشرة قبور محفورة حديثا قال مسؤولون أنها لأطفال قتلوا في الغارة. وغير معروف ماذا حدث لجثث أخري قال مسؤولون أنها انتشلت من تحت الأنقاض. ولكن معروف أن أحكام الإسلام تستوجب سرعة دفن الموتى. وفي أحد مستشفيات جلال أباد عالج الأطباء نحو ٧١ مصابا في الهجوم

بينما رقد ثلاثة أطفال عجاف عمرهم ١٨ شهرا وسنتين وثلاث سنوات قالت ممرضة أن عائلاتهم قتلت بأكملها في الهجوم. قال مصاب آخر اسمه محمد (سبع سنوات) وهو يرقد والأربطة تلف عينيه في عنبر مزدحم بالمستشفي الذي يضم ٤٥٠ سريرا كنت نائما عندما سقطت القنبلة. لا أعرف من أحضرني إلى هنا .

***

كان كل هؤلاء مدنيين، وكانت الفتوى المشئومة تتضمن جواز أن يقوم المجند الأمريكي المسلم بالاشتراك في قتلهم.

وكانت الفتوى تتضمن أيضا، أن يقوم الجندي الأمريكي المسلم بقصف إخوته المسلمين بالقنابل العنقودية الانشطارية وبقنبلة الرذاذ، فهل تعرفون يا قراء ما هي قنبلة الرذاذ؟

تعمل القنبلة الرذاذية بعد قذفها على نشر سحابة رذاذية من الوقود الشديد الالتهاب على ارتفاع منخفض فوق المنطقة التي تحتوي على الخنادق والملاجئ الأرضية، ثم يقوم صاعق بإشعال هذه السحابة، فتنفجر محدثة ارتجاجات صوتية هائلة وخلخلة هوائية شديدة، تخلف فراغا هوائيا يقتل كل ما هو موجود على سطح منطقة الانفجار، وأكثر ما تكون فعالة في المناطق المحصنة مثل الملاجئ والكهوف والخنادق؛ حيث تتغلغل سحابة الرذاذ في الأماكن الصعبة قبل انفجارها. حيث تلتهب تلك السحابة، وتتكون مظلة من النار تسحب وراءها كل ما على الأرض. الحيوانات القريبة من المنطقة تندفع الدماء من عيونها، وآذانها، وأفواهها، وبعضها تمزقت تمزيقا، وكل ذلك بفعل قنبلة الرذاذ.

***

الفتوى المشئومة مخطئة فقهيا كما تشرح عشرات الفتاوى التي صدرت تندد بها.

وهي خاطئة سياسيا، وكان أساس الخطأ فيها أنها جعلت ثمة فارقا بين أمريكا و إسرائيل، بينما في الحقيقة لا يوجد فارق علي الإطلاق. والفارق بينهما لا يعدو الفارق بين سلاح الطيران وسلاح المدرعات في جيش عدو.

والفتوى بدت كما لو أنها صدقت ما يتبادله الناس علي سبيل المجاملة أو الخوف أو النفاق، من أن أمريكا دولة متحضرة و أن إعلامها شفاف و أنها تدافع عن حقوق الإنسان، ولكن الحقيقة غير ذلك تماما، فهي دولة منحطة، بل طليعة الانحطاط في التاريخ، والتعبير ليس لي، و إنما للفيلسوف الفرنسي رجاء جارودي في كتابه: «أمريكا طليعة الانحطاط « ، وهو لا يتحدث عن انحطاط الإدارة الأمريكية فقط، ولا عن انحطاط الحضارة الأغربية فقط، بل يتحدث عن انحطاط الشعوب أيضا.. الشعوب التى تسمح لحكوماتها بارتكاب كل ما ترتكبه من جرائم.. وهذا موضوع طويل سنتحدث عنه إن شاء الله في مقال قادم.

***

الفتوى خطأ فادح، وتصريح مجاني بقتل المسلمين، والكارثة فيها أنها تنطبق علي كل جندي مسلم في العالم، و أنه يمكن لمصر أو الأردن أو تركيا أن تأخذ من هذه الفتوى رخصة لضرب المسلمين في أفغانستان.. ثم العراق.. ثم لبنان وسوريا و إيران والعالم الإسلامي كله.

كنا نريد فتوى، ستكون بالقطع صحيحة، تمنع أي جندي في العالم الإسلامي من إطاعة قائده حين يأمره بشن الحرب علي مسلم، فإذا بهذه الفتوى المشئومة تقدم طوق النجاة للخونة الذين يساعدون أمريكا سرا وجهرا..

نعم.. فكل من يساعد أمريكا ضد أفغانستان خائن..

إن اللغة تصف من لا يغار علي عرضه بأنه ديوث.. وذلك هو من لا يغار علي عرض زوجته أو ابنته أو أمه.. فكيف بمن لا يغار علي عرض وطن وشعب وأمة؟!!. ثم كيف به إذا كان حاكما لذلك الشعب أو الوطن أو الأمة.

كنا نريد فتوي تخلع مثل هؤلاء..

فتوى تخلع الخائن برويز مشرف..

وفتوى تخلع كل حاكم يساعد علي ضرب دولة مسلمة..

فتوى تلزم ولي العهد أن يعصي أمر الملك ورئيس الوزراء أن يعصى أمر الرئيس وقائد الجيش أن يعصي أوامر الحاكم والضابط أن يعصي أمر القائد والجندي أن يعصى أوامر الضابط إذا كانت هذه الأوامر في معصية الخالق.

كنا نريد فتوى تحل لنا الإشكالية المطروحة حين نحرّم علي الاستشهاديين النيل من المدنيين الأمريكيين بينما يذبح الأمريكيون المدنيين المسلمين كالخراف ويسحقونهم كالصراصير ويصطادونهم كالبط متحصنين في بروج مشيدة بحيث لا يستطيع الفدائي أن يطال عسكريا أمريكيا أبدا، وفي نفس الوقت فقد تكفلت الإدارة الأمريكية بتحويل حكامنا إلي وكلاء أو عملاء، وبإفساد جيوشنا التي أصبحت كل أسلحتها مصوبة إلينا لا إلي أعدائنا،

كما تفرض علينا حصارا خانقا بحيث لا نتمكن أبدا من أن نعد لهم ما نرهبهم به.

الإشكالية معقدة، لكن الفقه الإسلامي العظيم قادر علي إيجاد مخرج وحل.. و إلا فإنني أخشي أن يكون الصمت بعد إصدار فتوي تحرم استهداف المدنيين هو صمت موغل في الخطأ.

هذه حضارة منحطة، قتلت منا في العقود الأخيرة خمسة ملايين مسلم معظمهم من المدنيين، ونحن – بسبب حصارهم – لا نملك القدرة أبدا علي الوصول إلي العسكريين؟ فهل يصمت المسلمون حتي يتمكن الطاغوت من اقتلاع الإسلام؟!.

كنا نريد فتوي تحل لنا كل هذا لكن الفتوي المشئومة جاءتنا بعكسه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

***

والفتوى بعد ذلك تخدش بضربة واحدة ثلاثة من الرموز الإسلامية التي تمثل مرجعية في الفكر الإسلامي: المستشار البشري، وهويدي، وقبلهما بالطبع الدكتور يوسف القرضاوي.

وأخشي ما أخشاه، أن هذه الفتوى ستنحي الدكتور يوسف القرضاوي عن عرش تبوأه بجدارة في قلوب ملايين المسلمين. الذين سيرفضون ما تقدم من قوله وما تأخر..

كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون

يا دكتور يوسف القرضاوي..يابن آدم.. يا شيخنا.. يا عالمنا.. يا حبيبنا في الله.. الفتوى مسمومة فالفظها..[1]

[١] جريدة الشعب elshaab.com

الأزهر يمنع تداول كتاب الظواهري «فرسان تحت راية النبي»

القاهرة: محمد خليل/ جريدة الشرق الأوسط:

قرر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر منع تداول كتاب «فرسان تحت راية النبي» لمؤلفه الدكتور ايمن الظواهري زعيم تنظيم الجهاد، قائلا انه «يتضمن تحريضا على الخروج عن شرع الله وتحريضا للشعوب على الحكام وتأويل بعض النصوص لاثارة الفتنة والبلبلة بين مجتمع المسلمين بما يتنافى مع المستهدف من القرآن الكريم كهداية للناس يدعو الى الوسطية وينبذ العنف والتطرف والإرهاب ويقوم على الدعوة بالموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن».

وقال الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشيخ سيد وفا أبوعجور في تصريح لـ«الشرق الأوسط» ان المجمع تلقى نسخة من الكتاب الذي تم نشره على حلقات بصحيفة «الشرق الاوسط» قدمها أحد المواطنين رفض الكشف عن اسمه وتلقى المجمع ايضا نسخة أخرى منشورة على شبكة الانترنت قدمها الى المجمع جهازا أمن الدولة والأمن القومي بمصر، وأضاف أبوعجور ان الامام الاكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي قام على الفور بتشكيل لجنة من علماء الأزهر لفحص هذا الكتاب. وأشار الى ان التقرير الذي وضعته لجنة كبار علماء الأزهر ان نشر مثل هذا الكتاب يخلق حالة من الفوضى التي لا يحمد عقباها خاصة انه يتضمن أفكارا خطيرة على عقول شباب الأمة وتلوثها بالأفكار الخاطئة. وأضاف

ان التقرير يؤكد ان الدكتور الظواهري أدلى باعترافات وصفها بأنها «فاضحة وصريحة» بالعمليات التي قام بها هو وجماعته في مصر ضد الدولة والمسؤولين فيها حيث اعترف بضرب السفارة المصرية في باكستان وتدبير عملية الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها الرئيس المصري حسني مبارك في اديس ابابا عام ١٩٩٦، وكذلك عملية محاولة اغتيال رئيس الوزراء المصري الأسبق عاطف صدقي والتي اسفرت عن مقتل الطفلة «شيماء». كما اعترف في الكتاب بالتخطيط لقتل بعض المسؤولين المصريين بهدف اقامة الدولة الاسلامية في مصر بدءا من التخطيط وتنفيذ عملية اغتيال الرئيس المصري الراحل انور السادات والعديد من الحوادث الإرهابية الأخرى. وقال الشيخ أبو عجور انه من خلال هذه الاعترافات الخطيرة التي تضمنها كتاب الظواهري وفكر هذه الجماعة اتضح للعلماء ان ما جاء في هذا الكتاب هو أفكار تسلطية، وأشار الى ان هذا يمثل خروجا على ولي الأمر، والشريعة الاسلامية لا تقر مثل هذه الأمور.

خلافات حادة

بين شيخ الأزهر والقرضاوي

حول العمليات «استشهادية أو انتحارية» ومقاطعة البضائع الأميركية

طنطاوي: قتل النساء والأطفال والمدنيين ليس من الإسلام *

قرضاوي: جهاد مشروع

القاهرة:أحمدعبدالله/ الشرق الأوسط:

تجدد الخلاف بشكل حاد بين الامام الاكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر والدكتور يوسف القرضاوي على هامش أعمال المؤتمر الثاني عشر لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر أمس حول ثلاث نقاط أساسية: العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون ضد الاسرائيليين، والمقاطعة الاقتصادية للبضائع الاسرائيلية والاميركي، وفتح باب الجهاد للمتطوعين من العالم الاسلامي بجوار الفلسطينيين ضد الصهاينة.

وقد طغت هذه الخلافات على الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر عندما أكد الدكتور يوسف القرضاوي ان شراء السلع الاسرائيلية والاميركية حرام شرعا لان شراءها يدعم الكيان الصهيوني ليرتكب المزيد من المذابح والمجازر الوحشية ضد الفلسطينيين.

وقال ان العمليات التي يقوم بها الفلسطينيون سواء بين العسكريين وجنود جيش الاحتلال أو بين المدنيين هي عمليات استشهادية وجهاد مشروع في سبيل الله، مؤكدا ان المجتمع الاسرائيلي كله مجتمع محاربين حيث يتم تدريب

جميع الاسرائيليين رجالا ونساء على قتل الفلسطينيين ولا تنطبق على هؤلاء الاحكام الخاصة بالمدنيين غير المقاتلين في الدول الأخرى.

ودعا القرضاوي الى ضرورة فتح باب الجهاد للمتطوعين من مختلف أنحاء العالم الاسلامي للقتال الى جانب اخوانهم الفلسطينيين لمواجهة السفاح شارون، مؤكدا ان الجهاد في ظل الاوضاع الحالية فرض عين على كل مسلم ان لم يكن بالقتال والتضحية بالنفس فبالمساهمة بالأموال والدعاء للفلسطينيين بالنصر على أعدائهم.

من جانبه قال شيخ الأزهر ان العمليات التي يقوم بها الفلسطينيون بين جنود الاحتلال أو في المستوطنات هي عمليات استشهادية، أما قتل المدنيين والنساء والاطفال فليس من الاسلام في شيء ومن يقوم بتفجير نفسه بين المدنيين الاسرائيليين متعمدا فينطبق عليه حكم المنتحر، موضحا انه ليس من المروءة ان يقتل المسلم النساء والاطفال المدنيين حتى ولو كانوا من الصهاينة الذين يحتلون الأرض وينتهكون المقدسات ويقومون بعمليات إبادة ضد الفلسطينيين.

وبالنسبة لمقاطعة المنتجات الاسرائيلية والاميركية أكد شيخ الأزهر انه مع المقاطعة لكن لا بد ان يحدد الخبراء والمتخصصون السلع والبضائع التي تدعم العدو وتساعده على قتل الفلسطينيين وفي نفس الوقت لا تضر بالمسلمين والاقتصاديات الاسلامية. ولا يتفق الدكتور طنطاوي مع الشيخ القرضاوي في المقاطعة الشاملة لكل المنتجات الاميركية ولا تحريم شرائها على المسلمين الا في حالة ثبوت انها تلحق ضررا بالغا بالفلسطينيين.

وقال شيخ الازهر ان مقاطعة البضائع امر يعود الى اصحاب الاختصاص متسائلا «كيف اوافق على مقاطعة اي بضاعة اذا كان ذلك سيلحق ضررا

بالبلاد والعباد»؟

وتابع طنطاوي «المقاطعة ليست من اختصاصي فانا رجل دين وهل يجب ان اكون ملما بكل الامور»؟

وبالنسبة للجهاد وفتح الحدود أمام المتطوعين أشار طنطاوي الى ان الشعب الفلسطيني يعاني من الظلم الفادح وترتكب في حقه أعمال وحشية ونصرة المظلوم واجب على كل مسلم لكنه يرى ان فتح باب الجهاد واتخاذ قرار الحرب يتوقف على رأي الرؤساء والقيادات السياسية فهم الذين يستطيعون تحديد ما اذا كانت الحرب ستحقق أهدافنا أم لن تحقق، كما ان فتح الحدود أمام المتطوعين لن يخدم القضية لان هؤلاء المتطوعين لن يمتلكوا اسلحة متطورة مثل تلك التي بأيدي جنود الاحتلال.

شيخ الأزهر يعلن تأييده لمبادرة الأمير عبد الله
القاهرة: محمد خليل/ جريدة الشرق الأوسط:

رحب شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي بمبادرة السلام السعودية التي عرضها ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز حول التطبيع الكامل بين الدول العربية واسرائيل مقابل الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الضفة الغربية وقطاع غزة.

وقال شيخ الأزهر في تصريح لـ«الشرق الأوسط»: اننا نؤيد مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز الداعمة لخطط السلام في المنطقة.

ووصف شيخ الأزهر هذه المبادرة بأنها طيبة ومهمة لوقف العنف وحقن

الدماء ومساندة الشعب الفلسطيني، الذي يعاني من العدوان الاسرائيلي عليه.

وأضاف أن مبادرة ولي العهد تعبر «عن اهتمام قادة المملكة العربية السعودية بقضايا العرب والمسلمين والسعي لنشر السلام الذي جاء به الاسلام لخير الانسانية جمعاء».

شيخ الأزهر وحاخامات من إسرائيل وأساقفة مسيحيون يصدرون بياناً غدا في الاسكندرية حول الوضع في الشرق الأوسط وأحداث ١١ سبتمبر

الاسكندرية (مصر): «الشرق الأوسط»:

يصدر رجال دين مسلمون ومسيحيون ويهود بياناً غداً الثلاثاء بمدينة الاسكندرية شمال مصر حول موقف الأديان الثلاثة من أحداث ١١ سبتمبر (ايلول) الماضي باميركا واتهام الاسلام بالإرهاب وكذلك الموقف من الأحداث في الأراضي الفلسطينية وحوار الحضارات. ومن المقرر ان يلتقي رجال الدين في ختام اجتماعاتهم التي تستمر ثلاثة أيام الرئيس المصري حسني مبارك.

وقال نائب رئيس لجنة حوار الاديان بالأزهر الدكتور علي السمان لـ«الشرق الأوسط» ان المؤتمر يعقد بمبادرة من رئيس أساقفة كانتربري في الكنيسة الانجليكانية ببريطانيا الدكتور جورج كاري، وان شيخ الأزهر

الدكتور محمد سيد طنطاوي وافق على رعاية المؤتمر والمشاركة فيه بهدف التوصل الى موقف مشترك للأديان الثلاثة من الأحداث العالمية الجارية وعلى رأسها الاحداث بالاراضي الفلسطينية، وقضية الإرهاب والاتهامات الموجهة للاسلام وحوار الحضارات.

وأضاف السمان ان اللقاء يشارك فيه من فلسطين الشيخ تيسير التميمي نائب قاضي القضاة ورئيس المحكمة الشرعية بفلسطين، ووزير الدولة لشؤون الاديان والأوقاف بالسلطة الفلسطينية، والمطران ميشيل صباح مطران الكاثوليك اللاتين بالفاتيكان، والمطران رياح ابو العسل مطران الكنيسة الاسقفية بفلسطين. ومن اسرائيل يشارك الحاخام الياهو باكشي درون الحاخام الأكبر لليهود الشرقيين والحاخام ديفيد روزين اللذان وصفتهما المصادر بأنهما من الشخصيات المعتدلة، ومن مصر شيخ الازهر والدكتور علي السمان، بالاضافة لأسقف كانتربري ببريطانيا ونائبه أندر ووايت. ووصف مسؤول في لجنة الحوار بين الاديان بمصر البيان الذي سيصدر عن المؤتمر بأنه «بيان روحي وليس سياسيا» ولكنه قال ان البيان قد يشكل ورقة إيجابية على طاولة المفاوضات بين الفلسطينيين والاسرائيليين.

وأشار المسؤول الى بيان اسرائيلي رسمي ذكر ان اللقاء «حصل على مباركة» رئيس الوزراء الاسرائيلي اريل شارون والرئيس المصري حسني مبارك ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير. وقالت مصادر مقربة من الاجتماع ان مساعد وزير الخارجية الاسرائيلي وسفير اسرائيل بالقاهرة جدعون بن عامي والقنصل العام الاسرائيلي بالاسكندرية سيشاركون في اللقاء، اضافة الى سفير بريطانيا بالقاهرة جون سوارز ومندوب عن بابا الفاتيكان، وكذلك رؤساء عدد من الطوائف

المسيحية في مصر والشرق الاوسط وأوروبا وبعض الشخصيات الاميركية بمصر. وقد أقام أسقف كانتربري الدكتور جورج كاري حفل استقبال مساء أمس لجميع المشاركين في اللقاء بفندق السلاملك.

وذكر مصدر بالسفارة البريطانية بالقاهرة ان شيخ الازهر الدكتور محمد سيد طنطاوي كان قد طالب في لقائه الأخير بالقاهرة مع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير بالاجتماع مع اسقف كانتربري الدكتور جورج كاري للقيام بعمل مشترك لدعم الحوار بين الاديان خاصة ان الدكتور جورج كاري معروف عنه التسامح والدعوة لحوار الأديان والحضارات والبعد عن العنف. كما ان هذه اللقاء قد يكون النشاط الاخير لأسقف كانتربري قبل تقاعده.

ويأتي هذا اللقاء في اعقاب ندوة الحوار الاسلامي ـ المسيحي بلندن يوم الخميس الماضي والتي حاضر فيها رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، مؤكداً ان الحوار والفهم المتبادل بين الأديان من شأنه ان يرسخ الأمن والسلام في العالم.

وقال ان الدين نبع لا ينضب من الثراء اذا أحسن تطبيق، ولفت الى ان الدين الذي يتعرض الى التشويه يغدو قوة خطيرة تؤجج النزاعات المدمرة.

وأكد أسقف كانتربري في نفس الندوة أهمية التواصل بين المسلمين والمسيحيين، مقدراً ان الفهم المتبادل مصدر قوة وغني للطرفين واتفق معه الأمير الحسن بن طلال، مؤكداً ضرورة الفهم المتبادل باعتباره مصر قوة للمسيحيين والمسلمين.

كبير أساقفة كانتربري يوقع وثيقة تفاهم مع شيخ الأزهر

لندن: «الشرق الأوسط»:

في اطار المساعي لتقريب وجهات النظر البريطانية مع العالم الاسلامي، اعلن كبير أساقفة كانتربري الدكتور جورج كيري عن عزمه على توقيع وثيقة تفاهم تاريخية مع شيخ الازهر الدكتور محمد سيد طنطاوي. وتأتي هذه المبادرة غير المسبوقة ثمرة حوارات حول قضايا تاريخية ودينية واجتماعية استمرت بين الكنيسة الانغليكانية والازهر على امتداد سنوات عدة. ويأتي الاعلان عن هذه الخطوة التاريخية، عشية افتتاح ندوة «بناء الجسور: التغلب على العقبات التي تعترض العلاقات الاسلامية ـ المسيحية» في لندن. وسيشارك حوالي ٤٠ من علماء الدين المسلمين والمسيحين في الندوة التي دعا اليها الدكتور كيري بتشجيع من رئيس الوزراء البريطاني توني بلير. والوثيقة التي سيوقعها الشيخ طنطاوي مع كبير الاساقفة في مقر الاخير بلندن في الثلاثين من يناير (كانون الثاني) الجاري، ستضع اللبنة الاولى في عملية تعميق الحوار بين الكنيسة الانغليكانية والأزهر وآلية مواصلته وفق أسس ومبادئ معينة، كما ستحدد الغايات التي يرمي المتحاورون الى بلوغها. وعمد الجانبان الى تشكيل لجنتين لمناقشة الاقتراحات المرشحة للطرح على جدول البحث في سياق الحوار. وفيما تشكلت اللجنة الانغليكانية من ثلاثة رجال دين بينهم المطران منير حنا أنيس، مطران مصر وشمال افريقيا، فقد ضم وفد الازهر الذي يرأسه فوزي الزفزاف ستة علماء دين ودبلوماسيين وأكاديميين. واشارت الكنيسة الرسمية البريطانية في بيان أصدرته لهذه الغاية الى ان الاقتراحات المقدمة تشتمل على الاعراب عن رغبة الطرفين في المساهمة في البحث عن العدل والسلام العالميين، لا سيما أن لهما «تجارب ايجابية في تاريخنا

الطويل كمسيحيين ومسلمين نعيش معاً في مصر والمملكة المتحدة وكثير من المناطق الاخرى في أنحاء العالم». وأضاف البيان ان الطرفين يؤكدان قناعتهما بأن «الصداقة التي تتغلب على الفروقات الدينية والعرقية والقومية هي هبة من الخالق عز وجل الذي نؤمن به جميعاً». وشدد على حاجة كل منهما لقبول الآخر، مؤكدا أن «الحوار المباشر يتمخض عن استعادة الصورة الصحيحة لكل منا في عيني الآخر». ولفت الى ان ايمان الجانبين بالله يحملهما مسؤولية مجابهة التشدد الديني ومظاهر اللامبالاة حيال الدين. الى ذلك، كُشف عن أن لجنتي الحوار اجتمعتا في القاهرة بين العاشر والحادي عشر من سبتمبر (ايلول) الماضي لوضع جملة من الاهداف التي يطمح الجانبان الى تحقيقها من خلال تواصلهما المستمر. وفيما اعتبرت اللجنتان أن تشجيع كل من المسلمين والمسيحيين الانغليكانيين على فهم دين الآخر يأتي في طليعة تلك الاهداف، فقد أعربتا عن نيتهما العمل معاً على حل المشاكل والنزاعات التي تنشب بين المسيحيين والمسلمين في دول مختلفة.

وأكدتا على بذل الجهود المشتركة انطلاقاً من تعاليم الاسلام والمسيحية بقصد الحد من انتهاك حقوق الانسان. ويُشار الى ان لجنة مشتركة من الجانبين ستتكفل بمتابعة سير الحوار، وستعقد اجتماعاً سنوياً تتناوب لندن والقاهرة على استضافته. ومعروف أن الدكتور كيري قد لبى الدعوة لالقاء محاضرتين في الازهر عامي ١٩٩٥ و١٩٩٩. ويعتبر رئيس الكنيسة الانغليكانية في بريطانيا والعالم ان الشيخ طنطاوي صديق شخصي ربطته به علاقة أخوية تعود الى سنوات عدة. ويُذكر أن شيخ الازهر حل ضيفاً على الدكتور كيري في «قصر بالاث» مقره الرسمي عام ١٩٩٧.

من ناحية ثانية، يفتتح الدكتور كيري غداً في لندن أعمال ندوة الحوار

الاسلامي ـ المسيحي التي يحضرها الدكتور مصطفى تشيريش مفتي البوسنة الاكبر الى جانب أكاديميين وعلماء دين من مصر وتركيا وايران وباكستان. وفيما سيمثل رئاسة الكنيسة الكاثوليكية المطران مايكل فيتزجيرالد، سيشارك في الحوارات رجال دين مسحيون بينهم مطران روشستر الدكتور مايكل نذير علي، المرشح لخلافة الدكتور كيري على رأس الكنيسة الانغليكانية. كما سيحضر الندوة بصفة مراقبين موظفون منهم فرانسس كامبل، السكرتير الخاص لرئيس الوزراء البريطاني توني بلير، والنائب العمالي جون باتل الذي اختاره رئيس الوزراء أخيراً مستشاراً له لشؤون الدين. ومن المتوقع ان تنشر لاحقاً الاوراق المقدمة في سياق الندوة التي ستتركز نقاشاتها على موضوعات تاريخية واجتماعية ودينية تهم الطرفين.

الأزهر يعتبر «وصية بن لادن» انتحارا لا يجوز تنفيذها

القاهرة: «الشرق الأوسط»:

رفض علماء أزهريون على رأسهم شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي ما تناولته بعض وسائل الاعلام حول وصية اسامة بن لادن لرجاله بقتله في حالة امكانية القبض عليه من قبل القوات الأميركية لمحاكمته.

وقال علماء الأزهر ان ذلك القتل يعد نوعاً من الانتحار الذي حرمته الشريعة الاسلامية باعتباره احدى الجرائم الكبرى، ولم يثبت عن الصحابة أن طلب أحد منهم قتل نفسه في حالة حصار الكفار له. وجاءت وصية بن لادن التي زعمت المخابرات الأميركية الحصول عليها ولم ينفها أو يؤكدها بن لادن أو أحد من زعماء تنظيم القاعدة، في وقت

تلاحقت فيه الأحداث على الأرض الأفغانية ومنيت حركة طالبان وتنظيم القاعدة بهزيمة سريعة ولم يعد أمام قادتها سوى الاستسلام أو الموت. وقال الدكتور رأفت عثمان عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة وعضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ان هذه الوصية يجب عدم تنفيذها لأنه لا يجوز للانسان أن يقتل نفسه أو يأمر غيره بقتله، فقتل النفس البشرية احدى الجرائم الكبرى في الشريعة الاسلامية سواء أكان قتلا للغير أو انتحارا لقول الله تعالى «ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً». وأضاف أن تحريم قتل النفس أو الانتحار أمر قطعي لا شك فيه، فليس من الأمور المظنونة ولا يجوز الخروج عن الأمور القطعية في الشريعة الاسلامية بل وفي الأمور العقلية إلا بأمر قطعي آخر. فقتل النفس اذا كان محرماً بصورة قطعية لا يجوز الخروج عن هذه الصورة إلا بعودة قطعية أخرى ولم يرد في الشرع ما يجيز الخروج عن الأمر القطعي.

وأضاف الشيخ يوسف البدري عضو المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة أن أي وصية من مسلم بهذا الشكل غير واجبة التنفيذ بل واجب عدم تنفيذها لأن هذا إما انتحار بيد الآخرين واما قتل نفس بغير حق، مؤكدا أنه اذا أراد المسلم أن يرحم نفسه من أيدي أعدائه بقتله بيد أصحابه فذلك طعن في عقيدته.

شيخ الأزهر يؤم المصلين داخل الكنيسة المصرية في حفل إفطار البابا شنودة

القاهرة: «الشرق الأوسط»:

اقيمت مساء أول من أمس صلاة المغرب داخل الكنيسة المصرية بالعباسية والتي أمها الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر وذلك عقب مأدبة الافطار التي اقامها البابا شنودة الثالث بابا اقباط مصر وبلاد المهجر والتي اعتاد على اقامتها منذ ١٦ عاما تحت مسمى مائدة «افطار الوحدة الوطنية».

وشارك في حضور المائدة التي أقيمت وسط اجراءات أمنية مشددة رئيسا مجلسي الشعب والشورى د. فتحي سرور ود. مصطفى كمال حلمي ورئيس الوزراء د. عاطف عبيد وفضيلة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي ومفتي الديار المصرية نصر فريد واصل وغالبية وزراء الحكومة المصرية ورؤساء الاحزاب وعشرات من الشخصيات العامة من سياسيين ومفكرين ورجال اقتصاد ومال، وبعد تناول افطار رمضان الذي حضرته «الشرق الأوسط» وقدم فيه البابا لضيوفه مائدة شهية جمعت اللحوم والاسماك في آن واحد «حتى يستطيع الاقباط الذي يصومون حاليا الصيام الذي يسبق عيد الميلاد المجيد» مشاركة اخوانهم المسلمين الطعام، أقيمت صلاة المغرب داخل الكنيسة وكان إمام الصلاة فضيلة شيخ الأزهر.

وبعد صلاة المغرب ألقى فتحي سرور رئيس مجلس الشعب كلمة أكد فيها ان مصر فوق أي فتن أو محاولات ضرب وحدتها. وتحدث بعده شيخ الأزهر، مؤكدا نفس المعاني كما اشاد بالصداقة التي تربطه بالبابا شنودة وتحدث فيها عن مصر ورموزها وتسلسل تاريخها وتطرق الحديث عن حقبة

الرئيس الراحل أنور السادات التي عرف فيها البابا شنودة خلال فترة عزله من منصبه في سبتمبر (ايلول) ١٩٨١ واستمرت حتى أواخر ١٩٨٤ وفي العالم التالي لانهاء فترة عزله من منصبه بدأ تقليد اقامة مائدة الوحدة الوطنية لأول مرة.

شيخ الأزهر يرد على القرضاوي: جوائز مسابقات التلفزيون حلال

القاهرة: محمد خليل/ الشرق الأوسط:

رد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي على فتوى سابقة للدكتور يوسف القرضاوي، كان قد أفتى فيها بحرمة الجوائز التلفزيونية خاصة «اتصل واكسب» التي انتشرت في بعض البلدان العربية. وقال شيخ الأزهر في تصريحات صحافية لـ«الشرق الأوسط» ان «المسابقات التي تنظمها شركات الاتصالات ويعلن عنها التلفزيون مباحة شرعاً اذا كانت تتناول معلومات مفيدة وتشجع المشاهدين على التفكير والبحث في ما يفيد»، لكنه أوضح «أما المسابقات المحرمة فهي التي تحاول تنمية العلم غير النافع مثل أخبار الفنانات ولاعبي كرة القدم وغيرها من الأسئلة الهشة التي لا تفيد المشترك فانها حرام».

وقال شيخ الأزهر ان كل مسابقة تلفزيونية كان الغرض منها التشجيع على تنمية المعلومات النافعة الصالحة سواء كانت معلومات دينية أو غير

ذلك من المعلومات التي تفيد المسلم والتي من شأنها ترسيخ العلم النافع، فالجوائز التي تمنح لها حلال ولا شيء فيها.

وأضاف: طالما هذه المسابقات برغبة المشاهد من دون اجبار له فهي حلال وليست فيها شبهة قمار، منوها «بشرط ان تكون حول موضوعات مفيدة».

شيخ الأزهر يفصل أحد أقطاب «جبهة العلماء»

القاهرة: «الشرق الأوسط»:

عادت أجواء الأزمات إلى الأزهر الشريف في مصر بين شيخه الدكتور محمد سيد طنطاوي وجبهة علماء الأزهر بعد أن أصدر طنطاوي قراراً أمس بفصل الدكتور محمود حماية الأستاذ بكلية أصول الدين وأحد أركان جبهة العلماء. وجاء قرار الفصل بسبب ما اعتبره شيخ الأزهر تعريضاً بمقامه من قبل الدكتور حماية ومعارضته لقراراته.

وكان الدكتور محمود حماية قد نشر مقالاً في احدى الصحف المصرية ينتقد فيه مشروع تطوير التعليم الأزهري الذي أعلنه شيخ الأزهر وعلى اثر ذلك تم تحويل الدكتور حماية إلى التحقيق ثم احالته إلى مجلس تأديب وصدر القرار بفصله. وقال الدكتور يحيى اسماعيل حبلوش أمين عام جبهة علماء الأزهر لـ«الشرق الأوسط» ان الجبهة سترفع دعوى أمام القضاء الاداري المستعجل للطعن في هذا القرار.

الدعوة للصلاة في الأقصى
تطبيع مقنع لصالح إسرائيل وحدها

فهمي هويدي

تستحق المناقشة والمراجعة تلك الفكرة التي يروج لها البعض هذه الأيام، الداعية الى حث المسلمين على زيارة المسجد الأقصى باعداد كبيرة لافشال المخططات الصهيونية المرسومة لها، ولا أعرف الى أي مدى نجحت محاولة تسويق الفكرة عربياً، لكن الذي أعلمه ان نائب السفير الفلسطيني في القاهرة اقنع بها شيخ الأزهر والمسؤولين عن وزارة الأوقاف، ثم تبنتها الجهات المسؤولة عن النشاط الاسلامي الحكومي بمصر (المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية). وبعد ان رددها المسؤولون عن تلك الجهات في أكثر من مناسبة عامة، الأمر الذي أخرجها الى العلن، فان الدعوة أصبحت محل لغط في أوساط المثقفين المعنيين، الذين انقسموا بين مؤيد لها وداع إليها، وبين معارض لها ومتشكك في أهدافها ومقاصدها.

كثيرة هي الأفكار التي تطرح بين الحين والآخر في صدد التعامل مع مختلف مظاهر وعناصر الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وبعض هذه الأفكار لا تستحق المناقشة لتفاهتها، ولكن الدعوة التي نحن بصددها يتعذر تجاهلها، ليس فقط لما فيها من جاذبية، ولكن لان المنابر الاسلامية الرسمية في مصر أصبحت تدعو إليها، حتى اصبح شيخ الأزهر ووزير الأوقاف على رأس اولئك الداعين.

لست واثقاً تماماً من الأسباب التي دعت الى طرح الفكرة في الوقت الراهن، والانتفاضة مستمرة بدرجة أو أخرى، والدم الفلسطيني يسيل كل يوم، والقمع الاسرائيلي مستمر على وتيرته الوحشية، لكني سأفترض حسن النية فيمن طرحها، وأذهب الى ان زيارة شارون للمسجد الأقصى، التي اثارت غضب الجماهير الفلسطينية، واشعلت الفتيل في شحنة الغضب الفلسطيني المتراكم والمكتوم، الأمر الذي فجر الانتفاضة التي عرفت باسم «انتفاضة الأقصى»، هذه الملابسات هي التي فرضت استدعاء ملف القدس وحركت دعوة الجماهير الاسلامية الى انقاذ المسجد الأقصى.

الذين روجوا للفكرة ودافعوا عنها استندوا الى حجج ثلاث هي:

* ان من شأن تكثيف الزيارات الى المسجد الأقصى ان يثبت الحضور الاسلامي في المدينة، التي يسعى الاسرائيليون الى تهويدها.
* ان الزيارات المفترضة سوف تكسر طوق العزلة الذي تريد اسرائيل ان تفرضها على القدس، لكي تستفرد بها، بعد ان تقطع الوشائج التي تربطها بالعالم العربي والاسلامي.
* ان وجود اعداد كبيرة من المسلمين في المدينة من شأنه ان يحدث رواجاً تجارياً فيها، ينعش الأوضاع الاقتصادية التي يعاني العرب من ترديها، الأمر الذي يمكنهم من الصمود ومقاومة ضغوط الهجرة أو غوايات بيع الأملاك التي يغريهم الاسرائيليون بها.

لأول وهلة تكتسب هذه الحجج وجاهة متفاوتة الدرجة، لكني لست واثقاً تماماً من أنها تشكل أسبابا مقنعة للمواطن العربي العادي لكي يقدم على

زيارة المسجد الاقصى، بل لعلي أذهب الى ان تلك الحجج تفقد وجاهتها اذا ما نظرنا الى المسألة من زاوية الاضرار والخسائر التي يمكن ان تترتب على فتح ذلك الباب، ذلك ان فتح هذا الباب من شأنه ان يرتب النتائج التالية:

* تجاهل عملية الاحتلال التي هي الجريمة الأساسية، حيث قد يسود الاعتقاد بأنه ما دام المسلمون يذهبون للصلاة في المسجد الأقصى، فان حضورهم هذا فيه الكفاية، وهو حد قد يرضي البعض على نحو يؤدي في النهاية الى غض الطرف عن جوهر المشكلة وأساسها.

* تكريس الفكرة التي تروج لها اسرائيل زاعمة بأن القدس مغلقة سياسياً ومفتوحة دينياً، إذ ان توافد الاعداد الكبيرة من المسلمين القاصدة بيت المقدس يعطي انطباعاً لدى العالم الخارجي بأن الأمر استقر في المدينة المقدسة، وان اسرائيل «المتسامحة» لم تقصر في حق جماهير المؤمنين، حتى فتحت لهم أبواب المسجد الأقصى على مصاريعها، ومن ثم فلم يعد لهم ما يطالبون به أكثر من ذلك.

* ثمة احتمال قوي لان تتحول حكاية زيارة المسجد الأقصى الى ذريعة يحتمي بها البعض لتوسيع نطاق التطبيع مع اسرائيل، واذا كان هناك من يذهبون الى الحج والعمرة قاصدين التجارة مع الزيارة، فليس هناك ما يحول

دون تكرار المشهد ذاته مع المسجد الأقصى، والذين يتصورون ان الزيارة ستحدث رواجاً في أحوال العرب الاقتصادية بالقدس، سيكتشفون لاحقاً ان المسألة تحولت الى جسر لنقل البضائع الاسرائيلية وتسريبها الى مختلف أنحاء العالم العربي والاسلامي، الأمر الذي سيسهم في انعاش الاقتصاد الاسرائيلي، والتوسع في تسريب السلع الاسرائيلية الى أسواقنا.

* في الوقت ذاته فان اقبال المسلمين على زيارة المسجد الاقصى لن يغير شيئاً من طبيعة الاحتلال ولن يغير من تمسك اسرائيل بالسيادة على الحرم الشريف، ولن يوقف شيئاً من التطلعات الاستيطانية التي تسعى إليها اسرائيل.

* من شأن فتح باب زيارة المسجد الأقصى، التي يفترض انها لن تتم إلا بعد الحصول على تأشيرة دخول من الاسرائيليين، ان يجعل من التعامل معهم شيئاً عادياً، ينتهي بإزالة الحاجز النفسي القائم الآن، الذي يعتبر مثل ذلك التعامل نوعاً من «الاثم» المحرم اجتماعياً وسياسياً.

اللافت للنظر في الموضوع ان رابطة علماء فلسطين أصدرت بياناً عارضت فيه دعوة المسلمين والعرب لزيارة المسجد الاقصى والصلاة فيه، واعتبرت ذلك نوعاً من التطبيع الذي يسلم بشرعية الاحتلال الاسرائيلي، ثم ان هذه الدعوة من شأنها ان تفتح الأبواب لمن يريد الوصول الى تل

أبيب ومن يريد التعاون مع الصهاينة من شبكة العملاء، في الوقت ذاته فان هناك فتوى في هذا الصدد اصدرها الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، تبنت ذات الموقف الرافض، طالما ظل تحت الاحتلال الاسرائيلي، وقال الشيخ القرضاوي فيها ان الامتناع عن الزيارة في هذه الظروف هو نوع من مقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني.

واذا كان هذا هو رأي علماء الشرع فربما جاز لنا ان نتساءل: لماذا استجاب شيخ الأزهر ووزير الاوقاف والمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية في مصر لدعوة رجال السياسة من ممثلي السلطة الفلسطينية، بينما اعرضوا عن رأي رابطة علماء فلسطين؟

السؤال يخطر على بال المرء لأول وهلة، لكنه لا يجد له اجابة أو تفسيراً سوى ان تلك الرموز الدينية، التي هي جزء من المؤسسة السياسية في مصر، اعتمدت كلام أهل السياسة الفلسطينيين واستصوبته، وهذا الانطباع أكده كلام شيخ الأزهر، الذي نشرته «الشرق الاوسط» في ١٧/١ الحالي، والذي قال فيه ما نصه: ان نائب السفير الفلسطيني في القاهرة قال في كلمة ألقاها (في حضور شيخ الأزهر) ادركوا المسلمين في القدس ليصلوا في المسجد الأقصى. ونادى بادراك المسلمين هناك بالشراء من بضائعهم وانقاذهم من الفقر. وقد اعتبرت كلمته هذه بمثابة نداء فلسطيني لأمة المسلمين لمساندة الأقصى، وبالطبع وافقته وأيدته. وحين قيل لشيخ الأزهر ان بعض علماء المسلمين أفتوا بمعارضة زيارة القدس والصلاة في المسجد الأقصى وهو تحت الاحتلال، كان رده ان لكل رأيه،

وان صلاة المسلم في المسجد الأقصى تعد دعماً مهماً للفلسطينيين.

سواء كان ذلك الموقف ينطلق من الاقتناع أو من الاستجابة للريح السياسية، فالشاهد انه يصب في المسار الذي ندعو الى مراجعة دعائمه وأسانيده، التي ازعم انها لا تخدم جوهر القضية الفلسطينية أو المصالح العليا للشعب الفلسطيني، بلها تصب في صالح الدولة العبرية. وفضلا عن الحجج التي سبقت الاشارة إليها، فإنني ازعم ان القدس بوجه أخص هي قضية اسلامية وعربية، فوق كونها فلسطينية، واذهب الى ان العرب والمسلمين اذا ارادوا فعلا ان يثبتوا حضورهم في القدس، وهذا هدف مهم، فلذلك الحضور مظاهر اخرى أكثر فاعلية، منها على سبيل المثال ان الجامعة العربية كان لها مكتب في القدس الى عام ٦٧، ولو أعيد فتحه هناك لكانت له القيمة الرمزية المنشودة. منها أيضاً ان المقدسيين ليسوا ممثلين في المفاوضات الفلسطينية ـ الاسرائيلية، الأمر الذي يعني التسليم ضمناً بتنحية ملف القدس وفصله عن القضية، ومن المفارقات ذات الدلالة في هذا الصدد ان فيصل الحسيني المسؤول الفلسطيني عن ملف القدس مقطوع الصلة بالمفاوضات التي يفترض ان القدس أحد عناصرها، ومستبعد منها!

على صعيد آخر، ليس مفهوماً هذا الصمت من جانب عمان إزاء موضوع القدس، الذي كان أحد الاهتمامات التي لم تغب عن موقف الاردن في وجود الملك حسين رحمه الله، وهو الذي اعتبر ان للأسرة الهاشمية مسؤوليتها التاريخية عن المسجد الأقصى بوجه أخص، أكثر من أي شيء آخر في القضية الفلسطينية. واذا ما سلمنا جدلا بجدوى وأهمية ذهاب المسلمين للزيارة والصلاة في

المسجد الأقصى، فلماذا لا توجه الدعوة الى الفلسطينيين المقيمين بالخارج، وقد فرضت الظروف عليهم ان يعيشوا جنباً الى جنب مع الاسرائيليين، حيث فلسطين بلدهم وأرضهم في نهاية المطاف، ولن يلومهم أحد اذا ما اضطروا الى ذلك النوع من «التطبيع»، ومن هؤلاء الفلسطينيين حوالي مليونين في المملكة الاردنية وحدها.

من ناحية أخرى، فلست أخفي قلقاً إزاء التركيز على المسجد الأقصى واختزال القضية الفلسطينية في الكيلومتر المربع الذي يحتله الحرم الشريف، الأمر الذي يدعونا الى معاودة التذكير بأن المسجد هو رمز للقضية، وهو جزء محوري منها، لكنه ليس كل القضية، وقد بات معلوماً للكافة ان اسرائيل تساوم على الأقصى لاسقاط حق اللاجئين في العودة، وهو ما تبدى بوضوح في المقترحات الأخيرة التي قدمها الرئيس كلينتون (هل نقول السابق؟) التي قيل لنا انها قدمت للفلسطينيين «تنازلات» لم يكونوا يحلمون بها، من أهمها بسط سيادتهم على المسجد الأقصى، دون الحائط الغربي وفي رواية أخرى حائط البراق (المبكى)، مع استمرار الحفريات تحت سطح الأرض بعد اتفاق الجانبين، ومن هذه «التنازلات» أيضاً اقتسام القدس الشرقية بين العرب والاسرائيليين، أما المقابل لذلك فهو كثير، وفي المقدمة منه اسقاط حق اللاجئين في العودة، والاقرار بإنهاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي. ان التمسك بالقدس وبحق اللاجئين في العودة هو الموقف الصحيح والشريف، الذي يتعين على كل فلسطيني أو عربي ان يلتزم به، ومقايضة

القدس في أحسن شروطها وأفضلها بالتنازل عن حق العودة، ينبغي ان تكون مرفوضة من الأساس، لان اي مكان مهما كانت قداسته لا ينبغي أن يُقدَّم على حق خمسة ملايين من البشر في العودة الى ديارهم، ولا يقبل عقل أو شرع ان يحكم بالنفي أو الإبادة على هذه الملايين الخمسة، في مقابل استرداد المسجد الأقصى أو حتى مدينة القدس بأكملها.

وأرجو ألا أكون متجاوزاً اذا قلت انني لو خيرت بين السيادة على القدس بكاملها (وليس المسجد الأقصى وحده) وبين عودة اللاجئين، لاخترت العودة، لان انقاذ تلك الملايين الخمسة من مصير الافناء والإبادة مقدم على أي مقدس آخر، ولان القدس أمانة في أعناق المسلمين جميعاً، وللمسجد الأقصى رب يحميه، والله أعلم.

الأزهر يصدر فتوى مناهضة لتحطيم تماثيل بوذا
القاهرة: محمد خليل/ الشرق الأوسط:

دخلت قضية تحطيم تماثيل بوذا في افغانستان طورا جديدا على مستوى المؤسسات الدينية في مصر بعد ان اتخذت موقفا واضحا ضد التحطيم، حيث طالب مجمع البعوث الاسلامية «هيئة كبار العلماء بالازهر» في اجتماعه مساء اول من امس برئاسة شيخ الازهر د. محمد سيد طنطاوي، حركة طالبان الافغانية بالتوقف الفوري عن تدمير الاثار البوذية القديمة

والرجوع عن الفتوى الصادرة بهذا الشأن لما يترتب عليها من فتن داخل العالم الاسلام وتشويه صورة الاسلام في الخارج. وبعد مناقشات طويلة دارت بين كبار العلماء اكد المجمع في بيان له ان إقدام طالبان على هذا الفعل يسيء الى الاسلام والمسلمين ويثير الفتن ولا يحقق مصلحة للمسلمين خاصة بعدما اثاره من ردود افعال سيئة انعكست على صورة الاسلام والمسلمين في العالم كله وما وقع من اعتداءات على كتاب الله في ابلغ اساءة للقرآن من المتطرفين البوذيين والهندوس ردا على قرار طالبان، في الوقت الذي تشير فيه منظمة اليونيسكو الى امكان المطالبة بمحاكمة طالبان دوليا باعتبار ذلك جريمة حرب.

ويتناقض موقف الازهر مع موقف وفد منظمة المؤتمر الاسلامي الذي رعته قطر وضم الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر، الذي قال بعد عودته ان علماء طالبان قالوا انه ثبت لديهم من شهود ورؤساء محاكم أن التماثيل التي حطموها تعبد كأصنام من زوار وسياح خصوصا ايطاليين شوهدوا وهم يسجدون لها، وفي ضوء هذا اجتمع قادة الحركة الدينيون وقرروا اصدار فتوى تقضي بازالة المنكر.

مشيخة الأزهر تندد بالعمليات الإستشهادية

جريدة الحياة: القاهرة - ا ف ب: انضمت مشيخة الازهر في مصر أمس الاثنين الي قائمة المنددين بالعمليات الاستشهادية التي

استهدفت اماكن عدة في اسرائيل موقعة العديد من القتلي في اليومين الماضيين وادانتها دول عدة بينها مصر والاردن في العالم العربي. وندد شيخ الازهر سيد محمد طنطاوي، ردا علي سؤال حول العمليات التي اوقعت حوالي ٠٣ قتيلا في اسرائيل اليومين الماضيين بـ العدوان علي المدنيين الابرياء من اي جهة او طائفة او دولة .

وتعتبر مشيخة الازهر مرجعا اعلي في شؤون المذهب السني في العالم الاسلامي نظرا لتاريخها المستمر منذ زهاء الف عام.
وقال طنطاوي خلال لقائه المراسلين الاجانب ان شريعة الاسلام تصون النفس الانسانية وتعتبر من يعتدي عليها بقتلها ظلما وعدوانا كأنه قتل الناس جميعا وباسم الشريعة نرفض وندين العدوان علي الابرياء من المدنيين .

وتابع شيخ الازهر ان الشريعة تندد بالعدوان من اي جهة من الجهات او طائفة من الطوائف او دولة من الدول ، مؤكدا انها تحارب الارهاب الذي تنبذه جميع الاديان السماوية والعقول الانسانية السليمة. واكد طنطاوي انه ضد من يقول ان الاعتداء علي الاطفال الآمنين جائز لانهم سيصبحون في الجيش عندما يكبرون لان هذا الكلام قبيح وسافل لا اوافق عليه ويخالف وصايا النبي محمد.

وقال ردا علي سؤال حول اسامة بن لادن لا اميل الي ذكر الاشخاص، فانا لا اعرف بن لادن ولم اقابله قط فلا استطيع ان احكم، فاذا كان ارهابيا

فاننا نرفضه ونرفض كل ما يشبهه .

واجاب بتهكم علي سؤال حول تنظيم القاعدة قائلا اي قاعدة وقاعدة ماذا؟ فان كانت قاعدة للخير فمرحبا بها، اما اذا كانت للشر والجهل والظلم فملعونة هي اينما كانت وفي جهات الارض الاربع . واعاد طنطاوي التذكير بموقف الازهر ازاء الاعتداءات التي استهدفت الولايات المتحدة في ١١ ايلول (سبتمبر) الماضي، مؤكدا انها جريمة قذرة لا يرتكبها الا السفلة والجبناء والغدارون ولا يؤيدها انسان عاقل او لديه ذرة من الشرف او المروءة. واكد طنطاوي ان الفرق بين الجهاد والارهاب في الاسلام كالفرق بين الارض والسماء لان الاخير اعتداء علي المدنيين، اما الجهاد فهو دفاع عن النفس والمقدسات والارض والوطن والظلم والعدوان واغتصاب حقوق الغير .

***

نص فتوى الشيخ عبد العزيز ن باز بجواز الاستعانة بالقوات الأمريكة ودخولها أرض الحرمين لغزو العراق

«س: يقول بعض الناس الذين يشككون في فتوى هيئة كبار العلماء بشأن الاستعانة بغير المسلمين في الدفاع عن بلاد المسلمين وقتال حاكم العراق: بعدم وجود الأدلة القوية التي تدعمها. فما تعليق سماحتكم على

ذلك؟

ج: قد بينا ذلك فيما سبق وفي مقالات عديدة، وبينا أن الرب جل وعلا أوضح في كتابه العظيم: أنه سبحانه أباح لعباده المؤمنين إذا اضطروا إلى ما حرم عليهم أن يفعلوه، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾الأنعام: ١١٩.

ولما حرم الميتة والدم والخنزير والمنخنقة والموقوذة وغيرها قال في آخر الآية:

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾المائدة

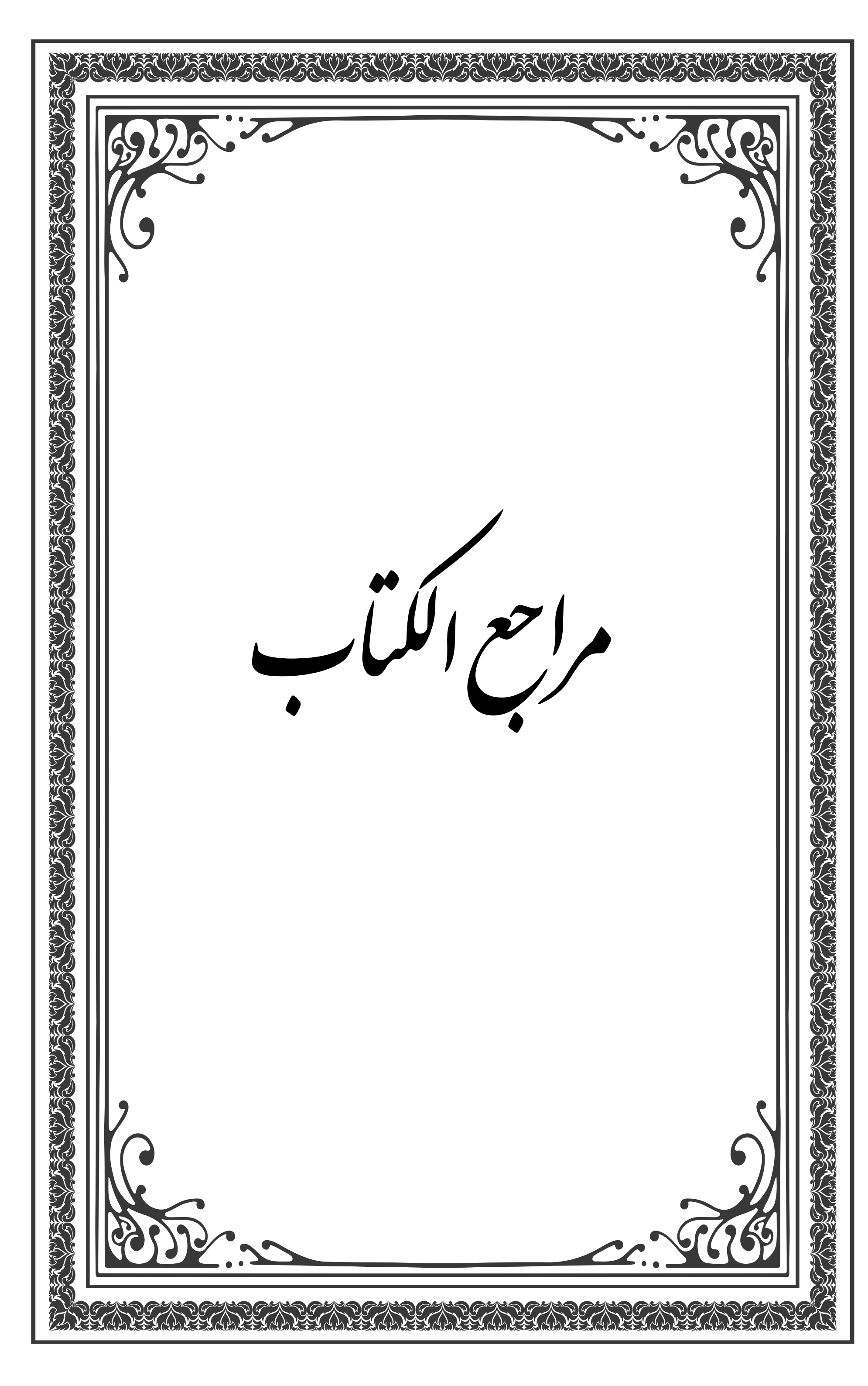
والمقصود أن الدولة في هذه الحالة قد اضطرت إلى أن تستعين ببعض الدول الكافرة على هذا الظالم الغاشم؛ لأن خطره كبير، ولأن له أعوانًا آخرين لو انتصر لظهروا وعظم شرهم، فلهذا رأت الحكومة السعودية وبقية دول الخليج أنه لا بد من دول قوية تقابل هذا العدو الملحد الظالم، وتعين على صده وكف شره وإزالة ظلمه.

وهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية لما تأملوا هذا ونظروا فيه وعرفوا الحال بينوا أن هذا أمر سائغ، وأن الواجب استعمال ما يدفع الضرر، ولا يجوز التأخر في ذلك، بل يجب فوراً استعمال ما يدفع الضرر عن المسلمين ولو بالاستعانة بطائفة من المشركين فيما يتعلق بصد العدوان وإزالة الظلم، وهم جاءوا لذلك، وما جاءوا ليستحلوا البلاد، ولا ليأخذوها، بل جاءوا لصد العدوان وإزالة الظلم ثم يرجعون إلى بلادهم، وهم الآن يتحرون المواضع التي يستعين بها العدو، وما يتعمدون قتل الأبرياء ولا قتل المدنين، وإنما يريدون قتل الظالمين المعتدين وإفساد مخططهم والقضاء على سبل إمدادهم وقوتهم في الحرب. ولكن بعض المرجفين المغرضين يكذب على الناس، ويقول:

إنهم حاصروا الحرمين، وإنهم فعلوا، وإنهم تركوا، كل هذا من ترويج الباطل والتشويش على الناس لحقد في قلوب بعض الناس، أو لجهل من بعضهم وعدم بصيرة، أو لأنه مستأجر من حاكم العراق ليشوش على الناس.

والناس أقسام: منهم من جهل الحقائق والتبست عليه الأمور، ومنهم من هو جاهل لا يعرف الأحكام الشرعية، ومنهم من هو مستأجر من الطغاة الظلمة ليشوش على الناس ويلبس عليهم الحق، والله المستعان»أهـ

المصدر: مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: جمع وإشراف د. محمد سعد الشويعر . رئاسة البحوث العلمية والإفتاء . الرياض . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ . المجلد السادس ص ١١٦ ، و١١٧.



مراجع الكتاب

مراجع الكتاب

١. عجائب الآثار(تاريخ الجبرتي): عبد الرحمن الجبرتي . تحقيق عبد العزيز جمال الدين/ مكتبة مدبولي/ القاهرة.

٢. تاريخ الجبرتي: نسخة دار الجيل/بيروت.

٣. تاريخ مصر في عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل: جورج يانج/ تعريب علي أحمد شكري/ مكتبة مدبولي/ القاهرة.

٤. تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر: عبد الرحمن الرافعي/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٩٤.

٥. تاريخ مصر من الفتح العثماني (إلى قبيل الوقت الحاضر): عمر الإسكندري وسليم حسن . مكتبة مدبولي . القاهرة.

٦. تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا: إلياس الأيوبي . مكتبة مدبولي . القاهرة.

٧. تاريخ الفكر المصري الحديث: دكتور لويس عوض مكتبة مدبولي/ القاهرة ١٩٩٤.

٨. الحملة الفرنسية على مصر: هنري لورنس . ترجمة بشير السباعي . سينا للنشر. القاهرة . ط١ . ١٩٩٥.

٩. مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيس: د.زينب عبد العزيز . مكتبة وهبة . القاهرة . ١٩٩٨.

١٠. دور العمائم في تاريخ مصر الحديث: فتحي رضوان . الزهراء . القاهرة.

١١. التاريخ الإسلامي: محمود شاكر ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٢. الانحرافات العقدية والعلمية: على نجيب الزهراني ـ دار الرسالة للنشر والتوزيع.
١٣. تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر: عمر الإسكندراني وسليم حسن ـ راجعه الكابتن أ.ح سفدج ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة.
١٤. لا صلاة تحت المحراب ـ مذكرات الشيخ عبد الحميد السائح ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت.
١٥. الأعلام: خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط١٥ ـ ٢٠٠٢.
١٦. الرافضون: د.رفعت سيد أحمد ـ رياض الريس ـ لندن.
١٧. مذكرات الإمام محمد عبده تقديم وتعليق طاهر الطناحي/ دار الهلال/ القاهرة.
١٨. مذكرات سعد زغلول: تحقيق د. عبد العظيم رمضان ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٠.
١٩. قصة الأقباط: د. فرج توفيق زاخور ـ مطبعة جروس ـ طرابلس ـ لبنان.
٢٠. الأقباط الكنيسة أم الوطن: عبد اللطيف المناوي ـ دارالشباب العربي للتنشر والتوزيع والطباعة ـ مصر.
٢١. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٢٢. الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٢٣. تاريخ نجد: الشيخ حسين غنام: ـ مطابع الشرق الأوسط.

٢٤. تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي ـ دار الجيل ـ بيروت.

٢٥. العلماء والعرش: د.أنور عبد الملك ـ مؤسسة الرافد/ لندن.

٢٦. وفيات الأعيان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ـ تحقيق د.إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت.

٢٧. ضعيف الجامع الصغير وزياداته: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ط٣ ـ ١٤١٠هـ/١٩٩٠.

٢٨. الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية: مرشد بن عبد العزيز النجدي ـ لندن.

٢٩. وعد كسينجر والأهداف الأمريكية: د.سفر الحوالي ـ المكتب الإسلامي ـ دالاس ـ أمريكا.

٣٠. الحصاد المر: د.أيمن الظواهري ـ دار البيارق ـ الأردن.

٣١. الرجل الصنم: تأليف ضابط تركي سابق ـ ترجمة عبد الله عبد الرحمن ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٣٢. السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده: محمد علي أورخان ـ دار النيل للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ط١ـ ١٤٢٩هـ

٣٣. الحالة الدينية: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة والخامسة.

٣٤. التطرف الديني في مصر: جيلز كيبل ـ ترجمة أحمد خضر ـ مؤسسة دار الكتاب الحديث ـ بيروت.

٣٥. الشهادة: الشيخ صلاح أبو إسماعيل ـ دارالفتح للطباعة والنشر. بيروت.

٣٦. سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: د. صلاح الخالدي ـ الدار الشامية بيرت ـ ط٣ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩.

٣٧. الثورة العرابية: صلاح عيسى ـ القاهرة.

٣٨. دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية: د.هاني السباعي ـ إصدارات مركز المقريزي ـ لندن ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١.

٣٩. الأوقاف السياسية في مصر: د.إبراهيم البيومي غانم ـ دار الشروق ـ القاهرة.

٤٠. وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٤١. موسوعة هذا الرجل من مصر: لمعي المطيعي ـ دار الشروق ـ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م

٤٢. أعلام وأصحاب أقلام: أنور الجندي ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة.

٤٣. آثار الزعيم سعد زغلول عهد وزارة الشعب: جمعها ورتبها: محمد إبراهيم الحريري ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ا

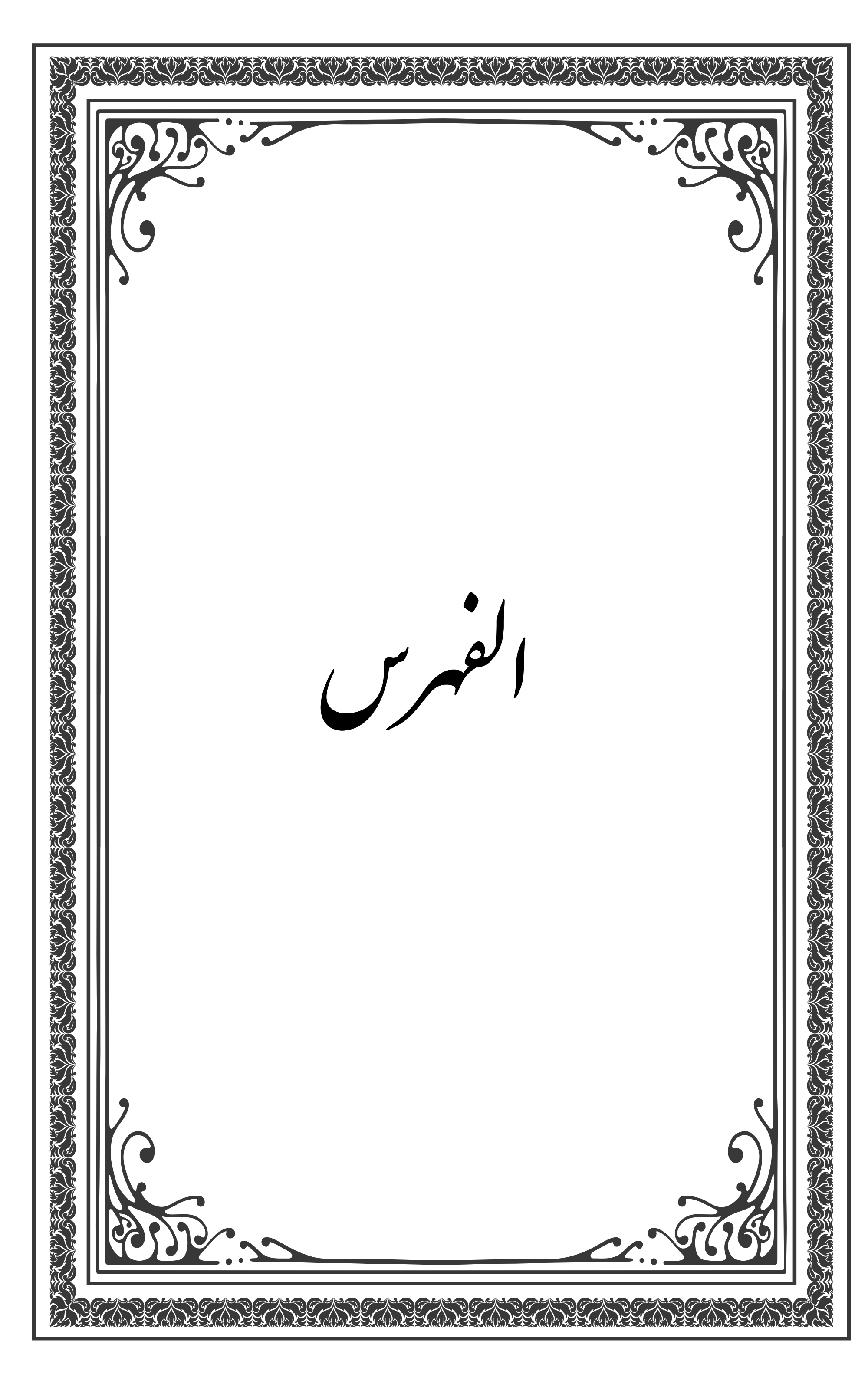
٤٤. صفوة العصر: زكي فهمي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة طبعة ١٩٩٥

٤٥. الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي: د.محمد عمارة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ت بيروت ط١ ـ ١٩٧٣

٤٦. الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: د. محمد عمارة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٨٠.

٤٧. ذكرى البطل إبراهيم باشا ١٨٤٨ . ١٩٤٨: الجمعية الملكية للدراسات والأبحاث التاريخية. مكتبة مدبلوي. القاهرة ١٤١٨هـ-١٩٩٨.

٤٨. مجلة الأمة. قطر لعام ١٤٠١ هـ.



الفهرس

الفهرس

تاريخ يتكلم........................ ٨
تقديم الزيات للكتاب ١٠
مقدمة الكتاب ١٨
الأنموذج الأول: المصري ٢٥
الفصل الأول: الحملة الفرنسية على مصر........................ ٢٩
ثورة الشيخ الدردير ٢٩
ثورة أهل بلبيس ٣٠
منشور نابليون الأول لأهل مصر ٣٢
الشوام الكاثوليك تراجمة نابليون ٣٦
بيان يندد بالجهاد ضد الفرنسيين ٣٨
أسماء المشايخ الذين وقعوا على بيان نابليون ٣٩
بيان من العلماء بالتسليم بالأمر الواقع ٤١
فرحة العلماء بسقوط حيفا بأيدي الفرنسيين........................٤٢
نابليون يقتل ٤ آلاف أسير في حيفا........................ ٤٣
ثورة القاهرة الأولى ١٢١٣هـ /١٧٩٨م........................ ٤٦
شهداء ثورة القاهرة الأولى:........................ ٤٨
الشيخ أحمد الشرقاوي........................ ٤٨
الشيخ عبد الوهاب الشبراوي ٤٨
الشيخ المصيلحي ٤٩

شيخ طائفة العميان سليمان الجوسقي ٤٩
الشيخ إسماعيل النبراوي ٤٩
الشيخ عيسى النبراوي.................................... ٤٩
موقف بعض العلماء الذين كانوا بوقاً لنابليون..... .... ٥٠
بيان العلماء بإدانة القائمين بثورة القاهرة الأولى ٥١
تعليق الرافعي على بيان العلماء ٥٢
التعقيب على تعليق الرافعي ٥٢
لويس عوض يدافع عن ابنة الشيخ البكري ٥٣
قضية سليمان الحلبي.................................... ٥٥
محضر التحقيق مع سليمان الحلبي ٥٥
اعدام الحلبي بوضعه على خازوق ٥٧
جثة الحلبي وجمجمته في متحف باريس....................... ٥٨
أثر الحملة الفرنسية على مصر............................. ٦٠
الفصل الثاني: محمد علي باشا ١٨٠٥ . ١٨٤٨م ٦١
لماذا سكت العلماء عن مذبحة القلعة ٦٣
العلماء يعينون محمد علي باشا واليا رغم إرادة الدولة العثمانية . ٦٣
محمد علي يحدد إقامة الشيخ الشرقاوي ٦٤
محمد علي يستخدم سياسة فرق تسد مع العلماء ٦٤
الشيخان المهدي والدواخلي يتآمران على العلماء...............٦٥
التشنيع بالسيد عمر مكرم والتخلص منه ٦٥
منع الشيخ الطحطاوي من افتاء الحنفية ٦٧

رأي الشيخ محمد عبده في محمد علي باشا ٦٧
الفصل الثالث:ما بعد محمد علي إلى وقتنا الحاضر ٦٩
أول مجلس نيابي في عهد الخديوي إسماعيل.................... ٧٠
الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد ٧٠
المسألة القبطية وألا عيب الحكام ٧١
استغلال السادات تطبيق الشريعة الإسلامية لمآرب سياسية..... ٧٢
حتى كمال أتاتورك استخدم الدين........................ ٧٣
نص فتوبوجوب خلع السلطان عبد الحميد ٧٤
اليهودي عمانويل صوبيلغ السلطان الفتوى الشرعية بخلعه ٧٦
رؤيا مصطفى صادق الرافعي.............................. ٧٧
موقف علماء الأزهر من إلغاء الخلافة.......................... ٧٨
بيان من العلماء يصف من بايع الملك حسين بالخونة.......... ٧٩
حفيد عبد القادر الجزائري يرشح الملك فؤاد للخلافة.......... ٨٠
مؤتمر إعادة الخلافة بالقاهرة.............................. ٨١
أربعون أزهرياً يقولون مصر لا تصلح داراً للخلافة............ ٨٢
أتاتورك يتنازل عن الحكم للسفير البريطاني ٨٤
الفصل الرابع: أسباب تهميش المؤسسة الدينية ٨٩
السبب الأول: عدم استقلالية الأزهر مالياً..................... ٨٩
نص فتوى بعزل السلطان عبد العزيز ٩١
ضباط يوليو أجهزوا على الرجل المريض ٩٣
الوقف أصله ونشأته ٩٣

تركيا أول دولة تلغي نظام الوقف ٩٤
السبب الثاني: عد استقلالية الأزهر علمياً........ .... ٩٦
الدكتور بدلاً من الشيخ ٩٧
قانون ١٩٦١/١٠٣ لرئيس الدولة تعيين شيخ الأزهر ٩٨
ست وزراء أوقاف غير أزهريين ٩٩
مواقف لبعض علماء الأزهر سلباً وإيجاباً.................... ١٠٠
الشيخ مصطفى صبري يهاجم الشيخ المراغي.................. ١٠٠
شيخ الأزهر الظواهري وعلاقته بالملك فؤاد........ .... ١٠٤
شيخ الأزهر الخضر حسين وضباط يوليو ١٠٥
الشيخ تاج يجيز سحب الجنسية من محمد نجيب ١٠٦
شيخ الأزهر مأمون في عهده أعدم سيد قطب ١٠٧
الشيخ السبكي يتهم سيد قطب بأنه من الخوارج ١٠٧
شيخ الأزهر بيصار أعطى مسوغت للسادات.................١٠٨
شيخ الأزهر جاد الحق أيد معاهدة السلام.................. ١٠٨
استغلال الدين لأغراض الحكام ١٠٩
شيخ الأزهر طنطاوي أفتى بإباحة الربا ١١٠
أفتى بجواز تحويل الرجل إلى أنثى ١١٠
أيد توصيات مؤتمر المرأة في بكين ١١٠
مواقف إيجابية لبعض علماء الأزهر ١١٢
شيخ الأزهر الإنبابي: الخديو توفيق لا يصلح أن يكون حاكماً . ١١٢
شيخ الأزهر الجيزاوي: مصر لا تصلح داراً للخلافة ١١٢

الجيزاوي رفض أغلاق الأزهر أثناء ثورة ١٩١٩ .... ١١٢

شيخ الأزهر عبد المجيد سليم: تقتير هنا وتبذير هناك.......... ١١٢

شيخ الأزهر حمروش: قدم استقالته بعد خلافه مع الملك ١١٣

الشيخ أبو زهرة: الجهاد في فلسطين فرض عين.............. ١١٣

السبب الثالث: انتشار مذهب الإرجاء ١١٥

السبب الرابع: وجود طابور خامس من العلماء ١١٧

السبب الخامس: رسم صورة نمطية عبر وسائل الإعلام..........١١٨

السبب السادس: الضغوط الدولية لاضعاف روح التدين.......١١٩

الأنموذج الثاني: السعودية ١٢٣

الفصل الأول: الدولة السعودية الأولى ١٢٥

التعريف بالشيخ محمد بن عبد الوهاب.................... ١٢٥

الشيخ يقيم الحد على امرأة زانية......................... ١٢٦

تخلي أمير العيينة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٢٧

الأمير محمد بن سعود يبايع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٢٧

الشيخ ابن عبد الوهاب يفوض مقاليد الأمور لابن سعود ١٢٨

محمد علي يرسل جيشاً بقيادة ولده طوسون................. ١٣١

إبراهيم باشا يحاصر مدينة الدرعية ١٣١

الأمير عبد الله بن سعود يسلم نفسه اضطراراً ١٣١

الأمير عبد الله بن سعود يعدم في استنبول ١٣٢

الفصل الثاني: الدولة السعودية الثانية ١٣٤

ترجمة الملك عبد العزيز ١٣٥

الفصل الثالث: الدولة السعودية الثالثة........................ ١٣٧
دور جيش الإخوان في تثبيت ملك آل سعود.................١٣٩
تمرد جيش الإخوان على الملك عبد العزيز ١٤٠
الكابتن شكسبير يقدم المشورة للملك عبد العزيز............. ١٤٠
جون فيلبي اضطر لأشهار إسلامه............................ ١٤١
مرسوم ملكي بإنشاء هيئة كبار العلماء....................... ١٤٣
مغزى فتوى تكفير القذافي ١٤٤
فتوى تطلب عدم ذكر أسماء دول بعينها في الدعاء ١٤٤
فتنة الحرم ١٤٠٠هـ...................................... ١٤٥
حرب الخليج الثانية ١٤٨
بيان هيئة كبار العلماء ١٤٨
فتوى الشيخ ابن باز عن حزب البعث العراقي.................١٤٨
فتوى الشيخ ابن السبيل.................................... ١٤٩
الفصل الرابع: أسباب تدهور المؤسسة الدينية السعودية ١٥٢
صفوة القول.. ١٥٥
ملاحق الكتاب.. ١٦٣
مراجع اللكتاب ٢٣٦
الفهرس... ٢٤٤
أعمال المؤلف ٢٥١

أهم أعمال المؤلف

بطاقة علمية دعوية مختصرة للدكتور هاني السباعي

* حاصل على درجة ماجستير في القصاص في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.
* حاصل على درجة دكتوراه في إثبات جريمة القتل العمد في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.
* حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية بطرق ثلاث مسندة إلى رسول الله ﷺ.
* حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية البزي وقنبل عن ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.
* له عدة مؤلفات وأبحاث ومقالات وخطب وحوارات باللغة العربية والإنجليزية.
*رئيس مجلس إدارة الجمعية الشرعية بالقناطرالخيرية من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٠.
*كاتب متخصص في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.
*اختير مستشاراً تاريخياً لمركزالدراسات الإسلامية بأستراليا.
*مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن.
*الأمين العام المساعد للتيار السني بمصر.

بعض مؤلفاته

(١) كتاب دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية ـ إصدارات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) كتاب الصراع بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة من إصدارات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

(٣) كتاب القصاص (دراسة مقارنة الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية من إصادرارت مركز المقريزي بلندن ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٤) كتاب إثبات جريمة القتل العمد (دراسة مقارنة الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية من إصدارت مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٥) كتاب مسائل في الإيمان باللغة الإنجليزية إصدارات عام١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٦) كتاب العدو القريب باللغة الإنجليزية طبع حديثاً.

(٧) كتاب مصادر السيرة النبوية. طبع بمصر عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

(٨) كتاب أي الفريقين أحق بالعقل يا بندكتوس. طبع بعدة لغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

(٩) العلمانيون وثورة الزنج. مطبوع.

(١٠) الإرهاب في المنظومة الغربية مطبوع.

(١١) العدو القريب أس الداء.مطبوع باللغتين العربي والإنجليزية.

(١٢) التاريخ الأسود لدويلا ت الطوائف قديما وحديثاً. مطبوع.

(١٣) هل يقال لمبتدع علامة. مطبوع.

(١٤) الموريسكيون الجدد مسلمو فرنسا. مطبوع.

(١٥) القدس لنا ونحن أولى بها. مطبوع.

(١٦) يزيد بن معاوية وحكام عصرنا.

(١٧) التجلية في الرد على التعرية.

(١٨) قصة الجهاد. مطبوع

(١٩) الحصاد المر لشيخ الأزهر طنطاوي. مطبوع.

(٢٠) حكم التحاكم للقوانين الوضعية. مطبوع.

(٢١) زنادقة الأدب والفكر قديما وحديثا. مطبوع.

(٢٢) حسن حنفي أنموذج للزندقة. مطبوع.

(٢٣) هل كان لنصارى مصر دور في مقاومة المحتل قديما وحديثا. مطبوع

(٢٤) كارلوس .. مانديلا ..سلام وتحية. مطبوع.

(٢٥) رسالة لعبد المأمور. مطبوع.

(٢٦) تسريح الجيوش العربية ضرورة شرعية. مطبوع.

(٢٧) ثورة الشعوب العربية رهان خاسر. مطبوع.

(٢٨) إذا نزلوا ساحة قتال أفسدوها. مطبوع.

(٢٩) القومية وأثرها على وحدة الأمة الإسلامية. مطبوع.

(٣٠) المصير المخيف قرابين على عتبات الناتو بليبيا. مطبوع.

(٣١) سقوط الحضارة الغربية في جوانتنامو. مطبوع.

(٣٢) مملكة القش. مطبوع

(٣٣) فتوى توحيد الأذان من كيتشنر الإنجليزي إلى وولش الأمريكي. مطبوع.

(٣٤) التعليق على البديل الثالث لآل الزمر. مطبوع

(٣٥) رسالة هادئة لقادة الإخوان أي الفريقين أحق بالاتباع. مطبوع.

(٣٦) حكم المماثلة في العقوبة بحث شرعي مبسط. مطبوع.

(٣٧) حكم إمامة المرأة للرجال في الصلاة. مطبوع.

(٣٨) حكم قضاء القاضي بعلمه. بحث شرعي مبسط مطبوع.

(٣٩) حكم ضرب المتهم وخداعه بحث شرعي مبسط. مطبوع.

(٤٠) تعليق أولي على وثيقة ترشيد الجهاد. مطبوع.

(٤١) فرسان بالليل دعار بالنهار! مطبوع.

(٤٢) فلا رجعت ولارجع الحمار حسن نصر اللات سيد الأمة!. مطبوع.

(٤٣) لماذا التيار السني. مطبوع.

(٤٤) إعادة النظر في كتابة التاريخ الإسلامي. مطبوع.

(٤٥) دورة شرعية في مسائل الإيمان والفرق ١١ شريط.

(٤٦) دورة شرعية في مصادر السيرة النبوية ١٣ شريط.

(٤٧) دورة شرعية في الولاء والبراء ١٠ شرائط.

(٤٨) دورة في القضاء الشرعي ١٧ شريطا.

(٤٩) دورة في القضاء الجنائي الإسلامي ٨ شرائط.

(٥٠) تفريغ دورة القضاء الجنائي الإسلامي الصوتية في كتاب مطبوع من إصدارات مؤسسة تحايا الإعلامية.

(٥١) تفريغ دورة مسائل الإيمان كاملة في كتاب مطبوع من إصدارات مؤسسة تحايا الإعلامية.

(٥٢) تفريغ دورة الولاء والبراء كاملة في كتاب مطبوع مؤسسة التحابا.

(٥٣) كتاب زنادقة الأدب والفكر. مطبوع.

(٥٤) كتاب ثورة التوابين مطبوع.

(٥٥) الخليفة المفترى عليه عبد الله بن الزبير.تحت الطبع

(٥٦) حكم قتل المسلم بالكافر. بحث شرعي. مطبوع.

(٥٧) أكثر من ٩٤٧ خطبة جمعة صوتية ومرئية.

(٥٨) كتاب الأكذوبة الكبرى إبادة العثمانيين للأرمن. مطبوع بعدة لغات العربية والإنجليزية الفرنسية.

(٥٩) شرح كتاب الطرق الحكمية للعلامة ابن القيم سلسلة دروس صوتية.

(٦٠) عشرات الحوارات المقروءة والمسموعة والمرئية في العديد من وسائل الإعلام المحلية والعالمية مثل الجزيرة والعربية وبي بي سي والعالم وروسيا اليوم وآي إن بي وغيرها من محطات وحوارات مكتوبة في صحف ومجلات عالمية عديدة.

(٦١) حوار منتدى الحسبة أسئلة وأجوبة في أربع مجموعات في قضايا شرعية مختلفة. مطبوع.

(٦٢) سلسلة مقالات هذا جدك يا ولدي من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨: الناصر صلاح الدين الأيوبي. سيف الدين قطز. الظاهر بيبرس. صقر قريش. موسى بن نصير. طارق بن زياد. عبد الرحمن الناصر بالأندلس. عبد الله بن ياسين شيخ المرابطين. يوسف بن تاشفين. سيعاد طبعها قريبا إن شاء الله.

مركز المقريزي للدرسات التاريخية





د.هاني السباعي

- مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن.

ولقد تناول الأستاذ السباعي في دراسته التي بين أيدينا قضية بالغة التعقيد تتمثل في مدى أهمية دور المؤسسات الدينية صاحبة القداسة في تحريك المواقف السياسية في مجتمعاتنا وجدية هذا الدور من مبعثه ومتابعة تطوره عير السنين وكان اختيار مصر والسعودية لوضوح المثال بهما في أهمية دور الأزهر في مصر والعلماء في السعودية.

